

الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليم العـالي و البحـث العلمـي

جامعـة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي .

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث ل م د

تخصص:الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري

الموسومة بـ:

القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية
ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي
رحلة العياشي أنموذجاً

إعداد الطالب:

✓ بناهض عبد الكريم

إشراف الدكتور:

والي داده عبد الحكيم

أعضاء لجنة المناقشة	الرتبة	الجامعة	الصفة
1-أ.د عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســـــــا
2-د. عبد الحكيم والي دادة	أستاذ محاضر – أ-	جامعة تلمسان	مشرفـــــــا
3-أد- عبد القادر بن عزة.	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضـــــــوا
4-د-محمد ملياني.	أستاذ محاضر –أ-	جامعة تلمسان	عضـــــــوا
5-د- رقيق كمال .	أستاذ محاضر –أ-	جامعة بشار	عضـــــــوا
6-أ.د حنيفي بن ناصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم.	عضـــــــوا

السنة الجامعية: 2017 – 2018م

مقدمة:

الحمد لله الذي له العزة والجبروت وبيده الملك والملكوت ،وله الأسماء الحسنى والنعوت ،والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي تمخض لفضائله الكون قبل أن تتعاقد الآحاد والسبوت وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

يعيش الإنسان في هذه الحياة منذ أن يولد إلى أن يموت في رحلات ذاتية تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الأحوال والظروف ،فهناك رحلة من الطفولة إلى الرشد ومن عالم العذوبية إلى عالم الزواج ،ورحلات من المدينة إلى الحضر ،قبل أن تتحول هذه الحركية إلى طابع خاص ميزه عن غيره من الكائنات بعد أن أطرها فأصبحت بالنسبة له من شروط البقاء والحفاظ على جنسه ، على هذا الأساس اخترنا موضوع الرحلة التي تمت فعلا في إطار المكان بوصفه البعد الرئيسي في إنتاج مادة ذات طبيعة أدبية و إنسانية انعكست على رؤية كاتبها ، أو ما يطلق عليه أدب الرحلات .

يشكل السرد العربي صورة جلية لنمو الأشكال الشفوية المتحولة إلى نص مكتوب يتوحد في حقول شتى وسط كتب الأدب المتنوعة ،ومؤلفات التراجم والسير والطبقات ،ونصوص المقامات والأخبار ،وكل التقييدات المحسوبة على التاريخ والجغرافيا الوصفية والرحلات ،وأيضا في مؤلفات الفقه وعلم الحديث ،ذالك أن عملية الانتقال من الشفوي إلى المكتوب سجلت بصمات أساسية في رسم تحول استراتيجي ..(شعيب حليفي –الرحلة في الأدب العربي)،والرحلة أحد السرود العربية التي حاولت أن تساير أحداث

التاريخ خشية أن ينفلت حبل الزمن وتنقطع سيرورة الأحداث ،وهي بهذا وسيلة إجرائية مهمة .

إن موضوع أدب الرحلات متنوع فهو يأخذ طابعه و خصوصيته بحسب الهدف من الرحلة ذاتها ، فإذا كانت الوجهة علمية كانت الرحلة علمية ، وإن كانت للسياحة فهي سياحية ،و قد اخترنا أحد هذه الأنواع وهي الرحلة الحجازية ؛ وهي التي كانت وجهتها الحج (الرحلة الحجية)، و نسبت إلى الحجاز بحكم المقصد ، والرحالة لا يكتفي بزيارة بزيارة البقاع المقدسة للحج ؛ بل يمر الأماكن الأخرى التي تملك قدسية في نفوس المسلمين على بيت المقدس و زيارة أضرحة الصالحين . وقد كان المغرب العربي منطلقا لهذه الرحلات الحجازية المغربية .رحلة أبو سالم العياشي (ماء الموائد). والتي انطلقت من المغرب الأقصى وصولا إلى أرض الحجاز،وهي في مجلدين ،وقد اخترنا هذه الرحلة من أجل الكشف عن مسار الرحلة العياشية و الأماكن التي زارها ، وأهم العلماء الذين احتك بهم.ولأن العياشي لم يكتف بما اكتفى به غيره من الرحالة فقد آثر أن تمتد رحلته إلى القدس الشريف للقاء الرجال والاحتكاك بهم ، والتمسح بالمقامات والمزارات ،وأيضا لموسوعيته حيث ضمت الرحلة فنونا من العلم وألوانا من المعرفة .

أهم دراسة اعتمدنا عليها في بحثنا هذا ما قام به الدكتور سعيد الفاضلي في مقدمته لتحقيق الرحلة ، ورسالة دكتوراه ل اسماعيل زردومي الموسومة ب :فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ،وبعض الدراسات الخاصة بالأدب المغربي على غرار :الوافي في أدب المغرب الأقصى ل: محمد بن تاويت ،ورحلة الرحلات لعبد الله التازي ،أدب الرحلة في المغرب

في العهد المريني .بالإضافة إلى كتب الرحالة والتي ضمت ترجمة للعياشي ومنها :اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر ،إتحاف الأخلاء بإيجازات المشائخ الأجلاء .،والحكم بالعدل والإنصاف .بإضافة الى ما قام به المستشرق كاراشوفسكي في كتابه الأدب الجغرافي .

حاولنا في هذه الدراسة كشف اللثام عن قيمة أدب الرحلة من الناحية اللغوية باعتبارها تلخص تجربة الرحالة والعصر الذي دونت فيه ،محاولين البحث عن نقاط القوة والضعف وفق إشكال مفاده: ما هي القيمة اللغوية للرحلة العياشية ،وما هي مستويات السرد اللغوي داخل الرحلة ؟.ولأن العياشي رحالة مغربي كانت وجهته أرض الحجاز لأداء مناسك الحج وزيارة الأماكن المقدسة ،ولقاء العلماء والأحتكاك بهم ،ارتأينا البحث عن دور الرحلة في ربط جسور التواصل الحضاري بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه .

وضعنا لهذه البحث خطة تتكون من :

1-مقدمة .

2- مدخل: تتبعنا فيه تطور الرحلة عبر العصور .

3- الفصل الأول : الرحلة في الموروث البشري وقد ضم الفصل مبحثين :أ- المبحث الأول :ماهية الرحلة (المفهوم اللغوي والإصطلاحي).

ب- المبحث الثاني :الرحلة في التراث العربي .

3- الفصل الثاني :التواصل الحضاري وقد ضم مبحثين :

أ-المبحث الأول :مفهوم التواصل لغة واصطلاحا .

ب- المبحث الثاني :مفهوم التواصل الحضاري (مفهوم الحضارة – بين الحوار والتواصل

-مفهوم التواصل الحضاري .

4- الفصل الثالث :أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد .وقد ضم مبحثين :

أ-المبحث الأول :ترجمة أبو سالم العياشي .

ب- المبحث الثاني :التعريف بالرحلة العياشية .

5-الفصل الرابع :القيمة اللغوية والأدبية للرحلة العياشية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي وقد ضم مبحثين :

أ-المبحث الأول :القيمة اللغوية والأدبية للرحلة العياشية .ودرسنا فيه

-أغراض الأدب الصوفي في الرحلة العياشية .

ب – المبحث الثاني :دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق العربي .

6-خاتمة :وفيها تلخيص لأهم النتائج المتوصل إليها في البحث وأهم التوصيات .

وقد واجهتنا أثناء عملية البحث مجوعة من الصعوبات والعوائق والتي من أهمها قلة المراجع المتخصصة بدقة ،خصوصا ما يتعلق بالجانب اللغوي (الدراسات اللغوية)،وأيضا تشعب البحث وتداخله مع ميادين بحثية مختلفة على غرار التاريخ و التصوف مما سبب إرباكا للباحث. وفي الأخير أتوجه بالشكر الأستاذ المشرف على الرسالة وعلى المجهودات المبذولة في

سبيل إخراج هذا العمل ، وكل من ساهم بتوجيه أو نصيحة ليظهر هذا العمل إلى النور.

حرر بتلمسان يوم 2017/6/04م.

المدخل

مدخـــــــل:

الرحلة عبر العصور .

منذ أن وطأت أقدام الإنسان سطح الأرض وهو يحاول البحث عن ظروف عيش أفضل من خلال السعي والبحث الحثيث لتحقيق الرفاهية ،"وتاريخ الإنسان هو تاريخ لمحاولة التعرف ثم السيطرة على العالم الخارجي من حوله وقد ناضل أولا القوى الحيوانية التي تحول بينه وبين هذه السيطرة ،ثم أخذ يناضل القوى الإنسانية فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة واندفعت من إقليمها إلى الأقاليم المجاورة تكتشف آفاقا جديدة ."[1]، فمن الطبيعي أن يسافر الإنسان وأن يبحث عن سبل العيش الكريمة "إنه حب المعرفة إنه المغامرة إنه المجهول الي يتحدانا ونتحداه ،إنها متعة المعرفة لذالك فالرحلة هبي مزيج من الرغبة والرهبة من الشجاعة والخوف ولكن الإنسان يفضل أن يعرف المجهول مهما كان الثمن وكثيرا ما دفع المسافرون أرواحهم من أجل أن يعرفوا ..."[2]،فالرحلة رغبة بشرية فطرية لولاها لبقي الإنسان حبيس عاداته البدائية ولما صنع لنفسه هذا الزخم الحضاري المتميز على مر العصور .

رحلة البحث عن الطعام:

وكانت هذه الرحلة سيرا على الأقدام في سبيل تحصيل الرزق " وهو لا يملك غير هذه الوسيلة لكي يبحث عن الطعام ويجمع قوته مما تنبت الأرض وثمراتها الطيبة ، وكم من رحلة واجه فيها الإنسان مشقة السفر

[1] -شوقي ضيف- الرحلات-دار المعارف –ط4- 1119ه-ص:7
[2] انيس منصور-أعجب الرحلات في التاريخ-مطابع الأهرام التجارية مصر – ط13-1995-ص:4.

والتحرك وهو لا يملك الوسيلة لكي يطارد الفريسة ويقتنيها ويحصل على ما يطعمه .وقد تطور شكل هذه الرحلة تطورا حقيقيا"[1] مع مرور الأيام واكتشاف وسائل وطرق جديدة ، وهكذا أخذ الإنسان على عاتقه مهمة اختراق حاجز المسافة بين المكان والمكان الآخر لإنجاز الرحلة ولقد كلفه ذالك دائما احتمال مشقة السفر على الطريق ومواجهة الخطر في البر والبحر والجو ومتاعب الاغتراب لبعض الوقت أو لكل الوقت ، وصولا إالى الغاية المباشرة وغير المباشرة ، ويهون ذالك كله في سبيل الهدف الذي تصيب منه الرحلة منفعة حقيقية ،فرحلة البحث عن الطعام أصبحت رحلة عمل واجتهاد يومي متكرر وتوجه إلى هدف وتتطلع إلى غاية ، وهي بالطبع رحلة ذهاب وخروج ، ولقد أتقن الإنسان هذه المهمة ووظفها في توفير حاجياته الملحة..[2].

رحلة الهجرة والإستيطان:

ربما كانت رحلة الهجرة وهي تسعف إرادة الإنتشار وتجاوب حاجة الإنسان للإستيطان في أنحاء الأرض رحلة فرار من موطن مقتر واستجابة عاجلة لعامل طرد أو رحلة لجوء إلى موطن سخي واستجابة فورية لعامل جذب ، ولم تنطوي على إرادة العودة والإياب وتعتبر الرحلة الخطيرة في حياة البشرية لأنها حققت الانتشار الإنساني وكفلت عمران الأرض ولقد وضعت الإنسان دائما في موضع الاستعداد عندما يفرغ من هذه الرحلة

---

[1] ينظر جورج حراب –الموجز في تاريخ الكشف الجغرا في – تر :عبد العزيز طريح شرف– مؤسسة الثقافة الجامعية –الإسكندرية –دط -1993م- ص:30

[2] ينظر صلاح الدين علي الشامي –الرحلة عين الجغرافيا المبصرة –ط2 – 1999 –ص: 32.

للسيادة على مصيره وتسخير الأرض ومعطياتها في أحضان أي موطن على صعيد الأرض .[1]

نستنتج مما سبق أن رحلة الإنسان قديما (العصر البدائي) لم تتعد رحلة البحث عن الطعام في سبيل الحفاظ على الحياة ورحلة الهجرة والاستيطان للبحث عن ظروف عيش أفضل .وقد تحولت هذه الرحلة " من رحلة منفردة إلى رحلات متنوعة ن وقد رسخت هذه الرحلة رصيدا من المكتسبات والخبرات ، بل لعل الرحلة كانت انطلاق الإجتهاد الأهم الذي وجه حركة الحياة في كل مكان لكي يواجه الإنسان التحديات وتفجر فيه طاقات الإبداع ويضع اللبنات السوية في صرح التغير الحضاري .[2]

الرحلة في الحضارات القديمة :

التغير الحضاري وتنوع الرحلات:

إن المتغيرات الحضارية التي وضعت حركة الحياة وحضور الإنسان على الأرض عند نقط تحول حاسمة ، هي وليد شرعي للإجتهاد الذي عكف فيه الإنسان على مواجهة التحديات وتطويعها والانتصار عليها ،ولقد تحقق أعظم إنجاز بالفعل عندما أفلح الإنسان في التحول من مطاوعة الضوابط التي حكمت وتحكمت في حركة الحياة وتطور وحضور الإنسان . والتغير الحضاري الذي نقصده قد أسفر عن متغيرات اقتصادية ومتغيرلت اجتماعية ،انتفعت بها حركة الحياة ،فتعاظم الاهتمام بالحركة وبتوظيفها ، فتنوعت بتنوع الاهداف التي والأغراض التي من أجلها تكون الرحلة ،

[1] صلاح الدين الشامي- الرحلة عين الجغرافيا المبصرة- ص: 31 -32.
[2] ينظر –مرجع نفسه – ص: 37.

فالتطور الحاصل في العالم جعل الرحلة وسيلة لربط جسور التواصل في جميع المجالات .

إن ما شهده العالم من تغير في جميع المجالات كان نتيجة لسعي الإنسان المستمر لتغيير نمط حياته، من نمط يعتمد فيه على الجمع والإلتقاط والتنقل ،إلى وضع بنى لنفسه حضارة وفرت له سبل عيش أفضل ، ولم يتم ذالك إلا بالسعي والرحلة ، لكن الرحلة في هذه المرحلة أصبح لها طابع خاص يختلف من حضارة لأخرى حسب طبيعة توجهها ،وسوف نستعرض بإيجاز أهم هذه الحضارات ومدى استفادتهم من السفر والرحلة.

1 ـ قدماء المصريين:

تعتبر الحضارة المصرية من أقدم الحضارات التي تركت لنا سجلات مكتوبة "التي اكتشفت من آثارها الراقية كميات ضخمة سمحت للعلماء بأن يخصصوا لدراستها علما خاصا هو علم (المصريات)، ولقد كانت الحضارة المصرية ذات طابع مميز له خصائصه الملفتة للنظر كما توضحه على سبيل المثال ضخامة بنيانهم الذي ما زال الكثير منها قائما بشموخ حتى الآن ، ولعل أبرزها هي الأهرامات التي استخدمت في بنائها من غي شك قياسات ونظريات هندسية متقدمة ، كما كان هؤلاء المصريون يتبعون نظاما متقدما للري ، وكانت لهم لغتهم المكتوبة المتقدمة ومعتقداتهم الدينية الواضحة ذات الطقوس المنظمة." [1]

لقد زادت معرفة المصريين بالعالم عن طريق الرحلات التي قاموا بها ، وكانت هذه "الرحلات إما بعثات تجارية أو حملات عسكرية ، ولقد

[1] ينظرجورج حراب - الموجز في تاريخ الكسف الجغرافي – ص:7-8.

تفوق المصريون القدماء في رحلاتهم البحرية وساعد على هذا التفوق البحري عدة أمور منها :

1-هبوب الرياح الشمالية عكس اتجاه نهر النيل الذي يتجه من الجنوب إلى الشمال ، وقد يسرت هذه الحقيقة استغلال كل من نهر النيل والرياح في الملاحة .

2 -تعدد المسطحات المائية ممثلة في نهر النيل والبحيرات وبحر المتوسط الذي كان مدرسة للتدريب البحري الأولى التي تدربت فيها الشعوب القديمة على الكشف البحري .

3 -وجود البردى والأخشاب التي صنع منها المصريون قواربهم ، وتذكر رواية التاريخ الإغريقي أن أحد المصريين ويدعى دانوس هو أول من ابتكر السفينة ذات الخمسين مجدافا ، وقد ذكر هيرودوتس أن المصريين يصنعون السفن التي تنقل البضائع نمن شجر السنط وشكله كثير الشبه بالبشنين الكورنيائي (السدر)ويسيل منه الصمغ يقطعون من خشبه ألواحا طول كل منها ذراعان تقريبا ..ويصنعون الساري من السنط والشراع من البردى .."[1]

ومن المعروف أن ملوك مصر سجلوا رحلاتهم في آسيا وعلى جدران معبد الدير البحري بمصر العليا تصاوير بديعة لسفن الملكة حتشبسوت من ملوك الأسرة الثامنة عشر ، وهي عائدة من رحلتها إلى بلاد بونت في الجنوب ، وأكبر الظن أنهم كانوا يطلقون هذا الإسم على بلاد الصومال ، وعلى نحو

[1] ينظر محمد محمود محمدين –الجغرافيا والجغرافيين في الزمان والمكان –ص : 57.

ما جابت سفننا البحر الأحمر جابت بحر الروم .[1]فسبيلهم للإستكشاف كان عن طريق المرات البحرية على وجه التحديد مما أمكنهم من اكتساب خبرة في هذا المجال قل نظيرها بين الشعوب الأخرى.

2- بلاد ما بين النهرين:

هناك تشابه واضح بين الطبيعة الجغرافية لكل من مصر وبلاد ما بين النهرين ،حيت تتوفر بلاد ما بين النهرين على نهري دجلة والفرات ومصر على النيل ،وتعبير ما بين النهرين أو(ميزوبوتاميا)قد فضله الكتاب اليونان والرومان ، وهذا الإصطلاح ميزوبوتاميا يعادل على وجه التقريب اصطلاح (جزيرة)الذي أطلقه الجغرافيون العرب على تلك المنطقة التي تمتد ما بين نهري دجلة والفرات شمالي بغداد .[2]

ومن دلائل استفادة حضارة ما بين النهرين من الرحلة ما تراكم للبابليين من معرفة جغرافية غزيرة وقد دونت هذه المعارف على ظالواح طينية عرفت فيما بعد بالخرائط مثل " بيانات الملك "سرجون"وتعتبر بعض البيانات إرشادات للسفر ومعلومات عن الطريق ، ويبدو أنها كانت خاصة بالأعمال الإدارية ،ولعل اتساع الدولة والنجاح في ضم الأقاليم كان سببا للإهتمام بالمعلومات الجغرافية عن هذه الأقاليم لتيسير إدارتها ،ولقد اهتم البابليون بمعرفة موقع بلادهم بالنسبة لما يجاورها .."[3]

من أوجه التشابه بين الحضارتين المصرية وبلاد ما بين النهرين يتمثل في المنجزات الحضارية ،فعلى سبيل المثال لا الحصر الشبه بين

---

[1] ينظر –شوقي ضيف –الرحلات –ص: 7.
[2] ينظر محمد محمود محمدين –الجغرافيا والجغرافيون في الزمان والمكان –ص:61
[3] ينظر المرجع نفسه – ص:70.

الأهرامات وما يعرف عند الحضارة البابلية والسومرية بالزيقورات حيث يلتقيان في الشكل الهرمي وبينهما فرق طفيف من حيث الشكل ،لكن يختلفات في المهمة ،فعند المصريين القدماء كانت الأهرامات مدافن لموتاهم بينما عند البابليين كانت لمراقبة النجوم ومعابد .نستنتج من هذا التشابه ما كان بين الحضارتين من التقاء وتبادل للخبرات وتم ذالك عن طريق البعثات والرحلات المختلفة بين الجانبين .

4 -الفينيقيين :

كان للفينيقيين "رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسي وحطوا رحالهم في الجزر البريطانية ، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر الروم في الجنوب وفي إسبانيا ، وخلفهم الإغريق يقيمون مستعمرات لهم في البحر الأسود وفي بحر الروم ، وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها وقدموا لنا الكصير من المعارف الجغرافية ، وهم أول من قال بكروية الأرض ، وبأن وراء البحار والمحيطات عوالم مسكونة ، تقطنها شعوب مختلفة .."[1].

ومن أشهر الرحلات الفينيقية رحلة **هانون (hanon)**وهي من أشهر الحملات البحرية **التي يرجع فضلها** إلى قرطاجنة ، رحلة اكتشافية إلى ا لسواحل الإفريقية وهي الرحلة المسماة باسم هانون ، ويروي لنا بيلين أنه في أيام ازدهار قوة قرطاجنة رحل هانون من قادس وطاف حول إفريقية إلى أن وصل إلى طرف جزيرة العرب من الجنوب ، ثم كتب كتابا وصف

[1] ينظر شوقي ضيف –الرحلات –ص:7.

فيه هذه الرحلة ...ورحلة هانون معروفة لأن الوصف الذي لرحلته ترجم إلى اليونانية ثم أودعت هذه الترجمة في معبد كرونوس في قرطاجنة .[1]

الإغريق والرومان :

نال الإغريق شهرة كبيرة بسبب مكانتهم العلمية " ومنزلتهم الحضارية وكان الإغريق يلقبون أنفسهم باسم الهيلينيون اعتقادا منهم بأنهم من أصل واحد وهو هيلين ،وأطلقوا على غيرهم اسم البرابرة ، أما تسمية الإغريق فقد استقت من تسمية أطلقها الرومان عليهم وهي جريقي نسبة إلى الجرايين وهو جماعة من شرثي بويتيا ببلاد اليونان أما عن اسم اليونان فهو تحريف لاسم أيونيين ..[2]وقد دخل البونايين في صراع مع الفينيقيين من أجل السيطرة على مناطق جديدة "ونتيجة لهذا التنافس نشطت المعرفة الجغرافية حيث كان التجار يوسعون نشاطهم باستمرار ويلقون بمراسيهم على شواطئ جديدة ،ثم يتوغلون فيها لاكتشاف ما حولها .[3]

ومن أشهر الرحالة الإغريق والي ذاع صيته نذكر الرحالة **هيرودوتس** وهو اسم مركب من هيرا وهي معبودة إغريقية ودوتس من مادة الفعل أعطى – أهدى بمعنىى عطاء هيرا ..، وكانت أسرة هيرودوتس معروفة وموسرة وكان يحب الثقافة والمعرفة وقام بأسفار عديدة بدأها بالهجرة إلى ساموس وسافر إلى مصر وأبحر إلى النيل حتى بلغ أسوان وربما ذهب إلى برقة ومر بغزة وصور، وأبحر في الفرات حتى وصل بابل ، وجال في المنطقة التي تقع شمالي البحر الأسود ، إن تلك الأسفار هي التي أتاحت له

---

[1] ينظر ج –كونتنو- الحضارة الفينيقية –تر : محمد عبد الهادي شعيرة – دار كتب الشرق الاوسط –دط –دت –ص: 313-314.

[2] ينظر محمد محمود محمدين- الجغرافيا والجغرافيون في الزمان والمكان –ص:79

[3] ينظر جورج حراب –الموجز في تاريخ الكسف الجغرافي –ص 17.

أن يسمع ويرى ويناقش صم يعود آخر الأمر فيسجل ذالك السفر الضخم الذي خلد اسمه في سماء المؤرخين ..[1]،وقد سعى للبحث عن المعرفة حتى لو تعرض في سبيل ذلك للخطر وقد كان التاريخ هو مجال اهتمامه الرئيسي[2].

ومن ملاحظات هيرودوت أثناء رحلاته ما ذكره من وصف لأحوال المصريين "فهم عموما في غاية الرشاقة رجالا ونساء ، وبسرعة أدرك الفوارق بين المصريين وبين الشعوب الأخرى ، يقول هيرودوت أنه ذهب إلى الأرض التي وقعت عليها إحدى المعارك الحربية بين المصريين والفرس ، ولاحظ أن جماجم الفرس قد وضعت في جانب وجماجم المصريين في جانب آخر ، وأن جمجمة الفارسي هشة لدرجة أننا إذا ألقينا عليها حجرا ثقبها ، أما جمجمة الجندي المصري فيصعب ثقبها بحجر ، وسأل هيرودوت رجال الدين ما السبب ؟ فقالوا بأن المصريين يحلقون رؤوسهم تماما وتظل معرضة للشمس مدى الحياة وهذا يجعلها أكثر صلابة أما الفرس فيضعون العمائم على رؤوسهم ...وقد اندهش وهو يمشي في شوارع المدن والقرى المصرية ..البيوت منعزلة بعضها عن بعض والمعابد كثيرة والموسيقى من وراء كل باب ونافذة .."[3]،وهذا إن دل على شيء إنما يدل على دقة الملاحظة التي تميز بها هيرودوت .

الرحلة عند العرب:

---

[1] ينظر محمد محمود محمدين –الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان –ص:79
[2] ينظر عبد العزيز طريح شرف –الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي –ص: 19.
[3] ينظر –انيس منصور –أعجب الرحلات في التاريخ –ص: 16.

إن اهتمام العرب بما يحيط بهم من مظاهر جغرافية مختلفة أمر بديهي ،ذالك أن" طبيعة حياتهم التي تعتمد على الترحال في الصحاري المترامية الأطراف بقطعانهم من إبل وأغنام بحثا عن العشب والكلأ متتبعين آبار الماء ،تفرض عليهم أن يعرفوا المسالك والدروب المختلفة وأن يقرأوا السحب وأن يتابعوا تغيرات الطقس ، وأن يكونوا على علم بأماكن عيون الماء وبطون الأودية .."[1]

كما أن اهتمام العرب بالتجارة واشتغالهم بها جعلهم يستثمرون مواقع بلادهم بين أقطار الموسميات والغربيات في التجارة ،فكانوا" يقومون برحلتي الشتاء والصيفمما تطلب منهم معرفة أيسر المسالك وأقصرها ،ولما كانت معظم أسفارهم بالليل فإنهم اهتمدوا على القمر والنجوم وساعدهم على ذالك صفاء سمائهم ،حيث كان للعرب معرفة بمطالع النجوم ومغاربها زعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ماأدركوه بفرط العنايةوطول التجربة ،وقد دون العرب ذالك في أشعارهم ،فوصفوا ما لاقوه في أسفارهم "[2]

لقد انعكست طبيعة العرب القائمة على الحل والترحال على العقل الجمعي العربي ،فجسد ذالك إما شعرا أو من خلال ما يسمى بأيام العرب ،حيث كان رواتهم يقصون على سامعيهم مغامراتهم أثناء السفر وما لا قوه أثناء ذالك من مشاق وأهوال .

---

[1] -ينظر –المرجع السابق –ص 17

[2] المرجع نفسه -ص17

الفصل الأول

الفصل الأول: ماهية الرحلة في الموروث البشري

المبحث الأول: ماهية الرحلة

1 ـمفهوم الرحلة

أ ـالمفهوم اللغوي:

اهتمت المعاجم العربية بلفظ "رحلة" فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ما يأتي:

"رحل : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر ، يقال : يرحل رحلة ، ورحل رحيل : ذو رحلة ، إذا كان قويا على الرحلة ، والرحلة الارتحال ، وقولهم لما ابيض ظهره من الدواب : أرحل ، فهو من هذا أيضا لا يشبه بالدابة التي عليها رحل ، ويقال أرحلت الإبل = سمنت بعد هذا والراحلة : المركب من الإبل سواء كان ذكرا أو أنثى" [1].

أما الجوهري في معجمه صحاح العربية عرفها كما يلي :

"رحل ، الرحل : مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث ، والرحل أيضا رحل البعير ... والجمع رحال... ورحلت البعير أرحله رحلا ؛ إذا شددت على ظهره الرحل ، قال الأعشى : رحلت سمية غدوة أجمالها غضبي عليك فما تقول بدالها ويقال رحلت له نفسي إذا صبرت على أذاه ، ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى والاسم الر حيل أبو عمر : الُّرحلةُ بالضم الوجه الذي تريده "[2]

---

[1] أحمد ابن فارس - مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ط 1979م -ج6 مادة رحل - ص 497

[2] أبو نصر الجوهري - الصحاح - تحقيق أحمد عيد الغفور عطار - دار العالم للملايين - بيروت - ط4 1407 ه 1987 م - ج 4 -مادة رحل. ص 1707

وأما ابن منظور فعرفه في لسانه كما يلي :"رحل الرجل ؛ إذا سار ، ورجل رحول وقوم رحل ؛ أي يرتحلون كثيرا . ورجل رحال : عالم بذلك ومجيد له ... والترحل والارتحال الانتقال.والرحلة : اسم للارتحال .وقال بعضهم : الرحلة :الارتحال والرحلة بالضم : الوجه الذي تأخذ فيه و تريده "[1]

وقد أورد في المعجم الوسيط عن المفهوم اللغوي لرحلة ما مفاده :

"رحل عن المكان رحلا ورحيلا ورحلة ، سار ومضى ، والبعير رحلا ورحلة : جعل عليه الرحل فهو مرحول ورحيل ، وعلاه وركبه ويقال رحل فلان بمكروه ورحله بسيفه علاه به..."[2].

تكاد تجمع كل معاجم اللغة قديمها وحديثها على المفهوم اللغوي للرحلة ، الذي هو مجرد انتقال من مكان إلى أخر لشخص ما إما سيرا على الأقدام كما في القديم ، وإما بالوسائل التي تساعد على ذلك كالراحلة (البعير) وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على السفر أي أنها جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة والمقصد الذي تريد السفر إليه.

أن الرحلة قديمة قدم الإنسان إذ عرفها منذ العصور الغابرة ، لكنها كانت عبارة عن سفر يقوم به الإنسان بحثا عن الطعام والشراب هذا في البداية ، وتطور بعد ذلك إلى السفر من بلد إلى بلد بغرض التمتع والترويح عن النفس أو من أجل التعلم وأخذ العلم من أفواه العلماء وغيرها..الخ.

---

[1] ابن منظور - لسان العرب -دار صادر بيروت - ط3 - 1414ه-ج11- مادة رحل-ص 277
[2] أخمد الزيات وآخرون - المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية – دار الدعوة - القاهرة-د ط –مادة رحل - ص 334

وتلخص الرحلة قصة حياة الانسان على كوكب الارض وغيرت مجرى ومسار الحياة وفتحت أفاقا واسعة للاستكشاف وصارت بمثابة حلقة وصل بين الأمم والحضارات.

الرحلة في الإسلام:

ومما تجد الإشارة إليه أن لفظ الرحلة ورد في القرآن الكريم مرة واحدة بهذا اللفظ ونجد ذلك مثلا في سورة قريش (اِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢) [سورة قريش آية 2] فإن هذه السورة تتحدث بكاملها – حسب ما قالت عواطف محمد يوسف نواب في كتابها الرحالات المغربية والأندلسية – عن رحلة قريش التجارية وأظهرت هذه السورة بوضوح رحلتيهما إلى الشام و اليمن[1] . والقرآن الكريم لفت انتباهنا إلى فوائد وأنواع الرحالات والتي يمكن إجمالها فيما يأتي

1/ الرحلة فرار بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام:

من جملة ما اشتهر من هذه الرحلة هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة فرار من اضطهاد وظلم قريش ، وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة فرار بالدين خوفا من الفتنة ورغبة بما وعد الله عز وجل من التوسعة في الرزق وثبوت الأجر في حالة الوفاة قبل بلوغ البلاد المتنقل إليها[2]. والدليل على ذلك قوله عز و جل(۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا

[1] عواطف محمد يوسف نواب - الرحالات المغربية والأندلسية - مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين- دراسة تحليلية مقارنة –الرياض 1417ه/1996م ص 29-30.
[2]- ينظر المرجع نفسه - ص 33.

كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً

رَّحِيماً ﴿٩٩﴾).[1]

2/ الرحلة في طلب العلم :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك ، وأشهرها رحلة موسى عليه السلام مع الخضر ليتعلم منه قال تعالى(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ

حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُباً ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ

بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَباً ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا

جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً

﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ

أَنسَىٰنِيهِ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَباً

[1] سورة النساء – الآية99

﴿٦٢﴾ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً ﴿٦٣﴾

فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن

لَّدُنَّا عِلْماً ﴿٦٤﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا

عُلِّمْتَ رُشْداً ﴿٦٥﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً

﴿٦٦﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْراً ﴿٦٧﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن

شَآءَ أَللَّهُ صَابِراً وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴿٦٨﴾ قَالَ فَإِنِ اِتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِّي

عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴿٦٩﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا

رَكِبَا فِي اِلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ

اِمْراً شَيْـٔاً ﴿٧٠﴾ قَالَ أَلَمَ اَقُلِ اِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٧١﴾(قَالَ لَا

تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنَ اَمْرِي عُسْراً ﴿٧٢﴾[1] فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ

---

[1] سورة الكهف - الآية 63- 72.

إِذَا لَقِيَا غُلَٰماً فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ

جِئْتَ شَيْـًٔاً نُّكْراً ﴿٧٣﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

صَبْراً ﴿٧٤﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ

مِن لَّدُنِّي عُذْراً ﴿٧٥﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اِ۪سْتَطْعَمَآ

أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُّضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَّنقَضَّ

فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْراً ﴿٧٦﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي

وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿٧٧﴾[1] أَمَّا

اَ۬لسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي اِ۬لْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنَ اَعِيبَهَا

وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴿٧٨﴾ وَأَمَّا اَ۬لْغُلَٰمُ

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَٰناً وَكُفْراً ﴿٧٩﴾

(فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿٨١﴾ [1] فموسى عليه السلام على الرغم من بلوغه المرتبة العالية عند الله ، واختصاصه بكلامه ؛ إلا انه أصر أن يرحل للقاء العبد الصالح بغض النظر عن المسافة والمشقة وطالبا بأدب و سائلا إياه أن يعلمه مما علمه الله تعالى واشتراطه بعد م الاستفسار مما يراه مخالف لشريعته مقابل ذلك يفسر له ما غمض عليه ويمضي السرد القرآني إلى أن يفترقا (موسى والخضر).

3/ الرحلة للحج : نادى الله في القران الكريم للحج فقال جل في علاه

(وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٥﴾) [سورة الحج آية 25]

[1] ينظر المرجع السابق -ص33-34 ، سورة الكهف الآيات.59-81

الدعوة لحج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام الخليل عليه السلام فهو معروف في الجاهلية، وكان مما يرغبهم في ذلك الأسواق التي تقام فيه. فلما جاء الإسلام ألزمهم به مرة في العمر للقادر والدليل على ذلك قوله تعالى (فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾) [1]

4/ الرحلة للتجارة :

مهر العرب في التجارة ، وان كان ذلك في الجاهلية وكانت لها رحلتان في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن ، ولكن بعد إسلامهم اتسع نطاق تجارتهم تبعا لاتساع دولتهم ، بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم ، ولم يكتفوا بالرحلة برا ؛ بل ركبوا البحر أيضا خاصة بعد أن وجه الله تعالى أنظارهم لذلك[2].

فقال تعالى (رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾)[3].

فالرحلة في القرآن الكريم كانت لها أبعاد عدة يحددها الهدف من الرحلة ،وقد ارتبطت مع الأنبياء في سيرهم ،ومع العلماء في سعيهم لطلب العلم

[1] ينظر عواطف محمد يوسف نواب- الرحلات المغربية والاندلسية-ص36،آل عمران الاية 97
[2] ينظر المرجع نفسه- ص36.
[3] سورة الإسراء – الآية66

ب/ المفهوم الاصطلاحي:

قبل الحديث على المفهوم الاصطلاحي للرحلة لابد أن نعرف أين تصنف الرحلة ؟ هل ضمن الأدب أو السيرة أو التراجم؟.

إذا قلنا أن الرحلة تعتمد على السرد كوسيلة لنقل الأحداث فإن الانطلاق من اعتبار السرد الذي هو:" محاكاة لفعل كامل وتام له بداية ووسط ونهاية"[1].

فهذا يجعل الرحلة يكتنفها بعض الالتباسات بسبب بعض المكونات البنائية للخطاب الرحلي و التي يمكن إجمالها فيما يلي :

1 -بنية السفر تجعل سرد الرحلة لا يجمع أجزاء الخطاب في وحدة حكائية واحدة ولا يشكل مجمل الوحدات مقابل تلك الاستطرادات غير السردية من تأملات وتعليقات ومداخلات في شتى المجالات.

2 -هيمنة الوصف على خطاب الرحلة يجعلها كما قال لطيف زيتوني في السيمولوجيا والأدب ما يلي :" من المؤلفات الوصفية غير القائمة على الحبكة"[2]

وهنا نشير إلى أن في النقطة السالفة الذكر آنفا أن الرحلة تفتقر إلى عنصر أدبي مهم وهو الحبكة التي تربط الأحداث ، فكثرة الاستطرادات تفكك الأحداث وتفصلها عن بعضها البعض.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض الدراسات الأدبية تشير إلى إشكالية سردية الرحلة تعود إلى التعارض بين الرحلة باعتبارها إنجازا خطابيا لّأحداث حقيقية، وبين التحليل الذي يميز الخطابات السردية الأخرى ويشكل مدار سرديتها. [1]

[1] بول ريكور - الزمان والسرد- ترجمة فلاح عبد الرحيم - مراجعة جورج زيناني - دار الكتاب الجديد - بيروت - ط 2006م -ج2- ص48 .

[2] فاطمة بوطبسو - أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس - إشراف عبد الله حمادي- رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة قسنطينة ط 2011 -ص03، ولطيف زيتوني -االسيمولوجيا والأدب - مجلة عالم الفكر-الكويت - مج24- ع3- ط 1996 - ص252.

فابتعاد الرحلة عن التخييل يخل بأدبيتها ،وهذا ما جعل الخطاب الرحلي أكثر التصاقا بخطابي الرحلة السيرة والتاريخ الذي يعمد المنظرون إلى إخراجهما من دائرة الخطابات السردية بسبب افتقارها لعنصر التخييل .[2]

يلاحظ إن الدراسات الحديثة للرحلة رغم لفتها الانتباه إلى الجانب الأدبي للرحلة و إدراجها لها كفن أدبي لم تعد إشكالية التجنيس والتصنيف أهمية وسواء رد ذالك إلى اعتبار تسمية أدب الرحلة مسلمة لا تحتاج إثبات أو إلى أن الآليات النظرية المتاحة لا تمكن من الطرح العميق لمثل هذه الاشكالية ،لذا نجد أن هذه الدراسات لم تحدد بدقة الخصائص التي تتمايز بها الرحلة كخطاب أدبي عن بقية الخطابات الأدبية الأخرى ، بل اكتفت بعرض المضامين الأدبية وغير الأدبية للرحلة وأعلامها المشهورين ، وهذا ما جعل الرحلة ملتصقة بأشياء غير أدبية كالأدب الجغرافي والأدب السياحي .[3]

وهذا ما جعل تداخل الرحلة مع الأدب الجغرافي والأدب السياحي أمرا وارد ولكن لا يمكن لأي باحث أن ينكر الجانب الأدبي والقيمة الأدبية للرحلة، والتي تتجلى في " ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب و وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني . وبرغم ما تتسم به أدب الرحالات من تنوع الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، مما دعا بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب خير رد على التهمة التي لطالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة "[4]

---

[1] فاطمة بوطبسو- أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس- ص03.

[2] ينظر :المرجع نفسه- ص03

[3] ينظر المرجع نفسه- ص05

[4] حسيني محمود حسين -أدب الرحلة عند العرب- دار الأندلس للنشر والتوزيع - ط2 1989م- ص8-9.

لقد اثار أدب الرحلة اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته و، فهو تارة يكون عامي وتارة شعبي ، وهو طورا واقعي وأسطوري على حد سواء ، تكمن فيه المتعة ، كما تكمن فيه الفائدة أيضا ، لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب .[1]

وبهذه المميزات والخصائص لأدب الرحلة والتي يمكن اعتبارها على حد قول حسني محمود في كتابه "أدب الرحلة عند العرب :" نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلا . ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها[2]

وعلى هذا الأساس يمكننا اعتبار الرحلة فنا أدبيا لاحتوائه على العديد من العناصر الأدبية التي تؤهله لذلك .

رغم اتفاق العديد من الباحثين على أدبية الرحلة. ألا أن التسمية التي أطلقت على هذا الفن اختلفت و تباينت من باحث لآخر فهناك من سماها أدب الرحلات، وهناك من سماه الأدب الجغرافي ، كما فعل المستشرق عنا طيوس يوليا توفتش في كتابة "تاريخ الأدب الجغرافي " كما اختلف أيضا في تحديد طبيعة هذا الفن فهناك من اعتبره تاريخا وهناك من اعتبره جغرافيا وآخر سيرة ذاتية وغيرها من الأسماء.[3]

قيل تحد يد المفهوم أيضا لابد أن نميز بين الرحلة كفعل والرحلة كخطاب فالرحلة كفعل :" يقوم به شخص مادي كسليمان السيرافي وابن فضلان ويتمثل هذا الفعل في انتقال هذا الشخص نفسه آو شخص ثان أملى عليه الشخص الأول ... ، لكن

[1] احسني محمود حسين—أدب الرحلة عند العرب- ص09.
[2] المرجع نفسه- ص09
[3] ينظر :سعيد يقطين - السرد العربي مفاهيم وتجليات - رؤية للنشر والتوزيع القاهرة-ط1 2006م –ص200.

هذا المرسل إجرائي يعتبره مختلفا عن الشخص الأول اختلاف الفعل عن الخطاب".[1]

وبهذا يكون الفعل حركية انتقال يقوم بها صاحب الرحلة ، ويقوم به ذات تاريخية محملة بأحاسيس وانفعالات ورؤيا معينة [2].

أما الخطاب"فينجزه مرسل ينتج ملفوظاته وفق قواعد خاصة وغايات محدودة تتعين في علاقتها بالمرسل إليه " ،" وبين الفعل والخطاب مسافة زمنية فالأول سابق والثاني لاحق ، فالذات التي رأت أو ترى ليست هي الذات التي تتكلم , هذا هو التميز الإجرائي بين الرحلة وخطابها "[3]. هذا الخلط بين الرحلة وخطابها جعل من الباحثين ينشغلون بعمل أي رحالة بغض النظر عن نوعية الخطاب لذلك تباينت واختلفت تسمياتهم لهذا الفن كما سبق الذكر آنفا.

بعد أن عرفنا بأن الرحلة فن أدبي لاحتوائه على العديد من العناصر الأدبية وبعد أن عرفنا أيضا بأن بين الفعل والخطاب مسافة زمنية وأن الفعل سابق والخطاب لاحق ولنعود الآن إلى النقطة التي نحن بصددها إلا وهي المفهوم الاصطلاحي للرحلة أو أدب الرحلات .

بطرس البستاني عرفها كما يلي "انتقال واحد -أو جماعة -من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة ؛ وأسباب متعددة "[4].

وأما صلاح الدين الشامي فعرفها كما يلي :" إنجاز أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة ، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر ويتأتى هذا الإنجاز من ،أجل هدف معين ، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة

---

[1] سعيد يقطين – السرد العربي مفاهيم و تجليات- ص.200

[2] ينظر :المرجع نفسه - ص 200.

[3] المرجع نفسه - ص 200.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي- أدب الرحلات عند العرب –الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري-دار النشر للجامعات المصرية –مكتبة الوفاء ط1- 1415ه/1995م - ص24.

الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر ... وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه؛ ولكنها تكون- في الحالتين-استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل ".[1]

نستنتج من خلال التعاريفين للرحلة أن بطرس البستاني رأى بأنها مجرد انتقال لشخص أو أشخاص من مكان من أجل غرض أو هدف معين – أما التعريف الذي جاء به صلاح الدين الشامي جمع بين التعريفين تقريبا لكنه أضاف له بأنه إنجاز أو فعل فردي أو جماعي .

أما مجدي وهبة وكامل المهندس فأتى بتعريف مغايرا للتعاريف السابقة فيعرف أدب الرحلات كما يأتي :" مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ، وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد ".[2]

نستخلص من هذا التعريف أن أدب الرحلات عبارة عن انطباعات للمؤلف عن الرحلة التي قام بها ووصف ما شاهد من سلوك وعادات مع تصوير دقيق لما شاهده ورآه.

وأما أحمد الفاضل فعرفه كما يلي :" فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار أسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال وما شاهدوه في

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي - أدب الرحلات عند العرب - ص24

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب – مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت - ط2- 1984م - ص17.

البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم "[1]

أحمد الفاضل اعتبر أدب الرحلات فنا من الفنون النثرية والذي هو خلاصة تجربة سفر يقوم به شخص مدونا ملاحظاته حول ما شاهده أثناء الرحلة وحكمه على مختلف المظاهر .

وأما محمد الفاسي أتى بتعريف مغاير فعرف أدب الرحلات كما يلي" أساس هذا النوع هو شخص المؤلف وآنيته ، وصف ما يعرض له في سفره، هو ذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناظر التي يمر بها ، مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم وهو في كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه وعن وجهة نظره الخاصة في كل مسألة"[2].

نجد أن محمد الفاسي اعتبر أدب الرحلات نوع قائم بذاته أساسه شخص المؤلف مع وصف ما يعرض له أثناء سفره من عوائد وأخلاق وأيضا عبر عنه بأنه إحساس وانطباع لما يراه المؤلف أو الرحال .

وعند انجيل بطرس أن أدب الرحلات : " وهو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب "[3].

الجديد في تعريف إنجيل بطرس أنه اعتبره أدب الرحلات الواقعية مع تسجيل مشاهدته بشيء من الدقة والصدق والأسلوب الجميل.ومحمد يوسف نجم يقول بأن له

[1] أحمد الفاضل –تاريخ وعصور الأدب العربي – دار الفكر اللبناني بيروت- ط1 -2003م - ص54.

[2] إسماعيل زردومي –فن الرحلة في الأدب المغربي القديم –أطروحة دكتورة الأدب القديم-عبدالله العشي-قسم اللغة العربية وآدابها باتنة-2004م/2005م-ص12، 13.

[3] ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب-ص 38

قيمة إذ يصفه بأن "قيمته متأتية من أنها تصور لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه والانطباعات التي تركها في نفسه :ناسه وحيواناته ومشاهده الطبيعية وآثاره ، فهي بذلك مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنة جديدة وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد .. فالرحلة إذن ليست سوى تجربة إنسانية حية يتمرس بها ، ويجعل التعرف إلى دقائقها واستكناه خفاياها وكده،

فيخرج منها أكثر فهما واصدق ملاحظة وأغنى ثقافة وأعمق تأملا ..."[1].

إن هذه التعريفات السابقة لم ترد في بحث مستقل - حسب ما قال ناصر عبد الرزاق الموافي – إنما وردت على هيئة مقالات أو تعليقات أو مقدمات كتب ،ومع ذلك يعتبرها اجتهادات ومحاولات ، تكاد تجمع على أن أدب الرحلة يعتمد على عدة أسس أهمها .

1 -يقوم على رحلة أو رحلات واقعية في زمان ومكان محددين.
2 -الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه ، يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة .
3 -إن الوصف يجب أن يوازن بين شخص الرحال من ناحية والرحلة كموضوع من ناحية أخرى .
4 -وهو فن قائم بذاته ، له أصوله وقواعده الفضفاضة ،التي تتيح قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد أو عصر أو بيئة .
5 -ويهدف إلى التأثير في القارئ والتواصل معه مستمتعا بكل ما فيه. بناء على هذه الأسس يمكن تعريف أدب الرحالات كما يلي :

[1] ناصر عبدالرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب - ص39.

"ذلك النثر الذي يصف رحلة ـ أو رحلات ـ واقعية قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرنين ، يهدف إلى التواصل مع القارئ والتأثير فيه "[1]

ـ الرحلة تعتبر : " وثيقة تاريخية وأدبية تقوم على السرد والمشاهدة والمعاينة والوصف الدقيق لأحوال المجتمع الذي ارتحل إليه صاحب الرحلة ، وأحوال أهله وعلمائه ، وتكشف طبيعة الود الإنساني بالآخر الذي تسعى الرحلة إلى تشكيله "[2] .

إذن الرحلة نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء الرحلة التي قام بها إلى أحد البلدان. أو يملي مشاهداته ومشاعره إلى شخص آخر. والموضوع الذي يتناوله أدب الرحلة هو أن كل ما يراه المغترب الرحال وعايشه ويقرأه من ملامح بلد أجنبي بعادات وتقاليد سكانه وخلفيته السياسية والثقافية والاجتماعية وأحداث عايشها الأديب ، بحيث يسجل فيه أيضا مرائي الكون والطبيعة وطبائع البشر والشعوب التي قدر للرحالة أن يتفاعلوا معها[3].

موسوعية أدب الرحلة تجعله مكان خصب لعرض جميع نواحي الحياة " إذ تتوفر مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ، ومؤرخي الأديان والأساطير فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم ... فالرحال وهو يطوي الأرض أثناء رحلته تعطى في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة من الحياة يشاهدها أو يسمعها أحيانا أثناء رحلته "[4]

تلك هي بعض التعاريف الأولية للرحلة أو أدب الرحلة أو أدب الرحلات التي تحتمل الخطأ والصواب . وتنتقل الآن إلى تعاريف أكثر دقة تقريبا من التعاريف السالفة الذكر. إذ نجد آخر ربط الرحلة بالذات وعبر عنها بما يلي "...رغبة عميقة

---

[1] المرجع السابق ـ ص 41،40.
[2] أحمد الفاضل ـ تاريخ وعصور الأدب العربي ـ ص 154.
[3] ينظرالمرجع نفسه ـ ص 154.
[4] حسني محمود حسين – أدب الرحلة عند العرب –ص07.

في التغيير الداخلي، تنشأ متوازية مع الحاجة إلى تجارب جديدة أكثر من تعبيرها في الواقع عن تغيير مكاني "[1].

بينما ترى باحثة أخرى في هذا المجال تعريفا آخر لهذا اللون إذ تقول: " إذن الرحلة مادة حكائية تجري في الزمن المسجل بدقة من قبل الكاتب تحكى كأحداث وقعت في الماضي في أمكنة معينة ... ولا يمكن الفصل بين زمان الرحلة ومكانها إلا نظريا ؛ لأن المكان يمتلك ميزة بالضرورة ، ويتحرك كاتب الرحلة للتنقل من مكان إلى آخر عبر الاسترجاع الذي تمارسه الذاكرة "[2].

الجديد في تعريف الباحثة أم سلمى في كتابها "صورة الغرب في الرحلة المغربية "هو الفصل بين الزمن الفعلي للرحلة وكتابتها ، فز من الكتابة هو الذي أدى بالذاكرة تسترجع ما كان مختزن من زمان مضى وانتهى لرحلة ما .

ويرى آخر أنها : " تشكيل لنص ذاتي شخصي بخصوص الأنا والآخر، يتبنيان متكيفا في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة ،انطلاقا من خطاب مصفح عنه في البداية أو مضمن في تضاعيف السرد ، الوصف والتعليقات "[3].

هذا التعريف يبين لنا أن أدب الرحلات هو نص ذاتي شخصي وأن له علاقة بالأنا و الأخر ويبرز لنا أيضا نوع الخطاب باعتباره مكتوبا أو شفويا .

يمكن القول أن أدب الرحلات هو فن قائم بخصوصياته إلا أنه تتداخل معه كثير من الأجناس ، وأنه كذلك يتداخل معه مع العلوم الأخرى كالجغرافيا والجغرافيا الوصفية – إذن ما الفرق بين هذه العلوم الثلاثة ؟

- **الفرق بين الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي وأدب الرحلات :**

هناك تداخل بين هذه العلوم ،إلا أنه يوجد ما يميز كل منهما عن الآخر.

[1] إسماعيل زردومي _ فن الرحلة في الأدب المغربي القديم _ص 13.
[2] المرجع نفسه – ص15- نقلا عن أم سلمة – صورة الغرب في الرحلة المغربية – رحلة الصفار نموذجا – مقال مجلة المنعطف وجدة- العدد7،6- د،ط 1414ه/1393م- ص132.
[3] إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم- ص15.

أ/ **الجغرافيا الوصفية :** يغلب عليها النهج العلمي أو الوصف الجغرافي العلمي ، والذي يهدف إلى توصيل المعلومات مباشرة بلغة متداولة ، لا تراع فيها النواحي الجمالية ويطلف عليها ما يعرف بعلم المسالك والممالك وأشهر كتب هذا القسم "المسالك والممالك " لابن حوقل و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم في معرفة الأقاليم " للمقدسي و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "للإدريسي.

الكتب الخاصة بالمسالك والممالك لم تكن جغرافيا خالصة بل كان له علاقة بالعلوم الأخرى وبلغت الجغرافيا الوصفية أوجها في الغرب الإسلامي على يد "الإدريسي" في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وابن حوقل في كتابة " صورة الأرض" [1].

ب/ **الأدب الجغرافي:** يوازن بين المنهج العلمي والأسلوب الأدبي ،في هذا القسم يغلب النهج الأدبي باعتباره الغالب على المؤلف ، فالموضوع جغرافي لكن التناول أدبي، وهو أدب يشكل عنصرا ضخما وأساسيا في الموضوع العربي ويتخذ صورا متنوعة ، فهو أحيانا ذو طابع رسمي و أحيانا ذو الطبع شعبي ، وأحيانا أخرى أسطوري – أنه ذلك الأدب الذي يروي لنا الكثير من مغامرات البحر كالسندباد البحري أو قصص عجائب المخلوقات . وهذه الكتب متفاوتة من حيث الحقائق العلمية والخيال لكنها جميعا لا تخلو من بعض هذه العناصر ،فالأدب الجغرافي أدب يحرز على إعجاب كثير من غير العرب لطابعه الفني الذي يمزج الحقيقة بالخيال والحلم با لواقع [2].

وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بلغ الأدب الجغرافي العربي أوجه في مجال تطوره الخلاف كحركة مستقلة قائمة بذاتها ، وأن هذا الأدب يزخر

[1] ينظر ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب - ص21،وإسماعيل زردومي- فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص4،3.

[2] ينظر المرجعان نفسهما– ص21-ص05.

بمصنفات هامة في محيط الجغرافية الإقليمية ، غير أن الإنتاج الأدبي فيه لم يقف عند هذا الحد بل تعداه فقد تم في القرن أيضا تشكيل ، وقد بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا [1].

ج/ أدب الرحلات : يمثل هذا الأدب محور الارتكاز في هذا القسم من الرحلات و إن كانت الجوانب الأخرى موجودة أيضا ، وقد ألف الكتاب والدارسون استعمال مصطلح "أدب الرحلات " في كل كتابات الرحالين العرب والمسلمين التي يصفون فيها البلدان والسكان ، يضمنونها كثيرا من الأحداث التي شاركوا فيها برا أو بجرا ، ويسجلون انطباعاتهم الشخصية حول تلك الأحداث ، وقد يصدرون أحكام تتوافق مع رؤاهم الفكرية والعلمية ومعتقداتهم الدينية أو المذهبية . أدب الرحلات نضج وازدهر بالمغرب في أواخر القرن السادس الهجري . وأن المرئيات المحسوسة امتزجت - حسب رأي عبد الرحيم مودن في "أدبية الرحلة" -بالانطباعات الشخصية والوجدانية والوصف الدقيق لليوميات مع مشاق الطريق وأحوال السفر التي تمثل أدب الرحلات لدى الغرب أصدق تمثيل وتجسد الكثير من خصائص هذا الأدب [2]

الرحلة التي يقوم بها الرحال ينبغي أن تتوفر فيها شرطان هما :

1/ أن يكون من يكتب الرحلات رحالا بطبعه محبا للرحلات .

2/ أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة التي تملكته للقيام بها [3] .

---

[1] ينظر: صبري فارس الهيثي – التراث الجغرافي العربي الإسلامي – دار الوراق للنشر والتوزيع – ط1- 2007م- ص15.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب –ص21 ، وإسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم- ص 6،7

[3] ينظر - إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم –ص07.

رغم أن أن هذين الشرطين مهمان إلا أنهما لا يتوفر ان في كل الرحلات ، فابن جبير كتب رحلته وابن بطوطة أملى رحلته وابن الحاج النميري تركها متفرقة .

نجد أن طريقة التدوين هي التي تصنف النصوص بين الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي و أدب الرحلة . لكن كيف تعرف أن هذه جغرافيا وصفية وهذا أدب جغرافي وهذا أدب الرحلة ؟ فإذا اختفت العناصر الأدبية والذاتية صنف هذا على أنه جغرافيا وصفية.أما إذا حاول الرحال أن يوازن بين الموضوع والذات فإن عمله هذا يصنف على أنه أدب جغرافي ، وإذا طغت العناصر الأدبية الذاتية فإنه يصنف على أنه أدب رحلة[1]

3/ دوافع الرحلة وأسبابها :

تعددت دوافع الرحلة وأسبابها ما بين محب للرحلة بطبعه وبين من يرحل بغرض التجوال والتمتع والترويح عن النفس.

قسمت هذه الدوافع حسب ما يراه كل باحث.

قسم فؤاد قنديل دوافع الرحلة إلى عدة أقسام :

1 ـ **دوافع دينية:** الرحال يرحل من أجل الحج والأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة و تطهيرا للنفس من دنس الذنوب،وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في مغفرة الذنوب.

2 ـ **دوافع علمية أو تعليمية :** وذلك بغرض أخذ العلم والاستزادة منه في منطقة أخرى من العالم والتي ذاع صيت أبنائها في مختلف مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة وغيرها . وتذكر الحديث والسيرة .وكان من الفقهاء والعلماء من يقطع

---

[1] ينظر – ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب- ص35.

القفار ويعبر الأنهار ويتكبد جميع المشاق والمصائب طلبا لحديث نبوي سمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه.

3 ـ **دوافع سياسية :** الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى وذلك من أجل تبادل الرأي وتمتين العلاقات أو مناقشة شؤون الحرب أو تمهيدا لفتح أو غزو.

4 ـ **دوافع سياسية وثقافية :** تصدر عن حب ورغبة في التجوال نفسه والسفر لذاته , والتنقل وتغيير الأجواء ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع .[1]

5 ـ **دوافع اقتصادية:** وذلك بغرض التجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية،أو لجلب سلع تتوافر في بلاد وتندر في البلد المسافر إليه، وربما هربا من الأسعار الغالية وسعيا وراء الرخص والسير والوفرة أو للعمل

6 ـ **دوافع صحية :** كأن يسافر من أجل العلاج والاستشفاء ، أو إراحة النفس من ألوان العناء أو تخليصها من الكد كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها ، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث .

7 ـ **دوافع أخرى:** ربما تكون هذه الرحلة سخطا على الأحوال أو تضايقا من العيش أو هروبا من عقوبة[2]

أما علي إبراهيم كردي قسم دوافع الرحلة إلى ما يلي :

1 ـ**الرحلة الحجازية :**تحتل هذه الرحلة المرتبة الأولى بين الرحلات لأنها تتجه إلى الأماكن المقدسة وهي الحج،حيث نجد أن مبتغى كل مسلم أن يزور الكعبة المشرفة ، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم . ومسلمي المغرب لم تكن تكفيهم زيارة واحدة بل أكثر لأنهم ما أن يعودوا إلى أقطابهم يعاودهم الشوق والحنين مرة أخرى.

[1] ينظر: فؤاد قنديل –أدب الرحلة في التراث العربي – ص 19

[2] ينظر:المرجع نفسه - ص 20.

2 -**الرحلة في طلب العلم :** منذ القديم اهتم الطلاب بالرحلة لطلب العلم . وعندما جاء الإسلام كذلك حث عليه وفرضه على كل مسلم ومسلمة . حيث نجد أن من يسافر لأجل التأكد من حديث سمعه أو للقاء عالم .والدليل على ذلك ما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه قال " ما أنزلت آية إلا وأنا اعلم فيما أنزلت، ولو أني أعلم أن أحدا اعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل والمطايا لأتيته "، وكثيرا ما نجد أن الحج وطلب العلم يجتمعان في رحلة واحدة كرحلة ابن رشيد والعبدري وغيرهما .

وهناك أيضا الرحل السياحية والغرض منها الإطلاع على عجائب وغرائب البلد والرحل السفارية والتي كانت ذات حدو سياسي كرحلة الإكسير في فكاك الأسير.[1]

يبدوا أن تقسيم فوائد قنديل لدوافع الرحلة كان دقيقا.

4/ طرق تدوين الرحلات :

للرحالين طرق عدة في تدوين الرحلات تصنف كالتالي :

أ/ **رحلات كتبت أثناء الرحلة :** حيث أن هذه الرحلة التزم فيها التسلسل الذي سار عليه الرحالة ووصف ما شاهدوه من بلدان وما لاقوه من أشخاص وبشكل دقيق وفق ما حصل زمن حدوثها ومكانها ويمثل هذا الاتجاه العبدري والدليل على ذلك قوله حين التقى ابن دقيق العيد في القاهرة وحصل على الإجازة : " وقف على ما تقيد من هذه الرحلة واستحسنه ، وأفادني فيها أشياء وقيد منها وفاة الشقراطسي"[2]

ب/ رحلات كتبت من المذكرات : هذه الرحلات دونها أصحابها أثناء الرحلة وهي عبارة عن الخطوط العريضة للقضايا التي واجهها أثناء الرحلة في رحلته تلك ، والفوائد التي أستفادها من الرحلة والأسانيد التي حاز عليها و يعمد الرحالة إلى تدوين المعارف في زمنها حتى لا ينس؛ لكن تلك الرحلة لا ترى النور إلا بعد التنقيح ، حيث أنها تتأخر في الخروج إلى الناس في غير زمن القيام بها . يمثل هذا الاتجاه

[1] ينظر – علي إبراهيم كردي – أدب الرحل في المغرب والأندلس –الهيئة العامة السورية للكتاب –دمشق-2013م-ص12-14.

[2] ينظر الحسن الشاهدي – أدب الرحلة في العصر المريني.-ص 57،56

التجيبي في "مستفاد الرحلة والاغتراب " وإبراهيم رشيد دون وهو في الرحلة مذكرا ت ونصوصا وأشعارا بعد عودته من الرحلة نظم ما جمعه وأخرجه منسقا [1]

ج/ رحلات كتب من الذاكرة : أي أن هذه الرحلات كتبت بعد عودتهم من الرحلة ، يكتب الرحالة رحلته تلك من ذاكرته وفق ما بقى عالقا في ذهنه ومن هذا النوع رحلة ابن بطوطة والتي قام بتدوينها الكاتب ابن جزي بتكليف من أبي عنان المريني(759ه/1358م) الذي أعجب بإخبارها وعجائبها .

ونجد أيضا رحلة أبي يعقوب البادسي وسياحته الصوفية في المشرق فمدون هذه الرحلة اعتمد في كتابتها على ما رسخ في ذاكرة مريديه وبعض أتباعه ، و الدليل على ذلك قوله ' واذكر من ذلك ما تظافر من الجم الغفير على نقله أو ما سمعته ممن أثق بدينه وعلمه"[2]

5/ أنواع الرحلة وأقسامها :

أ ـأنواع الرحلة :

اختلف الباحثون المعاصرون في تصنيف الرحلات العربية، وظهر اختلافهم جليا حسب رأي عبد الرزاق الموافي ، ففريق اتبع النهج التاريخي وآخر لجأ إلى الفترة الزمنية كحكم وغيرهم خلط بين المنهجين التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج أنواع لا رابط بينها فريق ذهب بعدد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل ، وفريق اقترب من الحق .

[1] ينظر الحسن الشاهدي -أد ب الرحلة في العصر المريني– ص57- علي إبراهيم كردي – أدب الرحلات في المغرب والأندلس- ص15

[2] ينظر. المرجعان نفسهما –ص 58، ص-15.

نجد أن الدكتور أحمد رمضان قسم الرحال لا الرحلة إلى : رحالة جغرافيين ورحالة مشارقه ورحالة مغاربة ، وهنا يبدوا الخلط واضحا في المنهج .[1]

وأما الدكتور "شوقي ضيف " رحلات جغرافية ورحلات بحرية ورحلات في الأمم والبلدان .

وأما الدكتور حسين فوزي فقد ميز بين فرق أربع وصفت البلدان :

1 ـفريق جمع معارف غيره من معاصرين وقدماء كالبيروني والإدريسي وأبي الفدا

2 ـفريق تنقل في البلاد،ووصف ما رأى وعرف مثل : التاجر سليمان وأبي دلف وابن جبير وابن بطوطة.

3 ـفريق عنى – بحكم مقره أو وظيفته- بتدوين ما سمعه من الرحالين والتجربة وما تحويه أضابير ديوانه من معارف أمثال: ابن خرداذبة والجيهاني وأبي زيد الحسن السيرافي.

4 ـفريق سافر إلى بعض الأصقاع ، لكنه لم يكتف بمشاهدته الشخصية بل راح يضيف ما طالعه في كتب غيره ، أو سمعه في حله وترحاله من أفواه السفار وهواة المعارف الجغرافية ومن هؤلاء المسعودي ، والبيروني وياقوت الحموي .[2]

أما محمد الفاسي فصنف أو قسم الرحلات إلى خمسة عشر نوعا في مقدمة تحقيقه لكتاب" الإكسير فكاك الأسير" وهي :

1 ـ**الرحلات الحجازية :** يجب أن يحدد أولا الحجاز ، حيث نقول أن "الحجاز أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية القديمة . معروف موقعة غير واضحة حدوده.

[1] ينظر : ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب-ص31 .

[2] ينظر :المرجع نفسه- ص 31.

ومعنى الحجاز : الحد أو الفصل أو الحجز ولفظ الحجاز عرف قديما منذ كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون أشتاتا يعمهم التفكك السياسي ولا تجمعهم دولة . فهم مجموعة من القبائل استقرت في مناطق معينة غير واضحة الحدود وغير ثابتة ولا متطابقة مع الأقسام الجغرافية مع ملاحظة تمتع بعض مدنه بالاستقلال وفق نظام خاص مثل مكة والمدينة إمارة اتسعت رقعتها على حساب غيرها "[1].

والرحلة الحجازية هي : التي يضعها صاحبها بعد الرجوع من قضاء فريضة الحج.

2 -الرحلات السياحية .
3 -الرحلات الرسمية.
4 -الرحلات الدراسية.
5 -الرحلات الأثرية.
6 -الرحلات الاستكشافية .
7 -الرحلات الزيارية .
8 -الرحلات السياسية
9- الرحلات العلمية .
10- الرحلات المقامية.
11- الرحلات البلدانية.
12- الرحلات الخيالية.
13- الرحلات الفهرسية.
14- الرحلات العامة.
15- الرحلات السفارية.[2]

ويعتبر ناصر عبد الرزاق الموافي أن هذا التقسيم أغرب التقسيمات – وأقرب هذه التصنيفات تصنيف صلاح الدين الشامي إذ أنه يقسم الرحلة إلى ستة أنواع منها ثلاث قبل الإسلام وثلاث بعده .

*قبل الإسلام :

1- رحلة الحج 2- رحلة الحرب 3- رحلة السفارة

*بعد الإسلام

1- رحلة الحج 2- رحلة طلب العلم 3- رحلة التجوال والتطواف [3]

---

[1] عواطف يوسف نواب – الرحلات المغربية والأندلسية –الرياض-د-ط11417ه/1996م-ص7
[2] أحمد بن عثمان المكناسي – الإكسير في فكاك الأسير- تحقيق محمد الفاسي –الرباط -1965م- المقدمة.
[3] ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب - ص32-33

ب/ أقسام الرحلة :

الرحلة أقسام عديدة تكون حسب الأسباب ومنها :

1 ـ**الرحلة الدينية :** " وهو أن يكون الباعث على أساس زيارة البقاع المقدسة وعلى رأسها ـمكة والمدينة مهبط الوحي بالإضافة إلى زيارة المسجد الأقصى وزيارة الأولياء الصالحين مما يدفعهم إلى تسجيل ما يشاهدونه وما يرونه خلال السفر ، ويصوغون ذلك في قوالب فنية تخلد رحلاتهم وذكرياتهم ، كما كانت زيارة الأولياء وأضرحتهم السبب الكبير الذي دفع الصوفية خاصة إلى الرحلة فكتبوا عن المشاهد والمزارات والكرامات وأتعاب السفر في ذلك، ومن الأمثلة نجد الرحالة ابن جبير ـ الذي قام بثلاث رحلات إلى الحج .[1]

2 ـ**الرحلة الاقتصادية:** " وكان الباعث عليها التجارة في الأساس ، فبلاد العرب خصوصا عرفت تبادلا تجاريا من الهند والصين ، فرحل العرب إليها وجاء إلى بلادها كثير من الرحالة، ولما انتشر الإسلام وبسطت الخلافة الإسلامية سلطانها على العالم اتسع نطاق التجارة ليشمل إفريقيا وجنوب أوروبا .

ومن أشهر الرحالة الذين اشتهروا بها نجد سليمان التاجر ـابن بطوطة . والرحلة الاقتصادية هدفها اليوم معرفة المواقع الإستراتيجية لتسهيل نقل البضائع ومعرفة الموقع والهياكل القاعدية في البلدات وذالك لتسجيل الاستثمار والسيولة المالية "[2]

3 ـ**الرحلة العلمية :** طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات ، وكان الإسلام دائما مشجعا لشد الرحال لطلب العلم فرحل اللغويون والنحويون ورواة الشعر للبوادي لجمع اللغة من أهلها وفي محلها الصافي الذي لم يكدر بلكنة أو لحن ، ورحل المحدثون إلى الصحابة والتابعين لحفظ الأحاديث من التشويه وحمايته من الدخيل والموضوع فقد استجمع أهل الحديث أمرهم وانطلقوا في الأرض باحثين

[1] حسين النصار ـ أدب الرحلة-الشركة المصرية العالمية للكتاب مكتبة لبنان ط1 – 1991م- ص21.
[2] المرجع نفسه- ص21.

عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوهاد والنجاد وكذلك كان طلاب العلم من الرحالة بل إن كثيرا من الرحلات ارتبطت بالإجازات العلمية خاصة أثناء النهضة العربية الحديثة التي تم فيها الانفتاح على الآخر بعد الانزواء والتقوقع "[1] وكذلك الرحلات الاستكشافية فإنها تدخل ضمن الرحلات العلمية والغرض منها البحث عن المجهول ، ومن هذه الرحلات المقدسي – المسعودي البيروني "[2]

4 ـ**الرحلات الإدارية :** وهي التي تكلف بها إحدى الإدارات أو الحاكم نفسه أو مجموعة معينة لتحقيق هدف ما ، ولما توسعت الدولة الإسلامية وتراست أطرافها تحتم عليها اتخاذ عيون وسفراء ينقلون لها الأخبار ، والمعلومات الخاصة بما يضمن استقرار الدولة ، ويذهب بعض الدارسين أن التجسس كان سببا في قيام بعض الرحلات القديمة .

5 ـ**الرحلة الشخصية:** وهي التي تنبع من رغبة الشخص في السفر حبا فيه ودفعا للخمول والركود ، حيث يتحلى هؤلاء بروح المغامرة والمبادرة والمجازفة وقد كان الأمر قليلا قديما.

6 ـ**الرحلة الخيالية :** يرى الدكتور شوقي ضيف أن الإنسان كان يتخيل رحلات غير محسوسة والدليل على ذلك قوله " إن الإنسان ولد راحلا فإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات محسوسة لعالم الخيال ، فالرحلة الخيالية تتميز بالاتساع فهي لا تقتصر على الماضي القريب أو البعيد بل تتعدى إلى الحاضر والمستقبل ، ومن هذه الرحلات الخيالية القديمة نذكر رحلة أبي العلاء المعري "رسالة الغفران"[3]

6 خصائص الرحلة :

---

[1] عبد الحكم عبد الله الصعيدي – الرحلة في الإسلام – الدار العربية للكتاب –ط1-1992-ص65-

[2] جورج غريب –أدب الرحلة –تاريخه وإعلامه –دار الثقافة بيروت-ط3-1989م-ص58.

[3] أحمد فارس الشدياق – الوساطة في معرفة أحوال مالطة –مطبعة الجوائب – ط2 -1922-ص32.

قسم ناصر عبد الرزاق الموافي خصائص الرحلة إلى قسمين خصائص مميزة للمضمون وخصائص مميزة للشكل .

أ ـ**الخصائص المميزة للمضمون :** قسمت هذه الخصائص إلى عدة طوابع :

1/ **الطابع الموسوعي والمعرفي :** في هذا الطابع يعطى للرحال حريته ، وهوفي الحقيقة قيد ذلك لأنه يتحتم عليه الاختيار الدقيق الذي يضمن دوام التواصل مع القارئ وهنا تكمن صعوبة الكتابة في أدب الرحلات... ليست الموسوعية ميزة على إطلاقها بل هي ميزة إذا أحسن استغلالها – والطابع الموسوعي هو طابع معرفي في الوقت ذاته .

2/ الطابع الوثائقي :

خصت الرحلة بأنها وثيقة يمكن الرجوع إليها لأنها :

-محددة الزمان والمكان .

-واقعية ذات أهداف ونتائج.

-معروفة المؤلف

تعتبر الرحلة وثيقة حية ونتاج معاينة ومعاناة.

إن إدراك الرحالين للطابع الوثائقي في رحلاتهم جعلهم يزودون كتبهم بكل ما يؤكد هذا الجانب.[1]

3/ **الطابع الفردي الذاتي:** له سمة خاصة وهو أن الاختيار والتوجه والاعتماد على الذات في توفير نفقات الرحلة، والسعي لمواجهة الصعاب ، والتخلص من المآزق والتجريب والاستقصاء ، كل هذا يساعد الرحال لاكتشاف ذاته إن الرحال قد يفلح في

[1] ينظر ناصر عبد الرزاق الموافي – الرحلة في الأدب العربي –ص48-50.

استكناه ذاته ولكن لا يتسنى له ذلك إلا بعد أن يدون رحلته وينشرها فإن أفلح في استكناه نظريا وعمليا فإن عمله يصبح وثيقة نفسية رائعة.

إن الرحال عندما يريد أن يخفف عن ما كابده من مصاعب ومشاق يسجل ما شاهده وما خاضه من تجارب في كتاب . وأن أفضل أجزاء الرحلة هي تلك التي تصف نفس الرحال وتستبطن ذاته وإن الاستخدام الذكي لها يكفل صبغ الرحلة بصبغة أدبية فنية متميزة .

4/ الطابع الكشفي : يتأتى هذا الطابع باستغلال الرحال لبصيرته وصولا إلى الحكمة التي تؤهله أن يطلق عليه لقب الخبير أو المجرب .

والكشف المتميز هو الناتج عن التأمل ، والتأمل يتم أثناء الرحلة أو بعدها وهي لحظات الاسترجاع والاستعراض العام لوقائعها .[1]

5/ الطابع الإنساني : له صبغة قيمة وهذا ما نلتمسه في هدا القول : "الرحال إنسان يصف الإنسان وما يتعلق به ويوجه وصفه إلى إنسان غريب هذه المحاور الثلاثة يبد والطابع الإنساني للرحلة جليا ".[2]

فاقتناع الرحال بأنه فرد في جماعة وجزء من كل جماعة ينظر إلى هذه الجماعة محاولا الكشف عن نفسه في كل حال كونه كل . فهذا المجموع أو الجماعة يؤكد الطابع الإنساني للرحلة .

ركز الرحالون القدماء في وصف صورة الإنسان الفردية على عدة جوانب منها الجانب الخلقي و الخُلقي، وصفاته العقلية والنفسية ونصوا على ديانته ومعتقداته ووصف لغته وتوضيح مميزاته وخصائصه الفارقة وكذلك العادات والتقاليد .

[1] ينظر المرجع السابق–ص50-52.
[2] المرجع نفسه –ص52.

6/ الطابع الشعبي : يترتب على كون الرحلة تصف شعوريا أنها تكون ذات طابع شعبي ، وهذا الطابع في حقيقته مزدوج أي أنه يصف شعوبا وهو موجه إليها ومراع لها ويجب على الكاتب أن يضع في حسبانه أن عمله موجه جمهور أو شعب.

إن العجائب والخرافات والأساطير التي طغت على كتب الرحلات هي استجابة لمطالب جماهيرية .[1]

7/ الطابع الجمالي : عبر غنيمي هلال عن هذا الجمال الذي يخرج من أجله الرحال موضعه بقوله : "متعة لا غاية لها ولا علاقة لها بالمنفعة الحسية – كما هو الشأن في اللذيذ – ولا بالمصلحة الخلقية كما هو الشأن في الخير وتلك المتعة أساس حكم ذاتي ابتداء ، ولكنه عالمي ...كما أن هذه العالمية في الحكم الجمالي لا تستند إلى قاعدة "[2]

الجمال مصادره متعددة وجوانبه كثيرة ، وذوق الرحال هو الذي يحدد كون الشيء جميلا من عدمه.

ومن الجوانب الجمالية المتعددة ، ينجذ ب الرحالون إلى جمال الطبيعة خاصة.

8/ الطابع النقدي : يجب على الرحال أن يتحلى بامتلاك روح الناقد البصير المحايد الحكم النقدي الصادر عن الرحال ينتج خبرتين هما :

1 ـ الخبرة السابقة

2 ـ الخبرة المضافة

قد يكون حكم الرحال انطباعيا أو موضوعيا.

[1] ينظر المرجع السابق–ص 53.
[2] محمد غنيم هلال –النقد الأدبي الحديث-دار مطالع الشعب 1960م-ص308.

إن أهم ما يميز الرحال الحق عن المزيف كونه مستطيعا نقد ما يرى عليه أن لا يكتفي بالمشاهدة والوصف ولكنه يتعداهما الى النقد ، وهذا ما أدركه الرحالة القدماء ووسموه بالطابع المزدوج.

9/ الطابع الفكاهي : قد يتخذ النقد طابعا فكاهيا ساخرا و يكون أبلغ في الوصول إلى المبتغى وما ندل به على ذلك الفصل الخاص بصقلية في كتاب ابن حوقل من أروع ما كتب الرحالة في هذا المجال. وللمقدسي مواقف كثيرة طريفة تدخل في باب الفكاهة واستنتاجاته الطريفة من الأسماء.

وقد اعتبر أحد النقاد أن مميزات كتب الرحلات أن تتجلى فيها روح الفكاهة وروح الطرفة وأوصاف شائعة للمشاهدات والانطباعات .[1]

ب/ الخصائص المميزة للشكل :

يستوجب أن نقول أنه يتحكم في شكل الرحلة طريقة التدوين والتي تؤدي تكوين بنية . وطريقة التدوين يحكمها الأسلوب أو اللغة وهذه العناصر الثلاثة تؤدي إلى الكشف عن بعض الخصائص المميزة لأدب الرحلة من حيث شكله والآن نأتي لنفصل هذه الخصائص المميزة للشكل كما يأتي :

أ/ طريقة التدوين:

يعد التدوين عملا حضاريا ينم عن فطنة الرحال فطنة عملية وفطرية ، وأن الرحلة المدونة لا تعرف الازدهار إلا في ظل الازدهار الحضاري لأمة من الأمم .

تكمن أهمية طريقة التدوين في أنها تميز بين كتاب في أدب الرحلات وآخر في نوع أدبي علمي يعتمد على محصلات الرحلة .

[1] ينظر ناصر عبد الرزاق الموافي- أدب الرحلات عند العرب-ص54-58.

الرحال يختار نهجا بعينه وهو واع بمميزاته وعيوبه ؛ لأن هذا النهج في نظره النهج الأمثل . لكن المادة المتوفرة في ذهن الرحال هي التي تحدد نهجه ، فهناك من الرحالين من يدون ما يصادفه أثناء الرحلة بشكل منتظم فهناك من يدون بصورة متقطعة، وهناك من يعتمد على ذاكرته بعد عودته وعلى هذا ينقسم الرحالة إلى قسمين :

1 ـ فريق يعتمد على المادة المدونة أثناء الرحلة إضافة إلى الذاكرة والقراءات السابقة .

2 ـ فريق يعتمد على الذاكرة فحسب.

نلاحظ أن الفريق الأول الذي اعتمد على ما دونه أثناء الرحلة تكون له مادة ثرية ومصادر متعددة أما الفريق الثاني الذي يعتمد على ذاكرته فقط ربما تخونه .

ربما تتيح فترات التوقف الطويلة والجبرية أثناء الرحلة الفرصة للتأمل ومن ثم التدوين المتأني.

على الرحال أن يكون هدفه من الرحلة واضحا ، وعلى. ذلك يختار المنهج الذي يراه مناسبا والمناهج عديدة نذكر منها:

1 ـ التدوين الزمني .

2 ـ التدوين المكاني.

3 ـ التدوين الموضوعي .

4- التدوين الانتقائي

5- التدوين ألاستدعائي .[1]

تلك هي المناهج السائدة في كتب والتي يستوجب على الرحال أن لا يتجاوزها إلى غيرها أو ابتداعه لمنهج جديد وفق مقدرته.

[1] ينظر المرجع السابق ـص60-63.

ب/ البنية :

الهدف من البنية بيان مدى التوافق بين أجزاء النص فيما بينها , وبيان مدى الانسجام بين النص وهدفه ،وبهذا يكون التوافق على ضربين :

*توافق داخلي .

*توافق خارجي.

فالتوافق الداخلي ينطلق من الجزيئات الصغيرة مفترضا تناغمها وتناسقها ليصل إلى تكوين جملة ذات نسق معتاد أو مبتكر ، ثم ينتقل من هذه الجمل وتفاعلها إلى فقرات يشترط فيها وضوح الأفكار وتناغمها مع سابقها وما يليها بحيث تكون حلقة من سلسلة متماسكة .

والرحال المميز الذي يجيد وصف رحلته سيحقق لبنيتها كافة العناصر الفنية التي تكفل تماسكها ، طالما وازن بين أحداث الرحلة وشخصها ، ووحدة الحدث ترتبط بشخص الرحال وواقعية الرحلة .

والبنية أنواع يمكن تقسيمها في أدب الرحلات إلى :

1/ البنية النمطية . 3/البنية الانتقائية .

2/ البنية المحورية. 4/ البنية التضمينية .[1]

ج/ اللغة :

يعتبر البناء المنطقي خير وسيلة لتحقيق الهدف، وإن هذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المتمثلة في الكلمة والعبارة والفقرة وينتهي إلى الروح العام

---

[1] ينظر:المرجع السابق – ص 68-75.

المرفرف على العمل كله ليشمله ويربط بين أجزائه ويسد ثغراته. والوحدات الصغيرة قد تكون أكثر تعبيرا عن شخص الكاتب. ومستعملة وغير مكررة في جملة واحدة قصيرة و غير متناثرة مع جاراتها .

لقد درج كتاب هذا النوع على استخدام الجملة القصيرة الخاطفة التي تلتزم بالأنماط التقليدية.

نظرا إلى أن الرحلة تعتمد بطبيعتها على الحركة فإننا لا نكاد نجد جملة تخلو من الأفعال الدالة على الحركة .[1]

ويضيف ناصر عبدالرزاق الموافي أن جمال العبارة وجمال الأسلوب لا يتأتيان بالتكلف ،و إنما بالتلقائية والاسترسال .وإن هذه التلقائية تؤدي إلى التواصل بين الكتاب والقارئ. النصيحة الموجهة للرحالة هي ضرورة الإيجاز ،و هنا لايقصد به الإيجاز المخل وإنما الذي يكفل الوضوح والدقة في العبارة التماسك والتلاحم بين العبارات جميعا.

والرحالة أنفسهم ينقسمون إلى صنفين من حيث الأسلوب وهما

1- صنف حرفته الفن أو الأدب.

2-صنف لا يمت للرحلة بصلة ولكن الرحلة تحفزه على الكتابة .

فالصنف الاول سوف يكون اسلوبه طوع يديه ، وبهذا يكون اداؤه للحقيقة ميسرا ويصبح همه ضرورة التأنق والتجويد الشكلي الذي لا يؤثر على المضمون . لذا نجد أن بعض الرحالين يلجأون الى الاسلوب القصصي المشوق بحيث يجعل رحلته قصة متكاملة البناء ، ويحاول آخرون استخدام الذخيرة

---

[1] ينظر المرجع السابق-ص68-75-76.

الادبية أو الفنية أو الثقافية في تزيين رحلته ، كأن يزودها ببعض ما يحفظ من الشعر أو بعض الحكايات والأساطير التي يقتضيها منطق التداعي ، أو يضمنها آيات قرآنية او أحاديث نبوية .

أما الصنف الثاني سوف يحاول أداء الحقيقة وقد يتكلف في التأنق فتخونه سليقته وقدراته فيبتعد عن الحقيقة وهو لا يدري ،يظهر عند هذا الصنف عيوب اسلوبية كثيرة كعدم القدرة على أداء المعنى بدقة واستخدام كلمات في غير مواضعها ، ومحاولة شحن عمله بمصطلحات تتعلق بمجال تخصصه ليدل على تمكنه منه .وقد يلجأ البعض الآخر الى اشتقاق مصطلحات جديدة أو استخدام ألفاظ اجنبية.[1]

لقد شغف الباحثون بهذا الفن فسخروا أقلامهم له بحثا ودراسة "بسبب تنوعه وغنى مادته ،فهو تارة علمي وتارة شعبي ، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء ، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة اذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في ادب اي شعب معاصر للعرب "[2]

أن ما يميز أدب الرحلات عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى هو موسوعيته ،اذ أنه مجال خصب للإبداع الأدبي.ومجال واسع لبسط خبراته العلمية ،فهي تلخص تجربة شخصية عاشت فترة معينة بملابساتها المختلفة. ولاعتمادها على السرد في اغلبها تجعلنا نقر بأسبقية العرب في فن القصة رغم المشككين ، فقد تكاملت فيها جميع عناصر الابداع القصصي عدا انها اقرب الى الواقع منها الى العالم التخيلي الذي تصنعه القصة المعاصرة.

[1]ينظر ناصر عبد الرزاق الموافي – أدب الرحلات عند العرب ص 76-78

[2]-حسني محمود حسين –أدب الرحلة عند العرب-ص09.

ا لمبحث الثـاني: الرحلة في التراث العربي.

هناك من الباحثين من أشار الى رسوخ الرحلة في الفكر الجمعي العربي من خلال دراسة الاشعار التي خلفها العرب منذ العصر الجاهلي ،ومن هذه الاشارات المقدمة الطللية أو الوقوف على الاطلال ،حيث توقف الكثير من الباحثين أمام هذا الاستهلال التقليدي وتولوا قراءته قراءة جديدة تكشف ابعاده وتقترب من واقعه وحيثياته ،وقد كان حضور الرحلة في البيئة العربية عبر رحلة الظعائن التي تمثل الهجرة الموسمية للقبائل البدوية ،وهي حاضرة في بنية القصيدة التي يركب فيها الشاعر ناقته ليغادر ساحة الاطلال ،ولا يمكن الاستسلام للتفسيرات التقليدية ، بأن يوجب على الممدوح حق الرجا وذمامة التأجيل كما ذكر ابن قتيبة ،أي أن الشاعر يبالغ في تصوير مشقة الرحلة ليتاضاف عطاء الممدوح...[1]

وقد كان للرحلة حضور غير القصائد العربية وتمثل في أخبار الشعراء "مما جعل بعض الباحثين يفسر ذالك بوجود معتقد أو أسطورة عامة مترابطة الأطراف تجعل الرحلة عبادة دينية جاهلية ،وقد تكون هذه الرحلة مستوحاة من حركة الاجرام السماوية المنتظمة لا سيما أن الأمم السامية كانت تنظر إلى الاجرام السماوية نظرة تقديس ،فالرحلة عقيدة دينية مجهولة تبدت من خلال الأساطير والأشعار والأخبار ،والهدف ليس الكشف عن المعتقد ولكن في كشف مكانة الرحلة وأهميتها في التكوين الفكري قبل الاسلام "[2]،فالارتحال كان طبعا ميز العرب عن غيرهم .وقد صوروا هذه الرحلات في مطالع قصائدهم بما سمي بالوقوف على الأطلال كقول امرئ القيس في مطلع معلقته:

[1]ينظر عمر عبد العزيز السبف- بنية الرحلة في القصيدة العربية –الانتشار العربي –ط1- 2003ص 36/35.
[2]ينظر المرجع نفسه - ص 36.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل....بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

وفي العالم الإسلامي برزت طائفة أعطت للرحلة بعدا روحيا وهم المتصوفة "فالتصوف كمنهج روحي يسعى من خلاله الإنسان إلى الارتقاء في سلم الكمال ،بحيث يستكمل نقائص نفسه ويطهرها وينقيها ،فهو رغبة في صفاء النفس وإجبارها وترويضها على أخلاق معينة ،لذالك سعى المتصوفة إلى طريقة لتحقيق هذا الغرض ألا وهي **السياحة**،حتى أطلق عليهم فيما بعد السواح ،وسوف نبحث عن حقيقة السفر والرحلة عند أحد أقطاب التصوف وهو **"ابن عربي"**.

لقد جسدت حياة ابن عربي أهمية السفر في طلب العلم "وفي البحث عن الفتوحات الربانية ،ولقد كان سفره في البداية حركة تنقل بذهاب وغدو في مناطق الغرب الاسلامي ،ثم جاءت رحلة التوجه نحو الشرق وهي رحلة حاملة لفكر وتجربة صوفية مغاربية جذورها شرقية ،مما يعني بأن السفر فيه عودة بشكل بشكل مغاير كما يوجد فيها حركة عكسية ...."[1]،فهي في نظره تجربة يجب ان تغير من حالة الانسان .ويرى بعض الدارسين أن مؤلفات ابن عربي في معظمها تدور حول فكرة السفر الروحي "من عالم الكائنات الدنيوية الى عالم الانوار الالهية ،وهذا ما دفع بدارسين غربيين الى ترجمة مؤلف ابن عربي :**رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من** الأسرار إلى عنوان بمعنى السفر باتجاه صاحب القدرة المطلقة أو باتجاه عالم الالوهية..."[2]،وهو توضيح لكيفية ارتقاء الانسان من عالم دنيوى الى عالم الالوهية او الحضرة الالهية ، وهو بهذا يتعدى النظرة التقليدية للرحلة.

[1]ساعد خميسي – ابن عربي المسافر العائد – الدار العربية للعلوم ناشرون – ط1- 2010م – ص130.
[2]المرجع نفسه- ص 130.

مسيرة الرحلة العربية :

الرحلة العربية مرت بمراحل عدة حتى اكتملت واستوت على سوقها كانت في البداية عبارة عن بحث وسفر من بلد إلى بلد لغرض من الأغراض وتطورت بعد ذلك شيئا وشيئا إلى أن صار الرحالون يألفون فيها بجنون والتساؤل المطروح هو: هل سارت الرحلة العربية على نفس الوتيرة التي بدأت بها ؟ أم أنها ازدهرت وإن كانت كذالك فما العوامل المساعدة على ذلك ؟ وهل توقفت عجلة الرحلة العربية ؟

والآن لنتتبع مسيرة الرحلة العربية ولنبدأ بالقرن الثالث الهجري .

القرن الثالث الهجري :

كان معظم رحالي هذا القرن وجغرافييه من اللغويين أبرزهم اللغوي والمؤرخ هشام الكلبي الذي كان نموذجا يتحدى به في معرفة الجزيرة العربية خلال أواخر الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ، وصنف أنواعا عديدة من المؤلفات من بينها كتاب "الأقاليم " و"البلدان الكبير و"البلدان الصغير" وأنساب البلدان "، وبعد ذلك أتى الأصمعي وألف كتابا عن "الأنواء"و"رسالة في" صفة الأرض والسماء والنباتات " ثم تلاه تلميذه سعران بن مبارك وله كتاب "الصين والمياه والبحر".

أما كبير علماء اللغة قد أورد المسعودي أنه صنف مؤلفا عنوانه "كتاب الأمصار" و"عجائب البلدان " وله رسالة اسمها "التبصر بالتجارة " .وأتى بعد ذلك الفيلسوف الكندي وصديقه أحمد بن محمد الطيب السرخسي (ت286ه) ألف "رسالة في البحار والمياه والجبال" وله أيضا "المسالك والممالك "[1]

ثم تأتي كوكبة من الرجال والجغرافيين البارزين في مقدمتهم محمد ابن القيم والثانية مع سلام الترجمان لزيارة سد يأجوج ومأجوج. ونجد أيضا التاجر سليمان الذي

---

[1] ينظر : فؤاد قنديل- أدب الرحلة في التراث العربي – ص 71.

أبحر عدة مرات إلى الهند والصين ودون شيئا من هذه الرحلات ونقلها مواطن له أبو زيد السيرافي [1]

القرن الرابع الهجري :

يقول ناصر عبد الرزاق الموافي أن الباحثين يكاد يجمعون على أن الرحلة في القرن الرابع شهدت ازدهارا لم تعرفه القرون السابقة أو اللاحقة حتى أنه يمكن القول أن أسس أدب الرحلة وضعت فيه .[2]

فقد أعلن كراتشوفسكي وغير أن القرن الرابع هو عصر الرحلة الذهبي ، يقول صبري فارس الهيثي عنه ما يلي :" وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بلغ الأدب الجغرافي العربي أوجه في مجال تطوره الخلاق كحركة مستقيمة قائمة بذاتها ، وهو يزخر بمصنفات هامة في محيط الجغرافية الإقليمية ، غير أن الإنتاج الأدبي فيه لم يقف عند هذا الحد...وقدر عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا "[3]

أي أن القرن الرابع شهدت الرحلة فيه تطورا وازدهارا لا مثيل له وامتاز بكثرة الرحالين فيه .

ومثل القرن الرابع انفتاح على العالم الخارجي ،إذ كان القرن الثالث اقتصر على الجزيرة العربية وما جاورها فإن كتاب القرن الرابع و رحالوه تخلصوا من هذا الانغلاق وتوسعوا لتشمل رحلاتهم ومؤلفاتهم معظم العالم المعروف.[4]

[1] ينظر :المرجع السابق- ص 72،71
[2] ينظر المرجع نفسه –ص 85 .
[3] صبري فارس الهيثي- التراث الجغرافي العربي الإسلامي- دار الوارق للنشر و التوزيع –ط1 2007م – ص 15
[4] ينظر عبد الرزاق الموافي –أدب الرحلات عند العرب-ص85 .

يمثل هذا القرن ظهور رحالة كبار من أهمهم المسعودي (ت346 هجري) صاحب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وابن فضلان الذي أوفده الواثق إلى بلاد البلغار ونهر الفولجا وتحفل رسالته التي دونها عن رحلته بمادة إثنوجرافية على درجة عالية من القيمة والتنوع والطرافة . وأيضا رحلة ابن سليم الأسواني التي تعد أول رحلة إلى بلاد النوبة .

وشهد هذا القرن ظهور كتاب مهم لأبي زيد البلخي وهو مفقود حتى الآن وأعقبته كتب عن رحلات لقد امة جعفر والجيهاني وزير أمير خراسان الذي لا يزال مصنفه ضائعا وهناك الرحالة المصري أبو الحسن المهلبي صاحب كتاب "العزيز".[1]

ترى ما هي العوامل التي ساعدت على ازدهار فن الرحلة وكثرة الرحالين ؟
نجد أن من بين هذه العوامل التي ساعدت على ازدهار فن الرحلة وكثرة عدد الرحالين :

1 ـ **تأمين الطرق :** أمَن ملوك الدول الإسلامية الطرق للحجاج لأنهم يتعرضون في طريقهم لأداء فريضة الحج إلى قطاع الطرق والمفسدين في الأرض وغيرهم وعملوا على إزاحتهم وأمنوا لهم الطرق، وأقاموا مراكز ومحطات على طول الطرق ليستريح فيها الرحالون والمسافرون بالإضافة إلى المنازل لحماية الحجاج وتموينهم بما يخصهم من أغذية وعلاج وإرشادهم إلى الطرق السليمة والقريبة[2]
2 ـ **تنظيم ركب الحجاج المغربي:** قام ملوك الدول الإسلامية بتنظيم الركب وتقديم يد المساعدة للحجاج وتأمين احتياجاتهم. وكانوا يتكفلون بهم إلى أن يغادروا حدود دولتهم والدول الأخرى ، ويتكفلون بهم أيضا إلى أن يرحلوا من حدود دولتهم وذلك ليصلوا إلى مبتغاهم بسلام .

[1] ينظر فؤاد قنديل أدب الرحلة في التراث العربي- ص73،74.
[2] ينظرعلي إبراهيم الكردي- أدب الرحلة في المغرب والأندلس- ص 16.

تنظم ركب كثيرة كل موسم ، وتسمية الركب باسم المنطقة أو البلد الذي ينتمي إليها فهناك الركب الفاسي والمراكشي وغيرها من التسميات . وفي كثير من الأحيان كان الملوك يحملونهم بالهدايا والأموال لوقفها في المساجد وفي الأماكن المقدسة بالمشرق كمكة والمدينة والقدس وغيرها[1].

3 ـ**انتشار الزوايا في الطرق :** كان للزوايا أثر إيجابي في ازدهار فن الرحلة ،إذا كانت تقدم للحجاج الطعام واللباس ، وكانت تمثل دور الضيافة المجانية للمسافرين جميعا يكرم فيها الزائر قبل التعرف عليه على هويته . والزوايا منتشرة في العالم الإسلامي وهذا ما سهل للرحالة كثيرا من المتطلبات وهو في طريقه شرقا وغربا .

4 ـ**إسقاط المكوس عن الحجاج :** كان لإسقاط المكوس أثر إيجابي في تنشيط عجلة الرحلة لأن تأديته كان يحول دون القيام بأداء فريضة الحج وقد أشار كثيرا من الرحالة إلى المضايقة التي كان يتعرض لها الحاج من طرف رجال المكوس المصريين .و الدليل على ذلك ما قام به ابن جبير في مدح صلاح الدين الأيوبي عندما رفع المكوس والمغارم عن الحجاج :

رفعت مغارم أرض الحجاز بإنعامك الشامل العامر

وأمـــنت أكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر

وهكذا بدأت الرحلة تؤتي أكلها وتعود بالفائدة الجمة على الرحالة والبلد فكان الرحالة يستفيد منها علما كثيرا وثقافة متنوعة نتيجة لقاءه أكابر العلماء الذين تنوعت مشاربهم وكان الرحالة ينمي ثقافته وينوع معارفه .فكم من عالم بلغ المرتبة العليا بسبب الرحلة وقد نبه ابن خلدون على ذلك بقوله :"إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء

[1] ينظر علي إبراهيم كردي-أدب الرحل في المغرب والأندلس –ص16.

المشايخ مزيد كمال في التعلم .. فالرحلة لابد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1]

القرن الخامس الهجري:

شهد هذا القرن رحلة مهمة قام بها الطبيب البغدادي ابن بطلان 404 هجري إلى الشام ومصر وأنطاكية والقسطنطينية.

في منتصف هذا القرن شهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة حيث تحتل هذه الصفحة بعض رحالة وجغرافي المغرب الإسلامي إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم بعد أن كان قاصرا على رحالة من المشرق منهم أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرف وترك كتابا سماه " نظام المرجان في المسالك والممالك" وأبوا عبيد عبد الله البكري(487هجري) وهو من كبار رحالي الأندلس في هذه القرن وله كتابان هما : "المسالك والممالك " و"معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع" .

القرن السادس الهجري:

يقول فؤاد قنديل في كتابه " أدب الرحلة في التراث العربي" بأن هذا الفرن يكاد ينافس القرن الربع الهجري في حجم الانجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة .[2] وعقد فؤاد قنديل مقارنة بسيطة بين القرن الرابع الهجري والقرن السادس الهجري بقوله : إذا كان القرن الرابع الهجري قد تميز بعدد الرحالة الكبير فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها ، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة و تدوين المشاهدات "[3].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون –ج1-دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع (د –ط 1431هجري/2001م –ص744-745.
[2] ينظر فؤاد قنديل -أ دب الرحلة في التراث العربي –ص84.
[3] المرجع نفسه – ص85.

فبدأ هذا القرن مع الرحالة أبو حامد الغرناطي الأندلسي والذي طاف بالعالم الإسلامي وخاصة مناطقه الشمالية حيث قضى فيها أكثر من ربع قرن وصنف كتابين هما " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب "و"المغرب عن بعض عجائب المغرب " .وجاء بعد الشريف الإدريسي (ت560ه) صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وهو العالم الجغرافي والرحالة الشهير الذي وضع الخرائط لجميع أنحاء العالم،ووصف البلاد التي زاروها،و أضاف الكثير إلى منهجية البحث العلمي الجغرافي . وبعدهما جاء صاحب اليد الطولي في أدب الرحلة وهو الرحالة الأندلسي العالم الفقيه أبو بكر العربي (ت543ه) والذي كان أول من أستخدم لفظ رحلة في عنوان مؤلف وهو " ترتيب الرحلة ".

وبهذا نقول أنه أول من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة.

ولقد كان أبو بكر العربي خير ممهد لظهور أديب و رحالة معروف وهو "ابن جبير"(ت614 ه) ،والذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي ،حيث حرص على تدوين مذكراته و مشاهداته يوم بيوم، حيث أنه اعتمد الصدق في ويأتي بعد ابن جبير رحالة معاصر له و هو علي الهروي الذي لقب بالسائح من كثرة تجواله في البلاد لا في طلب العلم و إنما سعيا وراء زيارة أضرحة الأولياء إعجابا بأصحابها الرحالين و خلف لنا كتابه الموسوم ب"الإشارات في معرفة الزيارات.

القرن السابع الهجري

لعل من أهم إنجازات رحالة هذا القرن صدور كتاب "معجم البلدان " لياقوت الحموي(ت 626ه).و بعد رحيل ياقوت بأقل من ثلاثة أعوام أتى الرحالة الطبيب عبد اللطيف البغدادي (ت 629ه) والذي نال شهرة بفضل كتاب صغير ألفه بعد زيارته لمصر أسماه "الإفادة و الاعتبار في الأمور و المشاهدة و الحوادث المعاينة بأرض مصر .و نجد أيضا رحالة لم ينل ما يستحق من التقدير وهو "يوسف ابن

يعقوب الدمشقي المشهور بابن المجاور(ت 569 ه)وله كتاب مهم عن طقوس وعادات تلك البقاع وهو "تاريخ المستبصر"

وفي هذا القرن أيضا صدر كتاب مثير للإعجاب و هو "عجائب المخلوقات" لزكرياء القزويني (ت 682ه) .ولعل أهم من قلدوه الدمشقي و ابن الوردي .

ولنتقل من الشرق إلى الغرب لنلتقي الرحالة الأندلسي ابن سعيد (ت673 ه) الذي حط الرحال بعد تجواله في بلاد الشرق لأكثر من ربع قرن ،و لكنه عاد إلى بلاده وصنف عدة كتب منها "المغرب في حلى المغرب"و"المشرق في حلى المشرق".

في نهاية هذا القرن ظهر رحالة له سمات خاصة و هو الأديب و الفقيه محمد العبدري والذي بدأ رحلاته عام 688ه و خلف لنا "الرحلة المغربية".[21]

القرن الثامن الهجري :

شهد هذا القرن ظهور كتاب"نخبة الدهر في عجائب البر والبحر "لشمس الدين الدمشقي(727ه) وأبو الفدا (ت732ه) الذي أغرم بالرحلة و التاريخ والجغرافيا ،ووضع مصنفين كبيرين ذاع صيته في الآفاق بفضلهما و هما "مختصر تاريخ البشر"و"تقويم البلدان". ويميل الباحثون إلى تسميتها"تاريخ أبي الفدا " و"جغرافية أبي الفدا".

ومن رحالة هذا القرن أيضا أبي رشيد الفهري ومحمد التجاني .

لقد زين صدر هذا موسوعات سهمت في إضاءة أدب الرحلات وخدمته مثل : " نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري "و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لأبي فضل العمري " , "صبح الأعشى " للقلقشندي .

[1] ينظرفؤاد قنديل- الرحلة في التراث العربي-ص75-78.

لا شك أن هذه الموسوعات أسهمت بشكل جيد ووافر في حقل أدب الرحلة إلا أن هذا تضاءل أمام ظهور الكبير والرحالة العالمي صاحب "تحفة النظار غرائب الأمطار وعجائب الأسفار " وأبرز من كتب عن أفريقيا الرحالة الشهير ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي.

ونجد أيضا الرحالة عبد الرحمان ابن خلدون (ت805ه) الذي أوردها ضمن كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" ويتضمن كتابه نصا جيدا في أدب الرحلة العربية . ورحلات عبد الباسط بن خليل الظاهري المصري ، والحسن بن الوزان المشهور باسم ليون الإفريقي، ورحلة أبي البقاء البلوي وأحمد المقري وغيرهم .[1]

أما في القرن التاسع والعاشر الهجريين تقلصت الرحلة العربية والتي تعد إحدى مزايا الحضارة العربية وتوقفت تقريبا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر ولا نكاد نذكر إلا رحلة النابلسي و الطرابلسي والعباسي ،ويعود ذلك إلى أسباب منها :

1/ المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت وعمت العالم العربي.

2/ النكوص الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام .

3/ زوال دولة الإسلام من إسبانيا .

4/ سقوط كل دولة تحت عبء مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة .

5/بدء الكشوف الجغرافية الكبرى واكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين، وبداية الصعود الحضاري الأوروبي.

---

[1] ينظر المرجع السابق–ص78-80.

عادت الرحلات العربية البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع السنوات الأولى من القرن ال19 بعد الحملة الفرنسية على مصر ، وقد بدأها محمد عمرالتو

نسي سنة 1903 م برحلة إلى بلاد العرب والسودان وضمنهما كتابه "تشحيذ الأذهان" وتلاه الطهطاوي بكتابه " تخليص الإبريز " سار على دربه كوكبة كبيرة ومتألقة من الرحالة.[1]

نماذج من الرحلات المغاربية الحجازية:

هناك العديد من الرحلات المغاربية الحجازية المتميزة والتي ذاع صيت الكثير منها ،ولكن نقتصر على البعض منها .

1/رحلة أبي عبد الله العبدري:

أ/ترجمته ونشأته: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، ويقال له العبدري الحاحائي نسبة إلى حاحا جنوب المغرب .كانت له علاقة بمراكش وبصاحبه ابن عبد الملك المراكشي،وكان له نصيب وافر من التحصيل العلمي ،أخذ عن علماء سبتة ،تولى القضاء بمراكش،حيث أصبح مقصد الراغبين في الرواية من المغاربة و الأندلسيين ،أخذ عنه أبو القاسم بن رضوان وأجاز له إجازة عامة شفهية وكتب له ذالك بخطه ،وأخذ عنه ابو عبد الله بن حياتي نزيل فاس واجاز له إجازة عامة من مراكش .

---

[1] ينظر المرجع السابق – ص81،80.

رحلتــــــــــه :

أما رحلته فهي حجازية انطلق صاحبها من بلده حاجا بتاريخ 25 ذي القعدة 688ه[1].

امتازت هذه الرحلةبأنها جمعت بين وصف حواضر الطريق وآصارها وأحوال المجتمعات المقيمة بها ،وبين الحديث عن الجانب العلمي في هذه الحواضر ،وذكر أسماء العلماء الذين لقيهم واستفاد منهم .والعبدري صريح في وصف الاجواء العلمية ،ومن الحواضر التي استفاد من علمائها:

1-**تلمسان:** ولم يجد فيها من يستحق الاهتمام والجلوس اليه غير الشاعر ابن خميس فأخذ عنه .

2-**بجاية** وجد بها الشيخ ابي الخطيب صالح الشاطبي ت 699ه.

3-تونس: وقد طالت مدة إقامته بها واستفاد من أبي محمد بن هارون الطائي (ت709ه)،وأبي جعفر الليبي وأبي العباس ابن الغماز (ت693ه)، وأبي الحسن بن رزين الخلاسي (ت697ه).

4-**القيروان:** التقى بأبي زيد عبد الرحمان بن الدباغ (ت699ه)،وأخذ عنه واستفاد من مكتبته.

5-**الاسكندرية:**أخذ من أبي الحسن الغرافي (ت704ه)وابن المنير زين الدين أبي الحسن (ت695ه)والنوار ابن حباسة.

---

[1] ينظر عبد الله المرابط الترغي – فهارس علماء المغرب –منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية-تطوان – ط1-1999مص 136/135.

6-**القاهرة:**أخذ عن الشرف الدمياطي (ت705ه)،وابن دقيق العيد (ت702ه)،وأجاز له.

7-**الحجاز:**ولم يستفد من شيوخ مكة والمدينة لانشغاله بالحج في مكة ، إلا شيخا واحدا لمجاورته لحرم الرسول صلى الله عليه وسلم وأجاز له لفظا في كل ما يرويه .

والرحلة العبدرية غنية بالنصوص الأدبية ،وهي تضم أشعارا تؤرخ لتلك الفترة[1] ،وهي تعطينا فكرة عن وضع الأدب آنذاك وما طرأ عليه من تغيير جراء تغير الوضع السياسي والاجتماعي.

رحلـــــــــة ابن رشــــــــــــيد السبتي:

ترجمته: هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الاندلسي السبتي الفهري ،ويقال الفقيه الخطيب الحاج المحدث الحافظ نزيل فاس الرحالة ،عرف بتبحره في علوم الرواية والإسناد والتفسير والأدب والنحو..كان ابن رشيد متكلفا للشعر ومجودا للنثر وكان ايضا قد تولى الإمامة والخطابة بإذن من صاحبه الوزير أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمان بن الحكيم الذي رافقه في رحلته إلى الحرمين.

ولد سنة 657ه وهذا ما أكده بنفسه بقوله في الرحلة "ومولدي في عام سبعة وخمسين وستمائة بسبتة .."[2]،نشأ ابن رشيد بمسقط رأسه بسبتة درس فيها على يد الحسين ابن أبي الربيع البحور العربية والقراءة ،وعلى يد أبي الحسن الخضار الكتامي وأخذ عنه كتاب الروض الانف للسهيلي كان حافظا لكثير من الأشعار

---

[1]ينظر المرجع السابق- ص:136-138.

[2]ينظر:ابو عبد الله محمد بن عمر- رحلة ابن رشيد السبتي – دراسة وتحليل داحمد حدادي ج1-منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية – المملكة المغربية –دط- 2004م ص48-49-61

والفنون والأحاديث ،كما أنه استفاد من علماء ومشائخ خارج بلده كتونس والإسكندرية والقاهرة ودمشق ،وحرم الخليل وبيت المقدس وبعلبك ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها ،والمتتبع لنشأته العلمية والثقافية يلاحظ أنه كان لأسرته أثرا بارزا في هذه النشأة العلمية المتميزة ،إذ كان معظمهم كتاب وعلماء.

كان ابن رشيد يؤلف ويحرر ويفتي لهذا ذاع صيته ،كان لابن رشيد كراسي علمية كثيرة في مختلف البلدانِ بالمغرب ومراكش وغرناطة وسبتة ودمشق.وكان ذا أخلاق عالية وكان متواضعا وكان له هيبة ووقار[1]،ويعتبر موسوعة عصره لأنه تشرب من مختلف العلوم والثقافات،كان لشيوخ وأصحاب ابن رشيد أثرا بارزا في تكوين شخصيته.

مؤلفاته:

من أهم مؤلفاته "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة".دون فيها مشاهداته ولقاءاته في كل من مصر والشام و الحجاز وتونس.

تضاربت الآراء حول عدد أجزاء الرحلة فهناك من يقول أنها في أربعة أجزاء وهناك من يقول أنها ستة و هناك من يقول سبعة.[2]

والواضح أنها سبعة أجزاء وهذا ما وجد عند تلميذه الفقيه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي.[3]

ينظر : [1]المصدر السابق ص:61-63-72.

[2] ينظر: الحسن الشاهدي- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني – ج1 - ص 150

[3] ينظر:ابو عبد الله محمد بن عمر- رحلة ابن رشيد الستي –ج1- ص208.

1/ القسم الأول من الجزء الأول وهو مفقود: ابن رشيد جعل الجزء الأول قسمين ،فالقسم الأول مفقود والقسم الثاني موجود ،فالقسم الثاني يجعل الناس يجهلون أخبار انتقال ابن رشيد من المرية إلى تونس .وغيرها من الأشياء التي لم يتسن لنا معرفتها.

2/القسم الثاني من الجزء الأول (الجزء الثاني من الرحلة): وفي هذا الجزء أربع وثلاثون ومائة صفحة ،وهو خاص بشيوخ تونس وفيه ترجم ابن رشيد لثلاثة عشر شيخا منهم :أبو بكر ابن حبيش وأبو العباس الصغير وأبو حيان الشاطبي .

كان هذا الجزء مصدرا مهما في الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرن السابع ،يطغى على هذا الجانب الطابع الأدبي من رواية الشعر وأخبار الأدباء .

3/الجزء الثالث: وفي هذا الجزء خمسون ومائتا صفحة ،وهو خاص بمصر والقاهرة والإسكندرية وعلمائها وشيوخها وتاريخ الحركة الفكرية والعقلية بالديار المصرية في القرن السابع الهجري ،وترجم فيه لأكثر من أربعين شيخا منهم :أبو عبد الله محمد ابن ساطر البوني الشرابي ،وعلم الدين ابن منصور الهمذاني الشافعي ،وأبو بكر ابن منصور الأنصاري ،وابن دقيق العيد وغيرهم كثير.."[1]

يغلب على هذا الجزء طابع الحديث وبعض الروايات الأدبية وبعض المناقشات في الفقه والأصول وبعض النظرات في التصوف والزهد ،ذكر الكثير من مصادر التراث وبعض المناقشات في الجرح والتعديل والتعريف بالرجال ونقدهم .

[1]ينظر :أبو عبد الله محمد ابن عمر –رحلة ابن رشيد السبتي –ج1- ص:208-211-212.

4/الجزء الرابع :وهذا الجزء هو الآخر مفقود ،ولا يبين لنا كم بقي ابن رشيد في الديار المصرية .ذكر في هذا الجزء كيف كان سفره إلى الحرمين تحدث عن الشيوخ الذين لقيهم واستفاد منهم في مختلف البلدان التي زارها.

6/الجزء الخامس:يتضمن هذا الجزء بقية رحلته من دمشق إلى الحرمين الشريفين وأدائه لفريضة الحج ،وقد ترجم فيه لثمانية وعشرين شيخا منهم :أبو محمد ابن الزجاج ،أبو إسحاق الفاسي ،وأحمد ابن عثمان الشافعي ،وأبو علي الصواف وغيرهم ..هذا الجزء وجد بخط المؤلف وهذا ما يجعل المعلومات الموجودة فيه أكثر وثوقا ،ويغلب على هذا الجزء الحديث النبوي وكثير من الإنشادات الشعرية التي قيلت في الشعر الديني من الحديث النبوي .فقدم هذا الجزء صورة واضحة عن الحياة الفكرية والعقلية بالحرمين الشريفين" .[1]

6/الجزء السادس:يحتوي هذا الجزء على خمسة وثلاثين ومائتي صفحة ،وذكر فيه ما جرى لابن رشيد بالأسكندرية وأخباره في طرابلس والمهدية وتونس بالخصوص ،يعتبر هذا الجزء صورة للحياة الفكرية والعقلية لتونس وما جاورها ،وقد ترجم فيه لخمسة وثلاثون من الشيوخ والأصحاب من بينهم : أبو عثمان سعيد ابن جون المراكشي – أبو فارس التميمي –أبو القاسم ابن زيتون اليمني.

وهذا الجزء عثر عليه مكتوب بخط المؤلف ،ويشتمل على تراجم واسعة لكثير من الشعراء ،يطغى على هذا الجزء الجانب الأدبي .

[1]ينظر المرجع السابق - ص 219/218/214/213.

7/الجزء السابع : يحتوى على أربع وثلاثين ومائة صفحة ،يتكلم معظم هذا الجزء عن تونس ولقائه بأبي الفضل التجاني ، يعد هذا الجزء ديوانا مهما لرواية الشعر لشعراء مغاربة ومشارقة ،وفيه تراجم لابن عياش وابن عاصم الأسدي..[1]

رحلة التجيبي:

هو أبو القاسم ابن يوسف بن محمد علي ابن القاسم التجيبي البلنسي المحتد السبتي النشأة والمولد ،النجار المحدث عالم الدين ،نشأ بالمغرب ،ولد سنة 670ه/1271م،يتمتع التجيبي بثقافة واسعة وصف بأنه العالم البارع المحدث الحافظ المتقن العارف بالحديث القيم على أنواعه ،الضابط الثقة توفي سنة 730ه/1329م.

دواعي الرحلة: كان الباعث على الرحلة حج بيت الله الحرام ولقاء العلماء والنهل من معينهم .خرج سنة 695ه/1295م تنقل بين مراكز العلم في شمال إفريقيا حتى وصل القاهرة 696ه/1296م. دون رحلته أثناء سفره ونقحها وأضاف إليها بعض الحوادث بعد عودته الى بلاده ،وسم رحلته ب :**مستفاد الرحلة والإغتراب** ،تقع هذه الرحلة في ثلاث مجلدات ضخمة ،القسم الأول والثالث مفقودان والثاني موجود تحدث فيه عن القاهرة وجدة ومكة المكرمة [2]

مؤلفاته:

لم يعرف عنه غير رحلته المسماة "مستفاد الرحلة والاغتراب ،برنامج التجيبي المأخوذ من مستفاد الرحلة والاغتراب .[3]

مميزات الرحلة:

[1]ينظر المرجع السابق - ص:214-221.
[2]ينظر :عواطف محمد يوسف تواب –الرحلات المغربية والأندلسية –ص: 121-122.
[3]ينظر المرجع نفسه – ص:122-123.

أعطى التجيبي تفصيلا واضحا لمشاهداته الجغرافية و العمرانية مع الإجادة في وصف أحاسيسه وشعوره أثناء اتجاهه لجدة.سجل تراجم مشايخه و مكان لقائه بهم و مروياته عنهم بأسانيدها. ضبط أسماء البلدان لغويا و أشار بشكل دقيق إلى النواحي الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و العلمية للمدن التي زارها. وامتاز التجيبي بوصفه الدقيق للمسجد الحرام ،و ذكر قصة بناء الكعبة وحفر بئر زمزم ،ووصف مكة المكرمة و ما قيل في أسمائها و فضلها و الأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن .

أما أسلوب التجيبي امتازبالسهولة والوضوح وعدم التكلف في صياغة الجمل الانشائية والوصف الدقيق لكل ما يشاهده.[1]

[1]ينظر :المرجع السابق- ص123.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : التواصل الحضاري

المبحث الأول : مفهوم التواصل لغة واصطلاحا

التواصل لغة :

يعرفه أحمد بن فارس (التواصل) بقوله في مادة "وصل"

"الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء ووصلته به وصلا والوصل ضد الهجران "[1]

وأما إبراهيم مصطفى في المعجم الوسيط فعرفه بقوله :

"وصل الشيء بالشيء:أكثر من وصله بمعنى ضمه به ولأمه والشيء إليه أنهاه و أبلغه إياه "[2].

جاء في الصحاح في مادة وصل ما يلي :

" وصل خلاف الفصل وصل الشيء بالشيء وصلا وصلة .ووصل الشيء بالشيء توصل إليه انتهي إليه وأبلغه

قال أبو ذؤيب :

تفصل بالركبان حينا وتؤلف **** الجوار ويغشيها الأمان ربانها

ووصله إليه وأصله أنهاه إليه و أبلغه إياه واتصل الرجل انتسب وهو من ذلك قال الأعشى :

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل *** وبكر سبقتها والأنوف نواعم" [3]

يتضح من خلال هذه التعاريف اللغوية أن الجذر وصل يفيد التواصل والاتصال والإبلاغ والإخبار والجمع والاقتران والاجتماع والوصول والانتهاء والإعلام .

---

[1] أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة -ج6- مادة وصل-ص 115.

[2] إبراهيم مصطفى - المعجم الوسيط- دار الدعوة - مادة وصل- ج2 -ص 1037.

[3] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية -تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار الملايين بيروت- ط4-1407هـ/1978م - ج5-مادة وصل - ص374.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ القصص: ٥١ ومعنى الآية تابعناه و واصلناه وأنزلناه شيئا فشيئا رحمة بهم ولطفا . أي وصلنا لهم القرآن .[1]

التواصل اصطلاحا :

تعددت تعريفات الباحثين لمصطلح التواصل - ونحن نقتصر تقريبا على الشائع منها .

نجد أن أحمد محمد المعتوق في الحصيلة اللغوية يعرفه بقوله :

" العملية التي تنتقل بها أو بواسطتها المعلومات و الخبرات بين فرد وآخر أو بين مجموعة من الناس وفق نظام معين من الرموز وخلال قناة أو قنوات أو أطراف تربط بين المصدر والمرسل والمتلقي وفئة المتلقين "[2]

أما عمر أو كان فيعرف التواصل بما يأتي :

" تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلية ، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما تتحدث عنه الذي هو الأشياءأو الكائنات" [3].

وهناك من عرف التواصل بأنه :

"نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أو أكثر ويكون منظما حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه وذلك لتنسيق علاقات الناس "[4]

---

[1] عبد الرحمان ناصر السعدي - تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان - تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق - دار ابن حزم د، ط1416هـ /1984م - ص589،سورة القصص،الآية51.

[2] أحمد محمد المعتوق- الحصيلة اللغوية - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت د،ط- 1996م-71.

[3] العزوزي حرزولي-التواصل اللغوي في الخطاب القرآني -إشراف لخضر بلخير -أطروحة دكتوراة في علم اللغة - جامعة الحاج لخضر باتنة- 2013/2012م -ص12 .

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري - استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية - دار الكتاب الوطنية بنغازي ليبيا- ط1 -2004م- ص10.

وهناك من عرفه بقوله :
"تبادل كلامي بين ذات متكلمة تنتج ملفوظا موجها إلى ذات متكلمة أخرى ترغب في السماع أو في إجابة واضحة أو ضمنية على حسب النموذج الملفوظ من المتكلم "[1]

ويعرف أيضا على أنه:

"عملية نقل الأفكار والتجارب - وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات "[2]

وأما شارل كولي فعرفه كما يلي :

" التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور ، إنه يتضمن كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها غبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه و هيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون ، وكل ما يشمله آخر ما تم الاكتشافات في المكان والزمان "[3]

نلاحظ من خلال التعاريف الخمسة الأولى أن التواصل مجرد عملية نقل أو تبادل الرسائل أو خبر معين بين شخصين أو أكثر أما التعريف الذي جاء به شارل كولي فقد بدى تعريفا شاملا ومختلف تماما عن التعاريف السالفة الذكر حيث أنه اعتبره ميكانيزم يتم بواسطته التواصل بين الناس وتقوم العلاقات الإنسانية وتتطور حتى تصل إلى مبتغاها وهذا من خلال عدة أشياء منها تعابير الوجه ونبرة الصوت وغيرها .

ويتبين من هذا التعريف أن التواصل هو جوهر العلاقات الإنسانية ومصدر تطورها . ولذا فإننا نجد للتواصل وظيفتين من خلال التعريف وهما :

1 -وظيفة معرفية : تتمثل في نقل الرموز الذهنية ، وتبليغها في الزمان والمكان بوسائل لغوية وغير لغوية .

---

[1] جميل حمداوي - اللغة والتواصل التربوي والثقافي - الألوكة - ط1 -2015م -ص78.
[2] المرجع نفسه - ص60.
[3] جميل حمداوي - التواصل اللساني والسميائي التربوي والثقافي - الألوكة – ط1-2015م- ص06

2 -وظيفة تأثيرية وجدانية : تقوم على تمتين العلاقات الإنسانية و تفعيلها على مستوى اللفظي وغير اللفظي .

للتواصل وظائف وهي :

1 -التبادل
2 -التبليغ
3 -التأثير .[1]

مفاهيم التواصل :

للتواصل مفاهيم يعرف بها وهي عديدة ومتعددة من بينها :

1"/ من الناحية الاجتماعية : علاقة تبادلية بين طرفين أو انفتاح الذات على الآخرين .

2/من الناحية السيكولوجية : عملية ذاتية داخلية يتم فيها الاتصال بين الفرد وذاته في نطاق أحاسيسه وتجاربه مع نفسه .

3/ من الناحية الآلية الميكانيكية: نظام متكامل له مدخلاته ومخرجاته وعملياته وتغذيه راجعة (مرسل+مستقبل+مضمون +تغذية) عائدة من المستقبل .

4/ من الناحية التربوية : عملية تحدث في الموقف التعليمي التعلمي بين جميع الأطراف لتنظيم التعلم"[2].

ويمكن أن نقول أن التواصل هو عملية تعلم والعكس التعلم هو عملية تواصل

الفرق بين الاتصال والتواصل :

للتواصل اتجاهين اثنين (عاملين) لا يتم إلا بهما وهما :

1 -**اللغة :** سواء أكانت مكتوبة أو محكية أو رمزية أو حركية إيمائية ويشترط أن يفهمها المستقبل.ولا يشترط أن يكون المرسل والمستقبل من البشر فقد يكون آلة أو

[1] ينظر : جميل حمداوي- التواصل اللساني والسميائي التربوي و الثقافي- ص 07.
[2] تاعوينات علي - التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي - 2009م- ص 11.

جهاز ، وإذا لم يفسر المستقبل الرسالة فعندها نقول أن الذي حدث اتصال وليس تواصل.

الاتصال يكون في اتجاه واحد والتواصل يكون في اتجاهين اثنين .

2 -المناخ التواصلي المادي والنفسي :

أ -**المادي** : عبارة عن مواد أجهزة .

ب -**النفسي** : عبارة عن حرية تسامح استعداد ... الخ [1]

أهداف عملية التواصل :

تنقسم أهداف التواصل إلى قسمين وهذا من وجهة نظر كلا من المرسل والمستقبل :

1 -من جهة نظر المرسل :

ا-نقل الأفكار .

ب-التعليم .

ج- الإعلام .

د- الإقناع .

هـ - الترفيه.

2 -**من وجهة نظر المستقبل** : يمكن أن يجملها في الآتي :

أ -فهم ما يحيط به من ظواهر وأحداث .

ب -تعلم مهارات جديدة.

ت -الحصول على معلومات جديدة تساعده على اتخاذ القرارات بشكل مقيد ومقبول .

ث -الاستمتاع والهروب من المشاكل .[2]

مفهوم التواصل في التراث :

يبدو للكثير أن التواصل ظهر في العصر الحديث مع علماء الاتصال ، لكن الحقيقة أن التواصل ظهر منذ القدم ، حيث نجد كلا من أفلاطون(347/427 ق.م) وأرسطو (322/285ق.م)اعتبراه علما قائما بذاته .[1]

---

[1] المرجع السابق- ص17.

[2] ينظر المرجع نفسه-ص18.

نجد أن الدراسات اللغوية ركزت على اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل .لهذا نجد هذه الوظيفة للغة-وهي التواصل – مبثوثة في تعاريف اللغة والبيان والبلاغة قديما، وأن العرب اعتمدوا في تعريفاتهم للغة والبلاغة على خاصية التواصل .[2]

والبداية تكون مع عالم الاجتماع اللغوي ابن خلدون حيث نجد أنه عرف اللغة بقوله : "اللغة في المتعارف هي تعبيرالمتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام "[3]

يتبين لنا من هذا التعريف أن اللغة عبر عنها بإبانة المتكلم عن مقصوده و إيصال ما يجول بذهنه إلى المتلقي وهذا بغرض إفادته.

وأما ابن جني فعرفها بقوله :

"أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[4]

يبدو أن ابن جني أعطى اللغة تعريفا دقيقا حيث قال أن اللغة أصوات ولم يقل ألفاظ أو كلمات، حيث نجد أن كلمة صوت أعم وأشمل وحين يقول يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فنجد هنا يقر بالوظيفة الاجتماعية التواصلية .

أما الجاحظ في تعريفه للبيان قال عنها ما يأتي (اللغة):

" والبيان اسم جامع لكل ءري ر ررشيء كشف لك القناع عن قناع المعنى حتى يقضي السامع على حقيقته ويهجم على محصوله ...لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام "[5]

وأما ابو هلال العسكري فقال قي حديثه عن البلاعلي ما يلي :

---

[1] ينظر سليم حمدان-أشكال التواصل في التراث البلاغي – إشراف محمود بوعمامة- ماجستير في لسانيات الخطاب- جامعة لخضر باتنة-2009/2008م-ص02

[2]ينظر : صالح بوترعة-آليات التواصل عند ابن عربي-إشراف محمد بوعمامة –ماجستير في لسانيات الخطاب-جامعة الحاج لخضر باتنة-2009/2008م- ص 42.

[3] ابن خلدون – المقدمة- دار الفكر للنشر - لبنان د،ط2007م - ص558.

[4] ابن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت-1952م – ج1-ص33

[5] الجاحظ - البيان والتبيين- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان - ج1- ص43/42.

"أنها تنتهي إلى قلب السامع فيفهمه "[1]

وأما ابن سنان الخفاجي فقال :

"ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهر جليا لا يحتاج الى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه ... والدليل على صحة ما ذهبنا إليه ... أن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم ."[2]

ويظهر مفهوم التواصل في سياق حديث ابن سنان عن البلاغة حيث يقول " يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتي السامع من سوء فهم الناطق ، ولا الناطق من سوء فهم وفسرا بن المقفع البلاغة بقوله :

"إذ قال البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السماع ...ومنها ما يكون خطيا "[3]

السكاكي يقول في حديثه عن البلاغة ما يأتي :

"هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له خصائص بتوفية خواص التركيب حقها"[4]

ابن وهب يقول عن البيان :

" إن البيان على أربعة أوجه ، فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها ، ومن البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يبلع من بعد وغاب "[5]

مفهوم التواصل عند المحدثين نجد أن علماء العصر الحديث إعتمدوا على وظائف اللغة وعناصرها التوصيلية لتحديد مفهوم التواصل حيث نجد أن كلود شانون.

---

[1] أبو هلال العسكري - كتاب الصناعتين- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان –ط2-1989م ص 15.

[2] ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة- دار الكتب العلمية-لبنان- ط1-1982م-ص61.

[3] أبو هلال العسكري-كتاب الصناعتين -23.

[4] أبو يعقوب السكاكي - مفتاح العلوم – تحقيق نعيم زرزور-دار الكتب الغلمية – لبنان- ط1-1983م-ص415.

[5] ابن وهب - البرهان في وجوه البيان - تقديم وتحقيق محمد شرف-مطبعة الرسالة-دط-دت- ص56.

وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية خطاطة ، تقتصر نمط اشتغالها العملية التواصلية والخطاطة كالآتي

مصدر الخبر ← الباث ← الإشارة النهائية ← المتلقي ←الهدف

الإرسالية الإشارة المبثوثة الإرسالية [1]

لابد أن نقول أن التواصل عملية تتم بين المرسل والمرسل إليه ، لهذا نحتاج إلى عناصر للقيام بها ، إذ نجد أن رومان جاكبسون يجزم بأن العملية التواصلية لا تحقق ألا من خلال العوامل الآتية :

ا-إنسان مرسل

ب-إنسان ملتقط

ج-اقامة الاتصال بين المرسل والملتقط

د- لغة مشتركة يتكلمها المرسل والملتقط معا

هـ-لفة مرسلة لغوية

و- محتوى لغوي ترمز إليه المرسلة ويوشحها في المخطط التالي :

محتوى

مرسل...........مرسلة ....ملتقط .

اتصال

لغة [2]

---

[1] ينظر : سليم حمدان- أشكال التواصل في التراث البلاغي في ضوء اللسانيات التداولية -ص 10

[2] صالح بوترعة - آليات التواصل عند ابن عربي - -ص51.

وقسم جاكبسون وظائف اللغة الى ستة وظائف وهي :

1 -الوظيفة الانفعالية 4- الوظيفة المرجعية

2 -الوظيفة الإفهامية 5- الوظيفة الميثالغوية .

3 -الوظيفة الشعرية 6- الوظيفة اللغوية

تلك هي الوظائف الست التي يشير اليها جاكسون من خلال صياغته نموذجه التواصلي

مرجعية

(السياق)

انفعالية ....شعرية.........................إفهامية

(المتكلم) (شعري) (المتلقي)

لغوية

(أداة الاتصال)

ميثالغوبة

(السنن)[1]

نلاحظ أن جاكبسون تكلم عن جميع عناصر العلمية التواصلية إضافة إلى ذلك وظائف كل منها.

" يستعرض (لينش) الوظائف اللغوية من وجهة نظر وظيفته عند عدد من الباحثين من خلال من أن النظرية الوظيفية تعد شكلا اتصاليا ، يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى "[2]

حصر بوبر وظائف استعمال اللغة في أربع وظائف وهي :

---

[1] ينظر:العزوزي حرزولي- التواصل اللغوي في الخطاب القرآني – ص 22.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري- استراتيجيات الخطاب -ص14.

1 -الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية)
2 -الوظيفة الإشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين)
3 -الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي)
4 -الوظيفة الحجاجية (لتقسيم الحجج وتبريرها)[1]

يبدو أن بوبر ضيق الخناق في قوله بأن اللغة تؤدي أربع وظائف .

يعرف هنري اللغة على أنها " التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية '[2]

أما سابير فيعرفها بقوله " وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره "[3]

يعرفها يسبرسن بما يلي :" تكمن روح اللغة في نوع النشاط الإنساني , نشاط من جانب فرد يجد في إفهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ما كان يجري في ذهن الشخص الأول "[4]

يتشح لنا من خلال التعاريف المختلفة للغة أن الوظيفة الأساسية لها هي التواصل .

اقترح معجم اللسانيات الذي اشرف عليه ج.ديوا تعريفات للتواصل.

1 -التواصل la communication "تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر interlocuteur يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية explicite ou implicite وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم le sujet parlant
2 -التواصل حدث ، نبأ ينتقل من نقطة إلى أخرى ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسله استقبلت عددا من الأشكال المفكوكة que a été codé[5]

---

[1] المرجع السابق- ص14.
[2] سليم حمدان- أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي العربي- ص70 .
[3] المرجع نفسه - ص70 .
[4] المرجع نفسه - ص70 .
[5] عبد الجليل مرتاض - اللغة والتواصل دار هومة –الجزائر-دط- 2003م- ص78.

ويعرفه

A Mole denoél;"هو عملية جعل فرد أو مجموعة متموضعة في عنصر من نقطة (س) يشارك في التجارب التي ينشطها محيط آخر , مستعملا عناصر المعرفة المشتركة بينهما"[1].

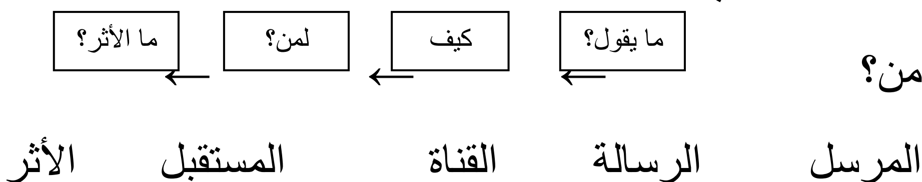
نماذج التواصل :

كثيرة هي نماذج التواصل ومتعددة وسنركز على البعض منها والتي حاولت تتبع نظام التواصل وهي كالآتي :

1/ النموذج السلوكي :

واضع هذا النموذج هو المحلل النفسي الأمريكي lassivell d.harold ويتضمن الخطاطة التالية:

من؟



المرسل الرسالة القناة المستقبل الأثر

يرى لاسويل أن الرسالة لا تحمل هدفا في حد ذاتها إنما في الأثر الذي تخلفه أو تتركه في المستقبل وفي مدى تغير سلوكه وأيضا مدى تمكن المرسل من تعديل أسلوب تواصله إذا ما ظهر خلل فيه

نلاحظ أن هذا النموذج احتوى خمس عناصر وهي :

المرسل – الرسالة - القناة – المستقبل –الأثر [2]

انتشر هذا النموذج في الو.م.ا ضمن المنظور السلوكي والذي يقوم على ثنائية المثير والاستجابة ويظهر هذا في استعمال لاسويل للوظيفة التأثيرية ؛ أي التأثير في المستقبل وتغيير سلوكه إما سلبا أو إيجابا .

ونمثل لهذا النموذج في الوسط التربوي ، حيث يعتبر المدرس هو المرسل والتلميذ هو المستقبل وما يوصله إليهم من معارف وتجارب هو الرسالة ، والقناة ما

---

[1] المرجع السابق –ص79.

[2] ينظر تاعوينا ت علي- التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي –ص20.

يستعمله من قنوات لغوية وغير لغوية ، أما الأثر هو تلك الأهداف التي يريد المدرس تحقيقها عبر تأثيره في التلميذ .[1]

2/ النموذج الرياضي :

وضع النموذج الرياضي المهندس كلود شانون Claude Shannon والفيلسوف وارين waren weaver ويركز على المكونات التالية :

مرسل ـــــــــ ترميز ـــــــــ رسالة ـــــــــ فك الترميز ـــــــــــــ مستقبل

اعتمد كلا من المهندس كلود شانون و وارين في هذا النظام التواصلي على عملية الترميز أو التشفير ، فالمرسل و المدرس الذي يرسل رسائل معرفية وتربوية مسننة بلغة وقواعد وفق معايير قياسية أو سماعية يتفق عليهما المرسل والمرسل إليه الذي هو التلميذ الطالب فالمدرس يرسل خطابه التربوي عبر قناة لغوية أو شبه لغوية أو غير لغوية نحو التلميذ أو الطالب الذي يتلقى الرسالة ثم يفك شفرتها ليفهم رموزها عن طريق تأويلها .[2]

3/النموذج الاجتماعي :

وضع هذا النموذج ريلي وريلي Riley e Riley يعتمد على فهم طريقة انتماء الأفراد إلى الجماعات،حيث يعتبر المرسل هو المعتمد والمستقبل هم جماعات أولية اجتماعية مثل العائلات والتجمعات والجماعات الصغيرة ...

هؤلاء الأفراد يفكرون ويتأثرون بالجماعات التي ينتمون إليها .

ينتمي هذا النموذج إلى علم الاجتماع ولا سيما أنه ينتمي إلى علم النفس الاجتماعي ، حيث أنه يرصد العلاقات النفسية والاجتماعية بين المتواصلين داخل السياق الاجتماعي وهو ما يطلق عليه تواصل الجماعة la communication de groupe .[3]

---

[1] ينظر :المرجع السابق- ص20.
[2] ينظر :المرجع نفسه–ص21.
[3] ينظر : المرجع نفسه- ص-21-22.

4/ النموذج اللساني :

اعتبر رومان جاكبسون roman jakobson أن اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل ، ويرى أن للغة ستة عناصر وهي :

المرسل والرسالة والمرسل إليه والمرجع واللغة . ولكل عنصر وظيفة خاصة به . فالمرسل وظيفته انفعالية تعبيرية والرسالة وظيفتها جمالية من خلال إسقاط محور الاستبدال ، على محور التركيب ، والمرسل إليه وظيفته تأثيرية وانتباهية والقناة وظيفتها حفاظية أو السنن وظيفتها لغوية أو وصفية . وهناك من يضيق الوظيفة السابقة للخطاب اللساني وهي الوظيفة الأيقونية بعد ظهور كتابات جاك دريدا والسيموطيقا .[1]

أما الوظائف التي جاء بها جاكبسون فهي كالآتي :

1/ الوظيفة المرجعية :

يلتجئ المدرس الى الواقع أو المرجع لينقل للتلميذ أو الطالب معلومات وأخبار تحيل على الواقع ؛ أي يهيمن المعارف الخارجية والتقريرية المرتبطة بمراجع وسجلات كالمرجع التاريخي واللساني والجغرافي .

2/ الوظيفة التعبيرية: تتدخل في هذه الوظيفة ذات المريل وذلك من خلال انفعالاته وتعبيراته الذاتية ومواقفه وميوله الشخصية والايديولوجية .

3/ الوظيفة التأثيرية : تنصب على المتلقي ويهدف المرسل من ورائها الى التأثير على مواقف أو سلوكيات وأفكار المرسل اليه ،لذلك يستعمل المدرس لغة الترغيب والترهيب والترشيد من اجل تغيير سلوك المتعلم .

4/ الوظيفة الشعرية أو الجمالية : إن الهدف من عملية التواصل هو البحث عما يجعل من الرسالة رسالة شعرية أو جمالية ، و ذلك بالبحث عن الخصائص الشعرية الجمالية مثل التركيز على جمالية القصيدة الشعرية ومكوناتها الانشائية والشكلانية .

---

[1] المرجع السابق - ص22.

5/ الوظيفة الحفاظية : إن التركيز على القناة فذلك لوظيفة حفاظية و إفهامية كان يستعمل المدرس خطايا شبه لغوي أو لغوي أو حركي من اجل تمديد التواصل واستمراره بين المدرس والتلاميذ /الطلبة ، وذلك باستعمال بعش المركبات التعبيرية التالية :

(ارجوكم انتبهوا الى الدرس) ،(انظروا هل فهمتم ؟)...إلخ

6/ الوظيفة الميثالغوية (الوصفية) :

يركز المدرس عبر هذه الوظيفة على شرح المصطلحات والمفاهيم الصعبة والشفرة المستعملة مثل :شرح قواعد اللغة والكلمات الغامضة الموجودة في النص والمفاهيم النقدية الموظفة اثناء الشرح .[1]

5/ النموذج الاعلامي :

هذا النموذج قائم على توظيف التقنيات الاعلامية الجديدة كالحاسوب والانترنت والذاكرة المنطقية المركزية في الحاسوب ،ومن مرتكزات عذا النموذج :

ا-خطوة التواصل وخلق العلاقة الترابطية phase de mise en connexion/contact

ب-خطوة إرسال الرسائل phase d'envoi du message

ج-خطوة الإغلاق [2] phase de clôture et déconnexion

مكونات العملية التواصلية :

تتكون العملية التواصلية من عدة عناصر ومحددات والتي لابد من وجودها إن غاب عنصر من العناصر يمكن ان يحدث خلل في هذه العملية وهذه العناصر هي كالآتي :

1/ زمنية التواصل temporalité

2/ المكانية او المحلية localisation

---

[1] المرجع السابق- ص23-24.

[2] ينظر : المرجع نفسه –ص24.

3/السنن أو لغة التواصل (التشفير والتفكيك) code

4/ السياق contexte

5/رهانات التواصل enjeux de communication

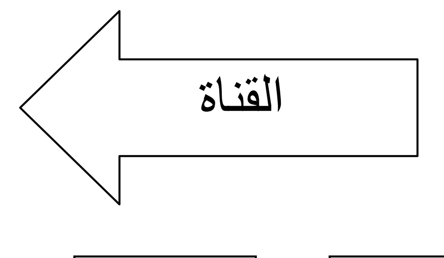
6/ التواصل اللفظي (اللغة المنطوقة)والتواصل غير اللفظي (اللغة الجسدية والسيمائية) communication verbal ou non verbal

7/ إرادة التواصل volonté de communication

8/ الفيدباك أو التغذية الراجعة feedback

9/ شبكة التواصل réseaux

*الخطاطة العامة لعملية التواصل : تتكون مما يلي



المرسل الشفرة الرسالة فك الشفرة المستقبل

تغذية راجعة [1]

تنجز عملية التواصل من خلال:

1/ المرسل Emetteur (المرسل أي شخص قام بعملية التواصل).

2/ الشفرة Encodage (الرموز التي شفرت بها الرسالة : رموز لغوية ، أصوات ،حركات)

3/الرسالة message (الشيء المراد إيصاله للمستقبل والمعبر عنه بألفاظ أو بالكتابة أو برموز مفهومة من المرسل والمستقبل : خبر معلومة ...)

[1] ينظر: المرجع السابق -ص24-25.

4/فك الشفرة décodage (أن يحلل المستقبل الرموز التي نقلت بها الرسالة وأن يدرك مضمونها حسب الدلالة التي يقصدها المرسل)

وعملية التحليل لتلك الشفرة تتم بمراحل على الشكل التالي :

يقوم المرسل بإرسال الرسالة أو الخبر ،وتترجم هذه الرسالة إلى علامات وإشارات (الشفرة) تحملها القناة او القنوات المختارة للمستقبل ، تلعب أمور عديدة دورها في تلك العملية ،منها انفعالات المرسل والمستقبل وتجاربه واتجاهاته وذاكرته وتوقعاته ، تلعب تلك الأمور دورا فعالا في عملية التواصل يقوم المستقبل بتحليل الرسالة ثم الاستجابة لها مما يكون عملية التفاعل بين الطرفين –المرسل والمستقبل – وإذا فقد عامل من العوامل لا يتحقق التواصل .

5/ القناة : canal (اللغة الشفهية ، المكتوبة ، الإشارية ، عبر الهاتف).

6/المستقبل récepteur (الأشخاص الذين يتلقون الرسالة من المرسل).

7/ التغذية الراجعة feedback (وتتمثل في نوع استجابة المستقبل لرسالة المرسل والكيفية التي تجر ي فيها هذه الاستجابة .[1]

من خلال التغذية الراجعة يقوم المرسل بتكييف مضمون الرسالة أو طريقة إرسالها أو الشفرة المستخدمة في تشفيرها حتى يتمكن المستقبل من استيعابها بنفس المستوى الدلالي الذي يقصده المرسل [2]

أنواع التواصل :

هناك أنواع مختلفة للتواصل :

والبداية تكون مع جميل حمداوي ، إذ نجده تحدث عن عدة أنواع للتواصل وهي التواصل الإنساني والآلي والسيميائي والتواصل البيولوجي ،والتواصل الإعلامي ، والتواصل السيكولوجي ، والتواصل الاجتماعي والتواصل السيموطيقي والتواصل الفلسفي والبيداغوجي والاقتصادي والثقافي ...

ا/ التواصل من المنظور اللساني :

---

[1] انظر: المرجع السابق–ص 25.

[2] المرجع نفسه–ص25-26.

يذهب العديد من اللسانين الى أن اللغة وظيفتها التواصل - كما قلنا في ما سبق-كفريناند دوسوسير (f.de saussure) الذي يرى في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة 1916) – أن اللغة نسق من العلامات والإشارات والدوال ، هدفها التواصل والتبليغ .وهذا ما نجده أيضا عند ابن جني في كتابه الخصائص،عندما عرف اللغة بقوله "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]

أما أندري مارتيني فيعرفها على أساس أنها تلفظ مزدوج وظيفتها التواصل ؛ ويعني هذا أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول وهو المونيمات (الكلمات) أما التمفصل الثاني هو الفونيمات أوالمورفيمات . مثلا إذا أخذنا كلمة يلعبون فهي تتكون من مونيم لعب وفونيمات صوتية (اللم –العين – الياء) ومورفيمات نحوية ياء المضارعة و واو الجماعة لكن الفونيمات لا يمكن تقسيمها فهي لا تتجزأ الى وحدات أصغر منها لأن الصوت مقطع لايتجزأ . . وإذا جمعنا الكلمات مع بعضها البعض نكون مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات مع بعضها البعض نكون جمل ، وبالجمل نكون الفقرات أو ما يسمى بالنص. أما رومان جاكسبون roman jaksbon يرى أن للغة بعد وظيفي ، وأن لها ستة عناصر وست وظائف –المرسل ووظيفته انفعالية والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية والرسالة ووظيفتها جمالية ، والمرجع وظيفته مرجعية ، والقناة وظيفتها حفاظية واللغة وظيفتها وصفية .[2]

إذا كان الوظيفيون يرون أن اللغة تؤدي وظيفة التواصل الشفاف بين المتكلم و المستمع فإن أزوالد د كرو يرى خلاف ذلك ، أن اللغة ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف ، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء ويعني هذا أن الفرد قد يوظف اللغة في سياق اجتماعي معين للتمويه والتخفية وإضمار النوايا والمقاصد، ويكون هذا الإضمار اللغوي ناتجا عن أسباب دينية واجتماعية ونفسية وسياسية وأخلاقية . فمهرب المخدرات لا يستعمل اسم مهرباته بطريقة مباشرة ، بل يستعمل الرموز للإخفاء ، كأن يقول لصديقه هل وصلت الحناء لهولندا؟.[3]

---

[1] ابن جني – الخصائص-ص33.

[2] ينظر : جميل حمداوي – التواصل اللساني والسميائي الثقافي والتربوي –ص 09،10.

[3] ينظر: المرجع نفسه – ص 10،11.

وأما رولان بارت Rolan Barthes يذهب بعيدا في تأويله لغة الإنسانية إذا اعتبر اللغة بعيدة عن التواصل ، إذ جعلها لغة سلطة مصدرها السلطة، ويعني هذا أن الإنسان عبد اللغة وحرفي الوقت نفسه . مثلا عندما يريد المتكلم ان يتحدث بلغة أجنبية فهو خاضع لقواعدها وتراكيبها ومقيد بمنظومتها الثقافية . ولكنه في الوقت نفسه يوظف هذه اللغة كما يشاء ويطوعها جماليا وفنيا .فقد استبدت اللغة الفرنسية كثيرا بالشعب الجزائري فأخضعته لقواعدها وسننها اللساني .[1]

نستنبط من هذا النوع من التواصل أن اللغة قد تكون أداة للتواصل الشفاف وأداة لإضمار وإخفاء وتمويه وأداة للسلطة .

ب/ التواصل من المنظور الفلسفي :

يقوم هذا النوع على مفهوم الأنا والغير والعلاقة الموجودة بينهما – يذهب الفيلسوف الألماني هيجل إلى أن العلاقة بين الأنا والغير هي علاقة سلبية قائمة على الصراع الجدلي.

أما الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر يدعوا إلى التعامل مع الغير بحذر وترقب وعدوان - وأنه يستحيل التعايش بين الأنا والغير والتواصل معهما ، مادامـا الغير يستلب حرية الأنا ويجمد إرادته.

أما ميرلوبونتي رفض ما جاء به سارتر أي النظرية التجزيئية العقلانية واعتبر ميرلوبونتي أن العلاقة بين الأنا والغير ايجابية قائمة على الاحترام والتكامل والتعاون والتواصل ، وأساس التواصل هو اللغة .[2]

أما الفيلسوف الألماني ماكس شيلر فيرى أن هذه العلاقة بين الأنا والغير قائمة على التعاطف الوجداني والمشاركة العاطفية الكلية مع الغير و لا تقوم على التنافر أو البغض أو الكراهية .وأما جيلدو لوزر أى أن العلاقة قائمة على التكامل الإدراكي[3]

ج/ التوصل من المنظور السيمائي :

[1] ينظر: المرجع السابق - ص10-11

[2] ينظر المرجع نفسه–ص 11.

[3] ينظر: المرجع نفسه –ص 11،12.

يمثل هذا الاتجاه كل من بريطو prito –مونان mounin –بويسنس buyssens وكرايس crice اوستين austin وفتجنشتاين wittgenstein واندريه مارتينيه andré martinet وأن العلاقة قائمة على ثلاث عناصر وهي :الدال والمدلول والوظيفة أو القصد.

ويرى هؤلاء اللسانيون والمناطقة بأنه لا يهمهم من هذه الدوال غير الإبلاغ والوظيفة الاتصالية ، وهذه الوظيفة لا تؤديها الأنساق اللسانية فحسب، وإنما كذلك السميولوجيا حسب رأي بويسنس وهي دراسة طرائق التواصل والوسائل المستعملة للتأثير على الغير وإقناعه وعليه فإن موضوع السميولوجيا هو التواصل المقصود.[1]

التواصل عند بويسنس هو الهدف المقصود من السميولوجيا ولقد طالب بعض السميائين (بويسنس وبرييطو ومونان) تلافيا لتفكك موضوع السميائية بالعودة الى الفكرة السوسرية بشأن الطبيعة الاجتماعية للعلامات، لقد حصروا السميائية في أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية وهذا ما ذهب إليه مونان إلى القول بأنه ينبغي من أجل تقليل الوقائع التي تدرسها السيمائية تطبيق المقياس القائل بأن هناك سميوطيقا أو سميولوجيا إذا حصل التواصل توجد إشارات متنوعة منها العفوية ، العفوية المغلوطة والقصدية ، ومن هنا نرى أنها تركز أي السميولوجيا على الدلائل القائمة على القصدية التواصلية .[2]

ويرى بربيطو :"أنه من الممكن اعتبار سميولوجيا التواصل فرعا من سميولوجيا تدرس البنيات السميوطبقية مهما كانت وظيفتها إلا أن سميولوجيا من هذا النوع ستلتبس بعلوم الإنسان ، منظورا إليها في مجموعها إذ يبدوا أن موضوع علوم الإنسان جميعا هو البنيات السميوطيقية التي لا تتميز فيما بينها إلا بالوظيفة التي تميز على التوالي هذه البنيات "[3]

يوجد لسيمياء التواصل محوران هما : العلامة والتواصل – وينقسم كل محور إلى أقسام فالتواصل السيمائي ينقسم إلى إبلاغ لساني ، وإبلاغ غير لساني ، والتواصل

---

[1] ينظر المرجع السابق- ص11-15.
[2] ينظر المرجع نفسه–ص15 .
[3] المرجع نفسه –ص16 .

اللساني يتم عبر الفعل الكلامي فنجد مثلا عند دي سوسير لابد من وجود متكلم وسامع وصورة صوتية وصورة سمعية ، أما شينون و ويفر فالتواصل يتم عبر رسالة من المتكلم الى المستقبل ثم تشفر الرسالة وتمر عبر القناة ويشترط أن تكون الرسالة واضحة لتتم العملية بنجاح بعد ذلك يقوم المستقبل بتفكيكها وتأويلها أم التواصل غير اللفظي أو غير اللساني فيعتمد على أنظمة سننية غير أنساق اللغة ، وهي حسب بويسنس مصنفة وفق معايير وهي :

1/ معيار الإشارية النسقية : وهناك تكون العلامات ثابتة لا تتغير مثل المثلثات وعلامات السير.

2/ معيار الإشارية اللانسقية : نجد هنا هذه العلامات غير ثابتة وإنما متغيرة وهذا اعكس المعيار الأول مثل الملصقات الدعائية .

3/معيار الإشارية : في هذا المعيار نجد أن العلاقة جوهرية بين المؤشر وشكله مثل الشعارات الصغيرة التي ترسم عليها :قبعة أو مظلة ، وتوضع كعلامة على واجهات المتاجر ليعرف ما يوجد فيه من البضائع .[1]

أنواع التواصل :

للتواصل أنواع عديدة ومتعددة نذكر منها ما يلي :

1/ التواصل الذاتي : يتم هذا التواصل بين الفرد وذاته وتحدث هذه العملية عندما يريد هذا الفرد أن يتخذ قرار ما أو اتجاه معين أو رأي .

2/ التواصل الفردي أو الشخصي : يتم هذا التواصل بين فردين أو شخصين وهو نوعان :

أ -مباشر : يتم وجها لوجه بين المرسل والمستقبل .
ب - غير مباشر : ويتم عبر جهاز أو وسيط أو مراسلة ....

3/التواصل الجماعي : هو تواصل بين شخص و عدد من الناس مثل تواصل الأستاذ وطلابه .

---

[1] المرجع السابق – ص17.

4/ التواصل الجماهيري : وهو تواصل يحدث بين شخصين والكثير من الأشخاص لا يتواجدون في نفس المكان ، ويكون في اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبلين ولا يحدث العكس مثل التلفاز ، الإذاعة .....[1]

5/التواصل اللفظي : يتم بواسطة اللغة الشفاهية والأصوات المعبرة عن الأفكار والمعارف المراد نقلها للمتلقين –سواء أكانت مباشرة من المرسل أو باستخدام الهواتف أو مكبر الصوت أو التسجيل الصوتي أو الظهور في شاشة التلفاز ، أو السكايب والانترنت .

6/ التواصل غير اللفظي : يشغل التواصل غير اللفظي حيزا كبيرا في علاقاتنا وتواصلنا مع الناس، حيث نجد أن العنصر الشفهي يمثل في المحادثة التي تتم وجها لوجه أقل من 35% ، بينما أكثر من 65% يتم بكيفية غير لفظية .

تعتبر لغة الجسم صورة صادقة للحياة النفسية ، عندما نعجز عما نود إيصاله للآخر نجد أنفسنا مضطرين للاستعانة بأعضاء الجسم كتعبيرات الوجه والتحديق بالعينين وغيرها ....[2]
بينت بعض الدراسات في ملتقى دولي حول سيكولوجية الاتصال والعلاقات الإنسانية ،جامعة ورقلة ، مارس 2005، أن المعلم والأستاذ يستعمل تلميحات غير لفظية بدون وعي، ويبدو هذا المعلم أكثر فعالية من المعلم الذي لا يستخدم التلميحات كما اقترح كوبر سنة 1995م ضرورة استعمال وفهم استراتيجيات التواصل غير اللفظي التالية :

1 -القرب : وتشير إلى كيفية استعمال المسافة المثبتة والمسافة الشخصية لتعزيز التعليم.
2 -الترتيبات الفضائية : وتتعلق بكيفية تنظيم الصف وأثره على مشاركة المتعلمين
3 -العوامل البيئية الإضاءة والألوان والحرارة والتهوية ومالها من تأثير على المناخ الصيفي.
4 -الزمن : أي الزمن المستغرق في مختلف الأنشطة والمواضيع والزمن المستغرق مع كل متعلم .

---

[1] ينظر تاعوينات علي – التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي –ص26-27.
[2]ينظر : المرجع نفسه –ص27،30.

5 -السلوك الحركي : استعمال حركات الجسم ، تعابير الوجه ، الاتصال بالعينين واللمس.
6 -نوعية الصوت : الحدة ، النغمة، النطق الواضح ، درجة السرعة ...إلخ، ومن حيث الاستماع يرى كوبر دائما أ نا المستمع الجيد:
-يطلب أسئلة توضيحية.
-يحلل ويلخص ما قيل .
-يعطي ويستقبل التغذية الراجعة .
-يعيد صياغة ما قيل .
-يصغي لبنية ومحتوى الرسالة. [1]

مراحل التواصل :

للتواصل مراحل عديدة منها ما يلي:

1/ استلام المثيرات والمعلومات :

يقوم الفرد بتلقي المعلومات وتحليلها وفق مخزونه المعرفي الذي يمتلكه ويختزن الذي يريد اختزانه ويتجاهل ما لا يناسبه.

2/اختزان المثيرات والاحتفاظ بها :

يقوم المتلقي باختزان المعلومات في الدائرة والتي تنقسم إلى أنواع

أ -**ذاكرة الحواس :** سميت بذلك لأنها تتعلق بالحواس وتكون قصيرة جدا مثل أن ترى شجرة يبقى منظرها عالقا في ذهنك للحظات ثم لا يبقى له أثر .
ب -**الذاكرة قصيرة المدى :** وهي الذاكرة التي تحتفظ بالمعلومات لفترة قصيرة ثم تنسى بسرعة وذلك بسبب افتقادها البصمات أو الآثار القديمة المشابهة للمثيرات .
ت -**الذاكرة طويلة الأمد :** عندما تكون هناك ارتباطات أو آثار قديمة فإن المعلومات تكون في الذاكرة طويلة الأمد. وتبقى آثارها لفترة طويلة قد تصل إلى سنوات.

[1] المرجع السابق-ص32-33.

ث -أما **أشكال الذاكرة** فهي :ذاكرة اللغة ، ذاكرة المفاهيم ، ذاكرة الخبرة ، ذاكرة الأشكال والوجوه .

3/ تحليل المثيرات :

عند استلام المخ للمعلومات يقوم بعملية ربط الخبرة السابقة بالمعلومات الواردة وتقويمها حسب المواقف ، كما أنه يوازن بين المعلومات الواردة والمعلومات المخزنة في الذاكرة ، ويقوم بعمليه تنسيقها مع الاتجاهات التي يحملها الفرد ؛ لكي يكون سلوكه منطقيا ومتسقا ومناسبا مع الموقف، وتستغرق تلك العملية فترة تعتمد على نوعية الموضوع من حيث التعقيد أو السهولة أما إذا كان الموضوع بعيدا عن التعقيد عندها تكون تلك الفترة قصيرة والعكس بالعكس.[1]

مفهوم التواصل الاجتماعي وعناصره :

أ -**مفهوم التواصل الاجتماعي** : التواصل نظريا هو العملية التي تنتقل بها أو بواسطتها المعلومات والخبرات بين فرد و آخر أو بين مجموعة من الناس وفق نظام معين من الرموز ، وخلال قناة أو قنوات أو طرف تربط بين المصدر أو المرسل والمتلقي أو فئة المتلقين .[2]

الإنسان في حد ذاته يقيم تواصلا بينه وبين ذاته أي تواصل ذاتي كما أنه أيضا يقيمه مع شخص آخر ، فينتقل من التواصل الذاتي إلى التواصل الشخصي ، وإن كان مع جماعة أصبح اجتماعيا ، ذلك باعتبار أن اللغة تواضع اجتماعي[3]، حيث أن فان ديك يقول :" يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيق والآخر فاعل على جهة الإمكان ؛ أي المتكلم والمخاطب على التوالي وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية أي طائف في الأشخاص لها نفس اللغة وتربط ضروب الاتفاق ... للقيام بالفعل المشترك الانجاز "[4]

---

[1] ينظر المرجع السابق–ص35،36.

[2] أحمد محمد المعتوق - الحصيلة اللغوية –ص71.

[3] ينظر سليم حمدان- أشكال التواصل في التراث العربي-ص81

[4] فان ديك- النص والسياق - ترجمة عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق –المغرب- دط-2000م- ص258.

نجد في لغة العرب مثلا أن السيف القاطع حسام ؛ أي أنهم تواضعوا على إطلاق هذا الاسم . وهذا ما نجده في تعريف ابن جني للغة القائم على أساس أن كل قوم يعبرون عن حاجتهم بلغة تواضعوا عليها ، لذا نجد أن العرب تقول عن شيء ما " في لغة بني تميم كذا وفي لغة أهل الحجاز كذا والمعنى أن بني تميم تواضعوا على ذلك ، ولم يتواضع أهل الحجاز عليه "[1]

نجد أن معنى التواصل أصبح أكثر شمولية من معناه المعتاد عليه المنحصر في المكتوب والمنطوق والشبه لغوي ؛ أي العناصر التي تمثل أشكال التبادل السياسية بين الأفراد أي أننا نوسع من دائرته لكي يشمل أفعال و سلوكات الفاعلين الاجتماعيين إذ أن السلوك إذا تعارف عليه المجتمع وأقره ليصبح وسيلة للتواصل بين المجتمعات وبهذا العشرة من التواصل الاجتماعي – كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أصحابه عند ما يراهم يفعلون شيء ما أو يسألونه عن شيء ما ما دام يرضي الله تعالى فيسكت عنه وهذا يعني أنه أقره ويعتبر هذا الفعل سنة تقريرية . فسلوك الصمت عند الرسول صلى الله عليه وسلم شيء متعارف عليه لذا نجد أن العرب تقول "السكوت علامة الرضا"[2].

يرى جاكبسون أن التواصل الاجتماعي لا يكون باللفظ فقط بل يتعداه حسب قوله " المهمة الطبيعية للسانيات ،هي إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم التواصل في العلوم الاجتماعية ، وحسب صياغة سابيرإن كل سلوك اجتماعي يتضمن تواصلا سواء كان بمعنى صريح أو ضمني ، فالمجتمع لا يبدو بوصفه بنية ثابتة ؛بل أعضاء الوحدات التنظيمية , ذات التعقيد ويعاد التعقيد والتشديد على هذه الشبكة بصورة خلاقة عن طريق أفعال معينة ذات أبعاد تواصلية"[3]

ت عناصره :

للتواصل الاجتماعي أربعة أقطاب يقوم عليها وهي : المرسل المستقبل والرسالة والمجتمع . والدليل على ذلك ما يلي : " تقوم اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطاب، أولها المرسل باعتباره صاحب المبادرة في التواصل ،

---

[1] ينظر الخفاجي –سر الفصاحة -د ار الكتب العلمية-لبنان ط1- 1982م–ص48.
[2] ينظر سليم حمدان - أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي – ص 82.
[3] رومان جاكبسون – الاتجاهات الأساسية في علم اللغة – ص59،60.

وثانيها المستقبل باعتباره هدفا مباشرا للرسالة وثالثها المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل وباعتباره كذلك مصدر النظام الذي تبنى على أساسه هذه العملية"[1]

يعتبر المجتمع المجال الأوسع للتواصل ، وأطرافه هما الملقي والمتلقي وتوجد علاقة بين الفرد واللغة :

"فبين الفرد والجماعة علاقة ثنائية الاتجاه ، وإن كان تأثير لغة الجماعة في الفرد أقوى من تأثيره في لغة جماعته ...باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة"[2].

إذن توجد علاقة وطيدة بين الفرد والمجتمع في التواصل إلا أنها كما يبدو أن لغة الجماعة تفرض نفسها على لغة الفرد ، سواء كانت في لغته المنطوقة أو في سلوكياته وتصرفاته ،فالفرد يعبر عن لغته بلغة المجتمع الذي ينتمي إليه وهذا ما قاله سوسير " وقد ذهب سوسير إلى النظام اللغوي ذو هيمنة على لغة كل فرد من أفراد الجماعة التي تنتمي إلى ذلك النظام فقد جعل أداء الأفراد الذي سماه parole منبثقا عن النظام الذي سماه langage "[3] نستنتج أن الفرد يجب عليه أن يتماشى مع لغة مجتمعه لكي يستطيع التواصل والتفاهم في ما بينهم.

---

[1] ينظر سليم حمدان – أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي– ص53.

[2] المرجع نفسه- ص83.

[3] المرجع نفسه– ص84.

المبحـــــــــث الثاني : مفهوم التواصل الحضاري

مفهوم الحضارة

تعتبر الحضارة من بين المفاهيم الشائكة فهي محصلة جهد إنساني منذ ظهور على سطح الأرض فاختلف المفكرون في إعطاء مفهوم دقيق للحضارة فكل منهم نظر إليها من زاوية ، محملا إياها إيديولوجيته وخلاصة فكره وفلسفته كان من بينهم أبن خلدون وتلاه شبينجلر-ارنولد تويسي –مالك بن نبي...إلخ

الحضارة لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور : " حضر الحضور نقيض المغيب، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي ، الحاضر المقيم في المدن والقرى ، والبادي المقيم بالبادية والحضارة الإقامة في الحضر ، وقال الأصمعي : الحضارة بفتح الضاد "[1]

وفي معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي :" الحضر خلاف البدو ، والحاضرة خلاف البادية لأن أهل الحاضرة ، حضروا الأمصار والديار"[2].

وردت لفظة الحضارة في معجم مختار الصحاح لأبي بكر عبد القادر الرازي : " حضر ، حضرة الرجل فناؤه والحضر بفتحتين : خلاف البدو ، والمحضر : السجل والحاضر ضد البادي وهي المدن و القرى والريف والبادية وضد ها يقال فلان من أهل البادية وفلان من أهل الحاضرة ، والحضارة الإقامة في الحضر وقال الأصمعي هو بالفتح "[3].

وفي المعاجم الحديثة نجد مفهوما مختلفا للحضارة حيث جاء في معجم متن اللغة ما يلي " الحضارة ضد البداوة والإقامة في الحضر أخص من ذلك الطباع

---

[1] ابن منظور – لسان العرب – 906-907 .

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي – كتاب العين – مادة حضر – ص136.

[3] أبو بكر عبد القادر الرازي – مختار الصحاح –ص 141.

المكتسبة في الحضر ،وأطلق مجتمع مصر اسم الحضارة civilisation كما أطلق فن تنظيم المدن على الكلمة الانجليزيةurbanisation [1]

وفي المعجم الوسيط قال القطامي:

" ومن تكن الحضارة أعجبته ****فأي رجال بادية ترانا "[2]

مما سبق نخلص إلى أن مدلول لفظة الحضارة بين المعاجم من الفعل والحضور عكسئ المغيب ، والحضارة الإقامة في الحضر ، والحضر خلاف البدو

.

وقد استعمل لفظ الحضارة لأول مرة في القرن التاسع عشر ، بمعنى أنه تفسير للواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة.[3]

ومن هنا شاع استعمال هذا المصطلح في الأوساط العلمية ليأخذ مدلولات مختلفة حسب الزاوية والمنظور.

فمنذ بداية الاتصال العربي بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر برز اتجاه الترجمة civilisation إلى مدينة ، واستمر ذلك حتى أوائل القرن 20 ، واستخدم 1936م للإشارة إلى حالة من الثقافة الاجتماعية تتميز بارتقاء نسبي في الفنون والعلوم وتدبير الملك، وفي عام 1957 أطلق على الظواهر المادية في حالة المجتمع وفي بدايات الربع الثاني من ق20 ، بدأت في الذيوع والانتشار ترجمة civilisation إلى حضارة ، وهي ترجمة تتفق وأحد معاني اللفظ ، لكنه تطور المفهوم العربي وتأثر بالمعاني والدلالات الغربية للفظ أجنبي الأصل فقد أخرج مفهوم الحضارة عن محتواه .ومع منتصف القرن20ه مالت المعاجم العربية إلى ترجمة civilization إلى حضارة.[4].

المعنى الاصطلاحي:

---

[1] أحمد رضا – معجم متن اللغة – موسوعة لغوية حديثة – بيروت / ج2-د-ط –د-ت –ص111.

[2] إبراهيم مصطفى حسن الزيات – المعجم الوسيط – دار المعارف –بيروت –لبنان –ج1- ص180.

[3] مالك بن نبي – شروط النهضة – ترجمة عمر كامل مسكاوي- دار الفكر- دمشق دط – دت – ص62.

[4] ينظر محمد جلاء إدريس- العلاقات الحضارية- دار القلم – دمشق -ط1-1424ه/2003م- ص16.

للحضارة معنيان معنى ذاتي ومعنى موضوعي.

المعنى الموضوعي:

الحضارة من الجانب الموضوعي تطلق على "مرحلة سامية من مراحل التطور ئ~الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش ،أو تطلق على الصورة التي نستند إليها في الحكم على صفات الفرد أو الجماعة ،فإذا كان الفرد متصفا بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا إنه متحضر ،وكذالك الجماعات فإن تحضرها متفاوت بحسب قربها من الصورة الغائية أو بعدها عنها"[1].

وبالتالي تعتبر الحضارة وفق هذا المعنى معايير يحكم من خلالها على الفرد والمجتمعات بالتخلف أو التحضر.أما في العصر الحديث فالصورة الغائية تتألف من عناصر أساسية مهمة حتى نحكم بالتحضر على مجتمع ما وهي"التقدم العلمي والتقني وانتشار أسباب الرفاه المادي ،وعقلانية التنظيم الاجتماعي ،والميل إلى القيم الروحية والفضائل الأخلاقية "[2]،وفيها يتداخل المادي بالروحي لإعطاء صورة متكاملة عن الحضارة إلا أن العصر الحديث افتقر إلى القيم الروحية وخاصة الجانب الأخلاقي ،وغلب العنصر المادي وطغى وغلبت المصلحة الفردية على المصلحة العامة.

المعنى الذاتي:

يدل المعنى الذاتي للحضارة على "مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات تتشابه ،فنقول الحضارة الصينية ، الحضارة الأوربية، وهي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغاتها "[3]. وقد برزت في التاريخ الإنساني عدة حضارات كحضارة الفراعنة وحضارة ما بين النهرين ولكل منها ميزتها الخاصة ،وقد امتازت حضارة المصريين بالمعابد الضخمة وعلم الطب ،وتفوق اليونان في

---

[1]آمنة تشيكو-مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي –المؤسسة الوطنية للكتاب – دط-1989م-ص19.

[2]-المرجع نفسه- ص19.

[3]- المرجع نفسه ص 19.

الفلسفة،وتميزت الحضارة العربية الإسلامية بالتكامل حيث تلاقت فيها خبرات الحضارات التي سبقتها .

وقد حاول بعض المفكرين إعطاء مفهوم للحضارة نعرج على البعض منهم لتكون الصورة أوضح:

مفهوم الحضارة عند أر نولد توينبي:

يرى أرنولد توينبي أن الحضارة تنشأ نتيجة عملية التحدي والاستجابة ،وقدم أدلة تاريخية على ذالك "فالحضارة المايانية نشأت نتيجة تحدي غابة استوائية والحضارة الأنديانية بعد مغالبة العوائق الطبيعية "،والحضارة العربية الاسلامية قامت في أكثر المناطق حرارة في العالم ،ونتيجة لتحدي الإنسان المسلم الظروف الطبيعية أسس حضارة عالمية راقية ،وفي العصر الحديث نشهد قيام صرح حضاري في اليابان رغم طبيعة أرضه الزلزالية التي تحول دون ذالك ،مما يدعم نظرية توينبي في أن الحضارة قائمة على الاستجابة والتحدي .[1]

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي :

اهتم مالك بن نبي بالحضارة وعالج مشكلاتها ،فالظرفية التاريخية التي عانى فيها بلده الجزائر من نيران الاستعمار الفرنسي ،بلور نظرته ومفهومه للحضارة ،"فهي فكرة حية في مجتمع ما في مرحلة ما قبل التحضر ،الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره ،وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه"[2].وهي تتطلب ثلاث شروط أساسية وهي الانسان + تراب +الفكرة الدينية التي يراها ضرورية للربط بين العناصر الثلاثة .[3]

---

[1]-المرجع السابق ص 75.

[2]- مالك بن نبي – مشكلة الافكار في العالم الاسلامي – نر :محمد عبد العظيم علي –دار الفكر –دط-1970 ص49.

[3]المرجع نفسه – ص 49.

فالإنسان هو مؤسس الحضارة وهو الذي يعطيها طابعها الخاص في رقعة جغرافية مناسبة (التراب).في وقت مناسب ، وكانت الفكرة الدينية حسبه هي العامل الرئيسي في تشكل الحضارة وتكاملها، وقد فصل في دور الاسلام كفكرة غيرت شبه الجزيرة العربية ومنها جميع انحاء العالم .

مفهوم الحضارة عند عبد الرحمان ابن خلدون:يعرفها بقوله "تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل و أحواله"[1]، فهي تمر بثلاث أطوار:

1-**طور البداوة:**كعيش البدو في الصحراء والبربر في الجبال والتتار في السهول وهم جميعا لا يخضعون لقوانين مدنية .

2-**طور التحضر:**حيث تأسيس الدولة عقب الفتح أو الغزو ،وانتشار العصبية والاستقرار في المدن.

3- طور التدهور نتيجة الانغماس في الترف وخفوت جذور العصبية.[2]

الحضارة العربية الاسلامية:

مما لا شك فيه أن جوهر الحضارة الاسلامية هو الاسلام وجوهر الاسلام هو التوحيد، والتوحيد هو ا"ذالك المبدأ الذي يمنح الحضارة الاسلامية هويتها ويربط جميع مكوناتها ،ليجعل منها كيانا عضويا متكاملا نسميه حضارة "[3]. وهو الذي يعطي الصفات التي تكون تلك الحضارة ، فأدخلوا جميع الموضوعات تحت لوائه ، كما عدوه المنبع الرئيسي الذي يحكم جميع الظواهر في الحضارة الاسلامية[4]

مكونات الحضارة:

للحضارة مكونان أساسيان هما الثقافة والعلم ، أما المكون الأول المتمثل في الثقافة فهي "عبارة عن المعارف التي تؤخذ عن طريق الإخبار والتلقي

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون – المقدمة ـــص173.

[2] المرجع نفسه –ص 170.

[3]إسماعيل راجي الفاروقي و لويس لمياء الفاروقي –أطلس الحضارة الإسلامية-ترجمة عبد الواحد لؤلؤة-مكتبة العبيكان – الرياض-دط- 1418ه- ص 131.

[4]انظر: المرجع نفسه- ص 131.

والاستنباط العقلي ،مثل التشريع واللغة والتاريخ وغيرها من المعارف التي تؤثر على سلوكيات الفرد والجماعات "[1]

ويتفق معظم الباحثين على أن تعريف إدوارد تايلور للثقافة شامل لكل عناصرها فهي "ذالك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع معين ."[2]، فالثقافة :"تركيب معقد لا ينشأ في يوم أو يومين ولا حتى في سنة أو سنتين ،ولا يتحكم فيه المخططون ،لان الثقافة ليست مجرد منظومات معرفية ووجدانية ومسلكية ، وإنما هي ما يتحكم في هذه المنظومات ويوجه حركتها ، أي هي نوع من التكوين غير المحسوس بما أنها أنساق تكونت على مدى زمني طويل."[3]

وإما العلم أو العلوم فهي تشمل كل المعارف التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة ،فهي الرقي في العلوم التجريبية من أجل السيطرة على الطبيعة وإخضاع ظروف البيئة فيها للإنسان.

التواصـــــــــــــل الحضاري:

بعد إزالة الغموض عن مصطلحي التواصل والحضارة ، بقي أن نبحث عن التركيب الذي يجمع بينهما ،حيث إذا اعتبرنا بأن الحضارة أفكار ومعتقدات ونمط عيش لمجتمع ما ،فهل يحصل تواصل حضاري داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات الأخرى .فالتواصل الحضاري له مفهومان عام وخاص.

المفهوم العام :

يعتبر التواصل ثمرة حوار الثقافات وتقاربها ،ومفهوم يعزز المفاهيم الحديثة للتعايش بين الشعوب ،كما أن التواصل يعبر عن مستويات رفيعة من التعايش

[1]سعد الدين السيد صالح- التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية –دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة –ط1- 1414ه/1994-ص 22.

[2]كريم زكي حسام الدين – اللغة و الثقافة-دار غريب القاهرة –ط2- 1421ه/2001م- ص 61.

[3]عبد الله الغذامي –الواقع الثقافي للإنسان العربي ، رؤية في ما هو واقع وفي ما هو مأمول –ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي –مكتبة الملك عبد العزيز -الرياض-1423ه/2002م-ص 1098.

والتفاهم والاحترام المتبادل بين الشعوب[1].وعلى هذا يمكن تعريف التواصل الحضاري "هو نتيجة للحوار والتقارب بين الثقافات يستند إلى الرصيد المشترك بين الثقافات والحضارات والقيم والمبادئ المشتركة بين الأمم والشعوب ،وينبثق من الإرادة الجماعية للأطراف المعنية به"[2]،فلابد من وجود نقاط مشتركة بين مجتمعين أو أكثر حتى تكون عملية التواصل ناجحة وفعالة ،وهو فعل إرادي ينبني على إرادة الطرفين.

فالتواصل الحضاري في مضمونه الدلالي ومضمونه الفكري "هو إقامة الجسور بين الثقافات والحضارات من خلال تقوية الروابط التي تجمع بين الشعوب ...وهو أساس التحالف بين الحضارات من وجهة النظر العلمية"[3].ويقدم محمود السروتي تعريفا للتواصل بقوله"هو عبارة عن تفاعل أفكار الشعوب ببعضها البعض وتجاربها الحضارية ،وقوتها تكمن في مدى تأثيرها وتأثرها بالحضارات الأخرى ،ويدل على ذالك الأساليب الفعالة التي اتخذتها إيصال حضارتها الى الحضارات الأخرى"[4]

المفهوم الخاص:

والتواصل الحضاري بمفهومه الخاص يتم داخل الحضارة الواحدة ،ومدى قدرتها على توزيع المظاهر الحضارية ضمن نطاقها الواسع ، وقد بختزل المفهوم في التواصل الثقافي او الفكري .ولنأخذ انموذج لهذه الحضارات التي اخذت حيزا واسعا من من العالم ،ودامت لفترة طويلة ، وهي الحضارة العربية الاسلامية .وبالتحديد الشق العربي لنرى مدى التوافق بين المشرق العربي ومغربه ،لان لكل منهما خصائص ومميزات .فمدار البحث هو البحث عن جسور التوافق الثقافي والفكري بين المشرق والمغرب العربي ، من خلال الرحلات الحجية التي كان يقوم بها المغاربة إلى البقاع المقدسة،ومدى مساهمتها في الانتشار الحضاري في ذالك العهد؟.

---

[1]انظر : عبد العزيز بن عثمان التويجري – التو اصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب –منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم و الثقافة إيسيسكو-دط- 1431ه/2010م-ص 11.
[2]المرجع نفسه –ص 11.
[3]المرجع نفسه – ص 08.
[4]محمد السروتي –التواصل الحضاري الذي نتغياه –مقال صدر 2008/06/10م.

حتمية التواصل الحضاري:

إن التواصل الحضاري هو الوصل لا القطع بين طرفين أو مجموعة من الأطراف، بحيث يصل كل طرف إلى الطرف الذي يقابله أو يرغب في الاقتراب منه والتعاون معه. وهذا الضرب من التواصل الراقي إنما ينبثق من الإرادة الجماعية والرغبة المتبادلة والإحساس المشترك، باعتباره ضرورة من ضرورات التعايش والتفاهم بين الشعوب. هو سلوك حضاري بالمفهوم العميق للحضارة، والعالم اليوم في أشد الحاجة إلى هذه الأنماط من السلوكات والممارسات المتحضرة، التي من شأنها أن تخفف من أجواء التوتر وتفتح المجال أمام تعزيز التعاون الدولي عن طريق حوار الثقافات وتحالف الحضارات تدعيما للسلام العالمي؛ بهدف تلاقح الثقافات الإنسانية وتحقيقا للاندماج والتناغم الاجتماعي عن طريق تبادل معرفي وتقني.

تعزيز ثقافة التحالف بين الحضارات

إن التحالف الحضاري هو ثمرة التواصل الحضاري، والحق أن كل فكرة تخدم المبادئ الإنسانية وتعزز جهود المجتمع الدولي، من أجل نشر ثقافة العدل والسلام ، تصب في قناة ثقافة التحالف بين الحضارات.

لا شك بأن الحضارات البشرية حلقات متصلة تأخذ كل واحدة منها من الأخرى ،ولا يمكن لها الانفصال ولو انفصلت لوقف العلم وانتهى،فلم يشهد التاريخ البشري حضارة مستقلة بنفسها استقلالا تاما ولم تعتمد على من سبقتها أي ليس هناك حضارة عصامية ،اذ لا بد من جسور ربطتها بالحضارة السابقة ،ولا يعاب ذالك لأن طبيعة التطور البشري تتطلب ذالك.[1]

[1] ينظر : سعد الدين السيد صالح – التواصل الحضاري و الحفاظ على الذاتية ص 09.

فعلى سبيل المثال استفادت الحضارة اليونانية من الحضارات الشرقية القديمة ،وكذالك استفاد الرومان من اليونان ،والحضارة العربية الاسلامية استفادت من أرث الحضارات السابقة على غرار الفرس والهنود واليونان .ولم يحط ذالك من قيمة أي حضارة ولم يقلل من شأنها .خاصة الحضارة الاسلامية لتميزها برحابة الصدر أمام الحضارات الدخيلة ،وهذا مع قدرتها على التكيف معها أورفضهاوهذا التمازج لا يفقد الحضارة الإسلامية أصالتها.[1]وفي العصر الحديث ظهر جليا تأثر الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية ،يقول لامنس في هذا الصدد"إن المنصف لا يستطيع ان ينكر حق العرب ،فقد أبدعوا مدينة حية مطبوعة بطابع قرائحهم وعقولهم وهي ذات وحدة خاصة ووصفات فائقة"[2] .

[1]ينظر :المرجع السابق-ص 10.

[2]المرجع نفسه- ص10.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمغرب في القرن الحادي عشر الهجري:

لقد مر المغرب العربي بفترة عصيبة منذ مطلع القرن الحادي عشر حيث عمت الفتن والصراعات حول السلطة والرشوة وغلاء الاسعار وانتشرت البدع والضلالات التي لا صلة لها بالدين ،وانتشرت المجاعة والجفاف.وقد وصف أبو سالم العياشي في رحلته هذه الاوضاع بقوله"دبت عقارب الفتن ،وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات الإحن ،فانقطعت السبل أو كادت وماجت الأرض بأهلها ومادت"[1]

الظروف السياسية:

كان الصراع على السلطة السمة البارزة للمشهد السياسي ،والذي تنازعته تيارات سياسية متضاربة التوجهات مختلفة المشارب وهي :

أ-الزاوية الدلائية:

في المنطقة الوسطى من المغرب(974ه/1099ه)-(1566م/1678م)،مؤسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بأمر من شيخه أبي عمر القسطلي ،ما إن بدأت الزاوية في التأسيس وبدأ أصحابها في التعمير والبناء وإكرام كل من وفد إليها من طلبة العلم وغيرهم ،لكن

[1] عبد الله بن محمد العياشي-الرحلة- تحقيق سعد الفاضلي وسليمان القرشي – دار السويد للنشر والتوزيع أبو ظبي- ط1-2006م –ج1-ص06.

سرعان ما هبت رياح الفتن بين أبناء المنصور الذهبي واسود أفق المغرب وانقطعت السبل وتغلب الأقوياء على الضعفاء [1]

ب-حركة ابن أبي محلي :(1019-1610م)وأبي زكريا الحاجي (1022-1613)-وعبد الكريم الشباني (1069-1658م)في مراكش.

ج-الزاوية السملالية: في سوس (1081/1022ه)(1670/1613م)

د- الحركة العياشية: بزعامة أبي عبد الله محمد بن أحمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي(1053/1023ه)-(1643/1614م).

ه- حركة الخضر غيلان: في الشمال (1036ه/1084ه)(1673/1652م).

و-العلويون في سجلماسة: (1050ه/1640م).[2]

هذه الزوايا بالإضافة إلى دورها الديني والعلمي كان لها يد في سياسة المغرب آنذاك، لأن أتباع هذه الزوايا كثر وهم تحت إمرة شيوخها ،وهذا ما يفسر تصدر هذه الزوايا في الدفاع عن أرض المغرب وطرد المحتلين وخاصة الزاوية العياشية.

الظروف الاجتماعية والاقتصادية:

وصفت هذه الاوضاع بالبؤس وأصاب الأرض الجفاف وانتشرت الفتن وعم الفساد ،وسدت الطرق وازدادت العصبية تفاقما ،وغلت الأسعار وانتشرت المجاعة وزاد عدد الموتى.وهذا الوضع عمر طويلا وساءت

---

[1]انظر: محمد حجي – الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي-ط2-1409ه/1988م-ص 31 ،47.

انظر:أبو سالم العياشي –الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف- تقديم وتحقيق عبد العظيم صغيري –منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية-1436ه/2015م-ج1 –ص 13،14. [2]

أحوال المغرب ،حتى أن ابن أخت أبي سالم العياشي محمد ابن عبد الجبار العياشي ألف في هذا الشأن رسالة سماها"**زوبعة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين وسبعين من الجوع والشقاق**"،بعث بها إلى أبي سالم لخص له فيها أحوال المغرب وما عصفت من محن ومعاناة الناس وما يقاسوه من مرارة العيش .[1]

الظروف العلمية والثقافية:

تميزت بداية القرن الحادي عشر الهجري بالمغرب باستفاقة علمية رغم الاختناق الذي عرفه المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ،ويعود سبب ذالك لعدة عوامل من أهمها :

1-هيمنة الزوايا على المستوى الفكري والثقافي وخاصة الزاوية الدلائية والناصرية والعياشية ،وعرفت تطورا ملحوظا في آدائها العلمي في اتجاه تحقيق يقظة علمية للخروج منا الأزمات الاجتماعية الخانقة للمغرب في ذالك الوقت .

2- تطور حركة التأليف والنشر وبالخصوص التراجم الصوفية والمصنفات الفقهية المالكية ،ومحاضرات اليوسي ورحلة العياشي .

3- انصراف أغلب الفقهاء إلى التعليم إبتغاء الأجر ودون أجرة ،ورفضهم المناصب الحكومية ،فأبو سالم العياشي نجده فضل السجن على تولي القضاء.

---

[1] المصدر السابق - ص 15.

4- إهتمام العلماء المغاربة بالرحلة إلى المشرق للاستزادة من المعارف والبحث عن الإجازات في الفقه والحديث ،وكان لهذه الرحلات دور مهم في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية وذالك بانفتاحها على علوم جديدة .

5- الانفتاح على العلوم الجديدة كالفلك والحساب والاهتمام بالتأليف في الأدب والتاريخ .

6- التطور السريع لجامع القرووبين وزيادة إشعاعه العلمي والثقافي بالمغرب وبالخصوص بعد توحيد مناهج التدريس والتصنيف.[1]

[1]انظر المصدر السابق –ص15-17.

المبـــــــحــــــــث الأول : ترجمة العياشي

1/ **العياشيون والزاوية العياشية**

تتواجد قبيلة آيت العياش في الأطلس الكبير وبالضبط في أحواز سجلماسة المتاخمة للصحراء وهذه القبيلة بربرية الأصل ، استقرت في سهل منبسط محاط بجبال وشيدت فيه الزاوية وأصبح لها دور هاما في تاريخ المغرب في تلك الفترة (القرن 11ه/17م) وقد كان لهذه العائلة بصمات وآثار بارزة في تاريخ المنطقة في تلك العهود، إذ أنها ساهمت بزاويتها وعلمائها ومجاهديها على امتداد قرن من الزمن في توفير الأمن والغذاء ونشر العلم والتوعية الدينية .

دون تاريخ هذه العائلة أحد أعلامها الذي سعى إلى جمع تراجم علمائها ورجالها الذين ساهموا في القيام بشؤون الزاوية وفي تنشيط الحياة الثقافية ، وهو عبد الله بن عمر بن عبد الكريم العياشي والذي ألف كتاب " الأحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش "[1].

ومن أبرز علمائها :

1/ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي : والد أبي سالم العياشي مؤسس الزاوية ، وهو أبرز شخصية في هذه العائلة - ولد سنة 981هـ/1573م ،عرف الفقه والأصول وخاصة التصوف تتلمذ على يد الشيخ الجليل أحمد أذفال الدرعي ، وزار الزاوية الدلائية واتصل بأبرز علمائها .

[1] ينظر : أبو سالم العياشي - إتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء - تحقيق محمد الزاهي – دار العرب الاسلامي - ط1- 9199م-ص11.

ولما تأكد شيخه محمد الدلائي من قدرته على استقطاب المريدين أمره بتأسيس زاوية بجبل أعياش لإيواء هؤلاء المريدين وتقديم الطعام وتلقينهم أوراد أبي الحسن الشاذلي وتنظيم حلقات الذكر والتدريس.

واستمر أبو عبد الله العياشي في التدريس والإرشاد وتنظيم الصفوف للجهاد أكثر من عشرين سنة . أما عن التأليف لهذا العلامة فقد سكتت تراكيب التراجم عن نشاطه في هذا المجال ولعل السبب في ذلك قضاء كل أوقاته في الدعوة والإرشاد والتوعية .توفى 1067هـ/1651م.[1]

2/ **ابنه الأكبر عبد الكريم بن محمد بن أبي بكر العياشي** : بعد وفاة أبيه أخذ مسؤولية الزاوية حيث صار مؤسسها وواصل النهج الذي رسمه أبوه لبلوغ الأهداف التي من أجلها أسست الزاوية؛ لكن عبد الكريم العياشي لم يتلق تكوينا علميا معمقا لأنه لم يجالس شيوخ العلم ولم تتح له الفرص لزيارة مراكز العلم والثقافة . ورحل إلى الشرق وأدى فريضة الحج سنة 1055هـ/1645. وله تأليف واحد وهو "أنوار السعادة في الصلاة على صاحب الشفاعة " توفى سنة 1074هـ/1664م.[2]

3/ **أبو سالم العياشي** :وهو المؤلف لكننا سنفرد له جزءا آخر للحديث عنه .

4/حمزة بن عبد الله بن محمد العياشي : وهو أشهر أعلام هذه الأسرة مكانة وعلما بعد جده مؤسس الزاوية وأبيه أبي سالم .

تلقى العلم بالزاوية العياشية والتحق بالمراكز الثقافية الأخرى لتعميق معارفه واهتم بالتصوف كثيرا وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي. وبعد

---

[1] ينظر: المصدرالسابق –ص 12.

[2] ينظر:المصدر نفسه- ص13،12.

تحصيله للعلم تصدر للتدريس واخذ عنه الكثيرون بالزاوية ولفترة طويلة تقلد حمزة العياشي باسمه لأن أثرى رصيد مكتبتها نسخا واقتناء وشارك في هذه المهمة الكثير من أفراد أسرته بإذن منه توفى سنة 1130هـ/1717م.[1]

5/ أحمد بن أبي بكر العياشي :

تكون في الزاوية العياشية وأخذ الفقه والأصول والحديث ومن أبرز شيوخه : أبوه وأخوه عبد الكريم والتحق بالزاوية الدرعية وحصل على نخبة من مدرسيها علوما جمة والتحق هو أيضا بالزاوية الدلائية وصاحب شيخه عبد الهادي بن طاهر الحسني وأخاه عبد الكريم رحلتهما الى الشرق سنة 1645/1055-.ورحل مرة ثانية مع أخيه أي سالم العياشي سنة 1651/1064- وتوفى سنة 1663/1073.[2]

6/ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان العياشي : وهو عالم فقيه ، تتلمذ على يد حمزة العياشي ، ومن مصنفاته :

-عنية البدوي وعجالة القروي على ما في البخاري من الأثر النبوي.

-شرح صلاة المشيشية

-المصباح على الفلاح، وهو شرح على حزب الجزولي .

-شرح شواهد المكودي .[3]

7/ عبد الله بن حمزة بن عبد الله العياشي :

[1] انظر: المصدر السابق –ص 13.

[2] انظر : المصدر نفسه-13،14.

[3] انظر: المصدر نفسه – ص14.

تلقى هو الآخر علمه بالزاوية ، وتتلمذ على : أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.من مصنفاته:

شرح لامية الزقاق .

-إعلام العالم بأن المحراب لأبي سالم العياشي – ألفاه للتأكيد على صحة اتجاه محراب الزاوية العياشية .

-نظم كبرى السنوسي .

وتوفى سنة 1750/1163.

8/ عبد الله بن عمر بن عبد الكريم العياشي :

وهو صاحب كتاب الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش – توفى سنة 1755/1169 . [1]

9/ عبد الله بن محمد بن حمزة العياشي:

سلك هو الآخر نهج أسلافه في مجالسة العلماء وإثراء رصيد مكتبة الزاوية ومهمة الإرشاد والتوعية - ألف رسالة أسماها "ترجمان القلب الخاشع على سمت المحراب البارع "

10/ عمر بن عبد الكريم بن محمد العياشي :

وهو من أبرز النساخ بالزاوية العياشية ،ومن الكتب التي نسخها : شرح البخاري .[2]

11/ محمد بن حمزة بن عبد الله العياشي :

---

[1] ينظر :المصدر السابق –14،15.

[2] ينظر:المصدر نفسه –ص 15،16.

أخذ العلم كسابيقه من الزاوية ، ومن ثم رحل إلى أهم مراكز الثقافة في عهده ، ومن أبرز الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم الشيخ أحمد الجرندي، ومحمد بن أحمد المسناوي . ونسخ أيضا رسالته "شرف الهمة إلى شرح الذمة" التي درست في ثلاث حلقات سنة 1712/1124، وأجازه أبو العباس الولائي .ومن مصنفاته :

-إرفاد الوافد القاصد وبرد غلة المسترشد الراشد بإنشاد الشارد من شعر الجد و الوالد . وهو من أهم كتبه ترجم فيه بإسهاب لأبيه حمزة وجده أبي سالم العياشي وذكر مجموعة من أشعارهما .

-كتاب الزاهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم تكلم فيه عن سيرة جده أبي سالم وذكر فيه آرائه وأفكاره .نسب له ابن سودة كتابا خصصه لسيرة شيخه أبي عبد الله بن أحمد الدلائي المسناوي .[1]

12/ محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي :

تكون هو الآخر في الزاوية ، وتضلع في الفقه والنحو والحديث. ومن شيوخه : أبو سالم العياشي الذي لقنه طريق القوم ومبادئ التصوف.لم تذكر المصادر مؤلفاته لكنها ذكرت أنه أرسل إلى عمه أبي سالم سنة 1661/1072 رسالة هامة وصف له فيها بكل دقة المجاعة التي تفشت بالمنطقة وغلاء الأسعار في تلك الفترة – توفى 1680/1091.[2]

---

[1] انظر :المصدر السابق –ص 16.

[2] انظر :المصدر نفسه –ص 16.

13/ محمد بن يوسف العياشي :

وهو أديب عالم بالفرائض وكان من النساخ الماهرين بالزاوية تلقى العلم على أبي سالم العياشي وشاركه في العديد من التلاميذ الذين تتلمذ على يديهم .

تقلد القضاء بالزاوية العياشية والتدريس بفاس.ومن آثاره: مجموعة من الأشعار وبعض الفتاوى .[1]

إن أعلام هذه الأسرة المباركة ساهم مساهمة كبيرة في إحياء الحركة الثقافية في تلك المنطقة بالمحراب.ونجحوا في كل المهمات والمسؤوليات الموكلة إليهم.

ولعل السر في نجاحهم هذا يعود إلى : عمق تكوينهم العلمي في زاويتهم أو في الزوايا المجاورة لهم كالزاوية الدلائيةوالدرعية أو في مراكز الثقافة الأخرى كفاس ومراكش أو عن طريق مكتبتهم التي حرصوا على إثرائها نسخا وتأليفا واقتناء ا.[2]

الزاوية العياشية :

لقد مر المغرب في القرن 11هـ/17م بفترات عصيبة اتسمت بالصراعات والاضطرابات و مما أدى إلى التفكك الاجتماعي والانهيار الاقتصادي . وأصبحت السلطة المركزية المخزن آنذاك عاجزة عن الردع وإصلاح ما فسد .عجز المخزن عن توفير الأمن الذي أصبح هفا منشودا ، خاب الظن وفقد الأمل في المؤسسة الحكومية وأصبح البحث عن البديل مطلبا اجتماعيا

[1] ينظر : المصدر السابق- ص17،16.

[2] ينظر:المصدر نفسه – ص17.

.وفي ظل هذا الوضع المتردي ظهرت الزوايا كبديل لطالبي الأمن و العدالة الاجتماعية والغذاء.وقد عوضت الزوايا المخزن الذي عجز عن أداء دوره على أكمل وجه وكان لها دور مهم في حياة الناس ، وهو دور متعدد الجوانب سواء أكان أمني أو اجتماعي أو ديني أو علمي .لكن السلطة المركزية لم تترك الزوايا تمارس بكل حرية ؛ بل عطلوها واضطهدوا مؤسسيها [1].

إن المهمات التي ستحملها هذه الزاوية العياشية على عاتقهاحمل ثقيل وهي مهمات كثيرة اجتماعية ودينية و توعوية.أما المهمة الاجتماعية فتمثلت في جمع شتات القبائل وتوحيد صفوفها وتحقيق أمن الأفراد وتوفير الغذاء . ولتحقيق الهدف المنشود اتخذت كل الزوايا مقراتها في السهول والجبال .فشيخ الزاوية يجب أن يفكر أولا في العمق الاستراتيجي للقبيلة فالسهل يعتبر المتنفس الاقتصادي لتوفي الغذاء أما الجبل فيوفر الأمن من كل الغارات والهجمات.وأما الدور الرئيسي فتمثل في الدعوة والتوعية والتلقين . فالوازع الديني ضعف كثيرا والبلاد أصبحت مهدد ة من طرف الغزاة المسيحيين أما شيوخ الزوايا فعلموا على تعبئة المريدين وحثهم على الجهاد ضد السلطة المركزية العاجزة ، وصد الخطر الأيبيري الذي بات يهدد الإسلام في تلك المناطق . فعقدوا الدروس العلمية وحلقات الذكر والتلقين وتدربوا تدريبات ذات طابع قتالي هجومي.[2]

لقد ساعدت الظروف السياسية والاجتماعية محمد بن أب بكر العياشي على تأسيس الزاوية العياشية في جبل اعياش فبعد تكونه المعمق

---

[1] ينظر:المصدر السابق –ص17-18.

[2] ينظر :المصدر نفسه- ص 18.

وتشبعه بمبادئ الجهاد لنصرة الدين ومحاربة البدع أمره شيخه محمد الدلائي سنة 1634/1044 بتأسيس زاوية تكون بمثابة الفرع للزاوية الدلائية في منطقة جبل أعياش لكن الزاوية العياشية أخذت استقلاليتها بسرعة فائقة.إن الذي ساعد المؤسس محمد بن أبي بكرالعياشي على النجاح في مهمته هو تمتع الرجل بتقدير القبائل المجاورة و بثقة الناس.وكان يدعوهم إلى الدين الإسلامي ويلقنهم الشريعة ويدرس القرآن والحديث.[1]

إن نجاح الزاوية العياشية في مهمتها لم يكن مجانبا بل يضاف إلى مكانة مؤسسيها المشرفين والقائمين عليها من العائلة العياشية علماء أكفاء ومجاهدون محاربون قاموا بمهمتهم على أكمل وجه. يعزى هذا النجاح للزاوية وإلى العلاقات المتينةبأهم الزوايا الأخرى الزاوية الدلائية والزاوية الناصرية . فقد قطفت الزاوية العياشية ثمار هذه العلاقات والصلات مع تلك الزوايا واستفادت من خبرة مؤسسيها وعلم شيوخها ورصيد مكتباتها. كما يعود أيضا سبب النجاح إلى مكتبتها الهامة التي حوت كنوز من المصنفات حتى أصبحت المكتبة العياشية من أهم المكتبات في تلك المنطقة أثروا رصيد هذه المكتبة باقتناء العياشيون من الشرق أثناء رحلاتهم العديد من المصنفات وبذلوا في سبيلها كل غال ونفيس. كما نجد أن النسخ كان من أهم العوامل التي ساهمت في عملية الإثراء حيث نلاحظ أن جل أفراد العائلة قاموا بنسخ كتب عديدة وزاروا مكتبات مجاورة لنسخ المصنفات الهامة التي تحتاجها المكتبة . وكان العياشيون يؤجرون بعض النساخ من عائلات أخرى لنسخ الكتب ويوفدونهم إلى الزوايا المجاورة للقيام بالنسخ .[2]

---

[1] ينظر المصدر السابق –ص18-19.
[2] ينظر المصدر نفسه – 19-20.

بفضل المجهودات المبذولة من الزاوية وعلمائها الأجلاء وفرت الاستقرار والأمن والغذاء والعلم ، وأتاحت الفرصة لكل من رام في نفسه الالتزام الحقيقي والفعلي بالمبادئ التي أسست من أجلها للإنسان إليها من أجل أن يصبح من عناصر الفاعلة تدريسا ونوعية وجهادا .

وتفخر هذه الزاوية بأنها أنجبت أبا سالم العياشي وابنه حمزة كما أنها أنجبت العديد من العلماء الأجلاء من القبائل الأخرى أمثال : أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1767/1181 وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السلجماسي المتوفى في سنة 1761/1175 وعبد الكبير بن عبد الرحمن المجدوب بن عبد الحفيظ الفاسي المتوفى سنة 1878/1295.[1]

لعبت الزاوية العياشية دورا مهما في تلك المنطقة وذلك بفضل علمائها ومجاهديها ومكتبتها وأرست الاستقرار الاجتماعي وساهمت في نشر العلم .

ترجمة العياشي :

1/ مولده ونشأته العلمية ورحلاته :

ولد العالم الفذ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر يوسف بن موسى العياشي ، الملقب بعفيف الدين أواخر شهر شعبان سنة 1037هـ/04ماي 1628م ، سمي بالعياشي نسبة الى آيت عياش ، وهي قبيلة أمازيغية .[2]وكناه الشيخ أبو اللطف الوفائي بابي سالم في كتاب إقتفاء الأثر بقوله

---

[1] ينظر:أبو سالم العياشي- اتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء- ص 21.
[2] ينظر: أبو سالم العياشي- الرحلة-ج1- ص29.

"ألبسني الخرقة وكناني بأبي سالم وقال لي سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة وقال لي هذه خرقة السادات" .[1]

قدم هذا العلم من سجلماسة بجنوب الغرب الواقعة وسط واحة كبيرة جنوب الأطلس الكبير يخترقها نهرا "غريس" و"زيز" وتبعد عن مقر الزاوية الحمزاوية ، مسقط رأس أبي سالم العياشي مائة وأربعين كيلومترا . متسربلا في لبوس صوفي اسمه الزاوية العياشية والتي تلقى فيها تعليمه الأول ممتطيا صهوة حصان اسمه "ماء الموائد" ومتسلحا بعلوم ومعارف مختلفة في الرواية وفي التربية والسلوك وفي النحو والأدب ، وفي الفقه والعقيدة . ولد من أب صوفي والذي كان من شيوخ العلم والتربية في عصره وهيأ الله تعالى الأسباب لينشأ أبو سالم في بيئة صالحة صقلت موهبته ، ورعت مداركه وزكت نفسه وقوت شخصيته حتى أصبح مسئولا عن العلم والتربية في الزاوية العياشية واللسان الناطق بها وبشؤونها [2].

ويعتبر أبو سالم العياشي من أبرز علماء الأسرة العياشية فهو الأديب والصوفي والشاعر والمدرس والناقد والفقيه والرحالة والداعية إلى تعاليم الإسلام والمحارب للبدع التي انتشرت في المغرب في تلك الفترة [3].

ذكرنا آنفا بأنه قرأ وتعلم على يد أبيه ونضيف كذلك أخوه الأكبر عبد الكريم،ولقي أبو سالم العياشي عددا كبيرا من الشيوخ آنذاك بالمغرب والمشرق ، دارسا ومستجيزا ومناظرا واجتمع له من الروايات ما لم يجتمع

---

[1] 1-أبو سالم العياشي –اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –تحقيق نفيسة الذهبي-كلية الآداب بالرباط- ط1- 1996م- ص 156.

[2] ينظر أبو سالم العياشي – الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف –ج1–ص23.

[3] أبو سالم العياشي- التحاق الأخلاء بإيجارات المشايخ الاجلاء –ص23.

لغيره من معاصريه بدوا وحضرا ، وقضى معظم أيام حياته مدرسا وخطيبا بجامع زاوية آيت عياش ، وعاش إلى ما بعد عهد السعديين .[1]

تلقى أبو سالم العياشي تعليمه الأول منذ نعومة أظفاره بزاوية العائلة وبدأ مبادئ العربية وبعض العلوم الدينية ، واهتم بمطالعة بعض الفنون التقليدية في الفقه والفرائض والأصول . وفي سنة 1643/1053 التحق بالزاوية الناصرية وجالس علمائها وشيوخها في التصوف ، ومن بينهم ابن ناصر الدرعي. ثم ذهب إلى فاس والتحق بجامع القرويين حيث عرف العلوم الشرعية كالحديث والفقه .[2]

لكن أبو سالم لم يشف غليله ما تلقاه من تعليم من المغرب وتاقت نفسه إلى الشرق للاغتراف من علمائه وذكر ذلك بنفسه في اقتفاء الأثر " وكنت في أول معاناتي للطلب ، وتشبثي بأذيال الأدب ، كلفا بالرواية ومستروحا إليها من أثقال الدراية فأخذت من الأعلام الذين أدركتهم بالمغرب قليلا فلم يشف ما لديهم مما أجد (غليلا ولا أبرأ)عليلا لأنهم اقتصروا من الكتب على ما اشتهر ، واستغنوا عما غاب بما ظهر ، دون المسلسلات والأجزاء الصغار وعوالي الإسناد وغرائب الأخبار ، فلما من الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية أولا ولعنان العزم نحو الزاوية ثانيا تتبعت في ذلك في مظانه وعند أربابه ورميت و الحمد لله بسهم مصيب مع أصحابه "[3].

نلاحظ من خلال ما سبق أن أبو سالم كان ذو همة عالية وكان يطمح إلى التشبع بمختلف المعارف والعلوم والشرب من معينها وأدرك أن أخذه

---

[1] ينظر محمد حجي – الحركة الفكرية في عهد السعديين - منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – ج2–ص509.

[2] ينظر –أبو سالم العياشي –إتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء –ص23.

[3] ينظر: أبو سالم العياشي – اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص100-101.

من علماء المغرب لم يكفه فرحل إلى المشرق ووجد ما لم يجده في المغرب.

أما عن الرحلات فقام بثلاث رحلات جاب من خلالها أهم المدن : دمياط الإسكندرية ،القاهرة، مكة المدينة ،بيت المقدس ،غزة والرملة وغيرها .وكان له في كل مدينة نشاط علمي متميز سواء أكان تدريس أو رأي أو نقد ،وكان يجالس العلماء ويناظرهم و يستخبرهم ويرتاد خزائن الكتب للمطالعة والنسخ . أما الرحلة الأولى كانت في شهر ربيع النبوي سنة 1059هـ/1649م قام بها أبو سالم العياشي وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره . فقد ذكر هذا في رحلته "ماء الموائد" " والشباب إذ ذاك ناعمة أغصانه، والهوى شديد على القلب عصيانه وفن الصبا ناعمة أوراقه "[1].

وأما الرحلة الثانية فقام بها أواخر ربيع النبوي1653/1064 ، قال عن هذه الرحلة " فاتسع المجال في لقاء الرجال ، ومذاكرة الإخوان في كل أوان ، ومحاضرة الأدباء ، ومجالسة الظرفاء ، وحصلت في تلك الرحلة المباركة ما حصلت لي به المرتحلين المشاركة فعزمت على تدوين ذلك في مجموع تحصل به الإفادة لمن طلب الاستفادة "[2] أما بالنسبة للرحلة الثالثة فقد عزم عليها سنة 1658/1069 إلا أنها تأخرت إلى سنة 1661/1072 وهذا يعود لأسباب أمنية فقد قال في هذه الرحلة عنها "فلما جاء الوقت المذكور ورجوت حصول السعي المشكور وذلك في سنة تسع وستين دبت في مغربنا عقارب الفتن وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات الإحن ،

[1] ينظر: أبو سالم العياشي- إتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء-ص24, وأبو سالم العياشي - الرحلة العياشية -ج1-ص52.

[2]ينظر- أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية –ص53.

فانقطعت السبل أو كادت وهاجت الأرض بأهلها ومادت فكربت أيأس من بلوغ المرام ، ولم يخمد مع ذلك متأجج نار الغرام...إلى أن كان أوائل اثنين وسبعين أحسن الله عاقبتها وكفى المسلمين غائلتها، اشتد العزم مني كما كان قبل ذلك وأعظم وخيل لي أن أمر التوجه في سلك التوفيق قد انتظم ..."[1]

تعتبر هذه الرحلة الأخيرة من أهم الرحلات بالنسبة لأبي سالم العياشي –بدأ الرحلة من سجلماسة مرورا بالمغرب ثم الجنوب الجزائري فالجنوب التونسي فطرابلس و القاهرة فالحرمين الشريفين ،ثم انتقل بعد ذلك إلى أهم المدن الشامية : غزة ، الرملة ، بيت المقدس والخليل .

كان للمدينة النبوية دور بارزا في هذه الرحلة حيث تعتبر أهم مركز استفاد منه كثيرا. فقد قضى هناك ما ينيف عن سبعة أشهر .وسكن فيها بمشهد إسماعيل ثم برباط عبد القادر الجيلاني ثم برباط النخلة .[2]

ومن أبرز من لقيهم بالمدينة محمد بن محمد المغربي الروداني والذي صاحبه كثيرا واستنفد منه كثيرا وذكر أبو سالم العياشي البشر والحفاوة التي لقيها من الشيخ الروداني حتى انه خجل ابو سالم من مقام هذا الشيخ وما رأي من بره وإحسانه وتواضعه .[3]

[1] أبو سالم العياشي –الرحلة العياشية –ص54.
[2] ينظر : أبو سالم العياشي –إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء –ص24-25.
[3] ينظر : أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية –ص37.

يعتبر هذه الرحالة من أعيان علماء المغرب ومن الذين تركوا بصمات بارزة في التاريخ المغربي [1] .

أما عن العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية أبي سالم العياشي فنوجزها في الآتي :

1- البيئة العلمية الصالحة التي وفرتها الزاوية العياشية ، وصحبة أبي سالم اللصيقة لشيوخها ، خاصة أبوه محمد بن أبي بكر العياشي رحمه الله .

2- زيارته للزاوية الناصرية سنة 1053 هـ ، واحتكاكه بعلمائها وفقهائها .

3- رحلته الاضطرارية إلى فاس ، إثر الأزمة التي عاشتها الزاوية العياشية مع المولى رشيد ، الذي أجلى أهل الزاوية وغربهم إلى فاس ، وقد كانت محنة في طيها منحة ، وإذا كانت الفرصة مواتية لأبي سالم للاحتكاك بطلبة وعلماء جامعة القرويين .

4- علاقاته الودية بعلماء الزاوية الدلائية والمراسلات العلمية والأدبية التي كانت بينهم ، خاصة مع أبي علي الحسن بن مسعود "اليوسي" و "الطيب بن محمد بن محمد بن أبي بكر الصغير الدلائي".

5- اهتمامه بالتواصل مع العلماء ، وحرصه الشديد على ربط الصلات العلمية والأدبية معهم وتصيده لفرص اللقاء بهم ، حتى لو أقتضى ذلك مكابدة الشدائد ، وتطويل مدة الرحلات وتغيير مساراتها كما فعل رحمه الله مثلا في صحبته وزيارته ل "أبي بكر بن يوسف السكاتي" بمراكش وهو

[1] ينظر –عبد الهادي التازي –رحلة الرحلات مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة- مراجعة د- عباس صالح طاشكيندي –مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي –(د-ط) -142هـ/2005م – ج2- ص 200.

في طريق العودة من المشرق في رحلته الأولى ، فأخذ عنه أبو سالم العلوم والمعارف ولقنه الذكر و مروياته في الظاهر والباطن عند أوبتهما من الحج [1].

6- شخصيته التواقة الطموحة التي لا ترضى بالدون ، ولا ترتاح إلا في طلب المعالي ، فقد عرف عن أبي سالم رحمه الله تشوقه الدائم للتميز ، وحرصه الشديد على الاستفادة القصوى من كل من لاقاه من العلماء والفقهاء ، ولدرجة أنه فرض شخصيته القوية عليهم ، فاستأثر باهتمامهم وحظي بحسن رعايتهم : هاهو الشيخ "بدر الدين الهندي" المشهور بضبطه للعلم المنطق بالمدينة المنورة ، يطلب من أبي سالم تمديد مدة إقامته بالمدينة المنورة ليدرسه العلوم العقلية التي يحتاجها ... ونقرأ في فهرسته كيف كان يواصل الليل بالنهار، إذ يحكي عن نفسه ، أنه الطالب الوحيد الذي ختم "المقدمة الجزرية" على الشيخ "الديبع اليمني" على الرغم من أن مدة الدرس لا تتجاوز المرة الواحدة في اليوم ، مما اضطر معه الشيخ 'اليمني " الى أن يخصص له حصة إضافية بين الظهرين؛ بل إنه تفرغ له بالكامل قبل رحيله ليتم عليه القرآن الكريم بقراءة بن كثير ويجيزه في مروياته .

7- جمعه بين الشريعة والحقيقة فقد كان متفرغا بالكلية لسيرته أنه لم يشغل نفسه بشيء آخر غير التعليم والتعلم ، ولم ينخرط في الصراعات السياسية التي عرفها في عصرها، كما كان من الزاهدين في المناصب الرئاسية كالقضاء مثلا إذ تشير بعض المصادر إلى أن السلطان محمد الشيخ السعدي

---

[1] ينظر:أبو سالم العياشي – الحكم بالعدل و الإنصاف الرافع للخلاف-ص25،24.

عرض عليه القضاء ، لكنه رفض ، وكان ذلك سببا في ترحيل الأسرة العياشية إلى فاس.[1]

8- كان للرحلات دور بارزا في صقل موهبة أبي سالم، وتفتحه على معارف وعلوم لم تتح لغيره من علماء عصره ، وقد كانت لأبي سالم ثلاث رحلات ، الأولى سنة 1059 هـ والثانية سنة 1064هـ والثالثة سنة 1072هـ، وفي هذه الأخيرة، ألقى دروسا في الفقه بالمدينة المنورة على مذهب مالك رحمه الله. كما ألقى بها دروسا في فنون مختلفة كالتوحيد والنحو والبلاغة ، وفي هذه الرحلة أيضا ألف رحلته الشهيرة "ماء الموائد" في مجلدين كبيرين " [2].

تلك هي أهم العوامل التي ساعدت أبو سالم العياشي على التميز .

2/ شيوخ أبي سالم العياشي وأساتذته :

ما كان لأبي سالم ليحظى بالمكانة المرموقة التي وصل إليها والتميز لولا تنوع مشاربه ومعارفه وبالخصوص تنوع شيوخه بين الفقه واللغة والتصوف والتربية والنحو وغيرها .

إذ كان للشيوخ الذين تتلمذ على يدهم سمة بارزة في تكوين شخصيته الفذة , وكان حرصه شديد على ملاقاة الشيوخ والنهل من معينهم حتى ولو كلفه ذلك مكايدة الشدائد والمحن.

ومن شدة حرصه إذ نجده خصص في فهرسته خصص مبحثا خاصا استعرض فيه ابرز شيوخه في الفقه والتربية والعلم .

---

[1] ينظر: المصدر السابق–ص 26،25.

[2] أبو سالم العياشي - الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف –ص24-27.

اخذ أبو سالم العياشي عن شيوخ كثر في مختلف المناطق الجغرافية منهم المغاربة – المصريون – المشارقة – ومن مكة المكرمة والمدينة المنورة والجزائر وتونس وطرابلس .

شيوخه في الفقه والعلم :

أولا : الشيوخ المغاربة :

1/ أبوه : بدأ تعليمه على يد والده ، فهو يعتبر أول شيوخه في التربية والتعليم , وأول من أخذ عنه ولم ينسى أبو سالم العياشي فضل أبيه حيث نجد أن ذكره في فهرسه وقال عنه " رباني فأحسن تربيتي ، وغذّاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي "[1]. واخذ عنه وظيفة الشيخ زروق ولقنه الذكر واخذ عنه أيضا مجموعة هامة من كتب القوم ودواوين عدة في فنون كثيرة .[2]

2/ أبو بكر يوسف السكتاني : من علماء مراكش وسمي بالمراكشي نسبة إلى مراكش ، فهو صوفي فقيه ومحدث رحل إلى المشرق ثلاث مرات وصل إلى فاس واستقر بالقاهرة. أخذ عن الكثير من الشيوخ منهم : إبراهيم اللقاني ويوسف الزرقاني وأحمد بابا التنبكتي وغيرهم. يذكر العياشي أنه لقي الشيخ ببسكرة ولقنه الذكر وجميع مروياته ،وأجازه واعتمد على أسانيده في التصوف .ولقيه مرة أخرى بالأسكندريةسنة1060ه/1650م.توفي سنة 1063ه/ 1652م.

3/ أبو العباس بن موسى اللبار المعروف بابن "حمدون":

[1] أبو سالم العياشي –اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص36.
[2] أبو سالم العياشي – إتحاف الأخلاء بايجازت المشايخ الأجلاء – ص40.

أثنى أبوسالم على شيخه قائلا:"شيخنا العالم النبيه المدرس الفقيه ،المحتسب في تعلم العلم ،المحلى بحلية الوقار والحلم"[1]وقرأ على ابن عاشور المقري من مؤلفاته "كشف الرواق".

4/ الحسن بن مسعود اليوسي :سمي باليوسي نسبة إلى أيت يوسي و يعتبر هذا العالم نابغة عصره ،فهو عالم وأديب متميز ،وهو من أفضل المتحقيقين بالعلوم العقلية و النقلية .رافقه أبو سالم العياشي كثيرا وأخذ عنه علوما جمة حتى أن أبو سالم أشاد به بقوله :

من فاته الحسن البصري يدركه **** فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

فاليوسي هو الآخر شاعر مجيد مكثر ، الشعر عنده أسهل من النفس ، بل كان يقول لو شئت أن لا أتكلم إلا بالشعر لفعلت. ومن كتبه : المحاضرات ونهر الأكم في الأمثال والحكم والقانون في ابتداء العلوم . توفي سنة 1102هـ.[2]

5/ أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكناسي : رحل إلى المشرق بعد سنة 1040هـ/1630م ، بقي بجوار مكة أكثر من عشرين سنة .قال عنه العياشي : "بلغ في بلاد الحجاز واليمن والهند والعراق المحل الذي لا يعدل عنه في قلوب الخاصة والعامة والأمراء والولاة "[3].

6/ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي : ولد الإمام العالم العلم بالقصر الكبير سنة 1007 ونشأ به، وهو يعتبر بركة فاس وحجة المغرب في

---

[1] المصدر السابق- ص 41.

[2] ينظر: أبو عبد الله كنون – النبوغ المغربي في الأدب العربي –طنجة دط- 1380ه/1960م – ج1-ص 285.

[3] أبو سالم العياشي –اتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء -41.

عصره رحل إلى فاس سنة 1025هـ/1616م في طلب العلم واستقر فيها ودرّس . وأخذ عنه الكثير ،يعتبره الشيخ عبد القادر الفاسي من أبرز شيوخ الحديث والتصوف في عصره .

من مؤلفاته : تعليقات على البخاري- النتيجة المحمودة في الرد على زاعم ملكية وادي مصمودة ، روضة الأنس وهو فهرسة شيوخه. توفى سنة 1091هـ/1680م.

قال العياشي أنه نهل من معينه وأخذ عنه علوما كثيرة في سائر الفنون كالفقه والحديث و التفسير والنحو والبيان والأصليين والتصوف [1].

7/ محمد بن أحمد ميّازة : يعتبر فقيه المغرب في القرن 11هـ/17م, وأخذ عن ابن عاشر والمقري حضر أبو سالم العياشي دروسه ، وسمع عليه بفاس جملة من كتب الفقه وشرحه الصغير على كتاب المرشد المعين بأكمله وأجازه. له كتب عديدة منها : شرح المرشد المعين (ابن عاشر) –شرح لامية الزقاق – نصيحة المغتربين [2]

8/ محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني :

تولى القضاء بتافيلات . ودرس بفاس ومدغرة توفى سنة 1089هـ/1678.

9/محمد محمد ابن أبي القاسم بن سودة : ولد سنة 1003هـ، وهو مفتي وقاضي مدينة فاس ومدرسها ،وهو من أعلام الفقه والأدب في المغرب .من

---

[1] ينظر : عبد الله كنون- النبوع المغربي- ص283-284 وأبو سالم العياشي - إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء- ص42.

[2] أبو سالم العياشي –إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء- 42-43 وأبو سالم العياشي- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر- ص36.

مؤلفاته : زاد المجد الساري لمطالع البخاري،شرح تحفة ابن عاصم .توفى 1076هـ/1666م.

10/ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي : يعتبر الفقيه والصوفي مؤسس الزاوية الناصرية الشاذلية وهو أحد أقطاب التصوف في المغرب في القرن 17م ،عرف بكفاءته في علمي التفسير واللغة ، تفقه على أبرز شيوخ عصره كعلي بن يوسف الدرعي والسكتاني .ورحل هو أيضا إلى الشرق مرتين الأولى كانت 1070هـ/1659م والثانية سنة 1076هـ/1665م.من آثاره : غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب وله أيضا رحلة وأشعارا كثيرة . توفي سنة 1085هـ/1674م .وبعد مماته جمع ابنه أحمد رسائله التي بعثها إلى أصدقائه ومؤيديه بالزاوية الدرعية وإلى الأمراء في مجموع سماه :" إتحاف المعاصر برسائل الشيخ ابن ناصر"[1]

وأشاد العياشي بشيخه في المسالك الهداية :" كان رضي الله عنه شديد الإتباع للسنة في سائر أحواله حتى في لباسه وأكله وفي أنواع العبادات والعادات ، سالكا في ذلك مسلك الشيخ المرجاني وابن أبي حمزة وابن الحاج ونظرائهم"[2]

ثانيا : الشيوخ الأفارقة والمشارقة :

1/محمد بن عبد الكريم الفقون القسنطيني : فهو العالم والأديب لازم الشيخين سعيد قدورة وبلغيث القشاش دوّس بزاوية عائلته وبجامع

---

[1] ينظر : أبو سالم العياشي –الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف- ص 31،و إتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء-ص 44،43.

[2] ينظر : ابو سالم العياشي – الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للأخلاق – ص31 ،وإتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء – ص43-44 .

قسنطينة.ومن كتبه : فتح اللطيف بعلم التصريف ، فتح المولى لشرح شواهد الشرف أبي بعلى ، محدد السّنان في نحور إخوان الدخان. توفى سنة 1073هـ/1662م.

2/ محمد بن أحمد بن مساهل : يعتبر من الذين أفتوا الناس بطرابلس أكثر من أربعين سنة. درس بمنزله وبجامع مدينة طرابلس ، وقد صاحبه العياشي واستفاد منه كثيرا [1]

ثالثا : الشيوخ المصريين :

1/ زين العابدين علي الأجهوزي: وهو من اول شيوخه بمصر ، فهو فقيه مالكي كانت له صلة بشيوخ المغرب وعلمائه بواسطة المراسلة وتبادل الأسئلة والفتاوى ،وسمع أبو سالم عليه بعض كتب الحديث وعددا من الأحاديث المسلسلة وإجازة عامة بكل ذلك.

2 / إبراهيم بن محمد الميموني : ولد سنة 991هـ/ وهو من أعلام التدريس وشيوخه بمصر ، له صبر وتحمل نادرين في التعليم والتلقين قال عنه تلميذه أبو سالم العياشي حينما رآه منكبا على إرشاد طلبته وتوجيههم رغم الضعف والكبر قد اثر الهرم فيما عدا عقله .توفى **1080.**

3/أبو المهدي عيسى ابن محمد الثعالبي: محدث وفقيه، أعجب به أبو سالم في سعة علمه وجمعه للأسانيد وهو شاذلي كثير الإتباع توفى سنة 1080هـ/169م

---

[1] ينظر : أبو سالم العياشي – إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء – ص44-45.

4/ أبو الحسن علي الشراملسي: ولد ستة 988هـ وهو شافعي المذهب ، وعالم مصري ومتحقق في القراءات [1]

5/ عبد الجواد بن إبراهيم الطوريني : محدث وفقيه ومدرس بجامع الأزهر ، أخذ عن العديد من المشايخ مثل ابراهيم اللقاني عبد الرؤوف المناوي.من مصنفاته : الدرر والمرجان المنتخب من بحر العرفان ، مناهف العرفان في تبيين سؤال الإنسان – توفي سنة 1073هـ/1653م .

6/ الشيخ أحمد بن محمد الخفاجي أفندي :هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي أفندي من أشهر فقهاء المذهب الحنفي ، وعالم واسع الاطلاع وله ملكة قوية خارقة للعادة في تحصيل العلوم . رحل إلى تركيا وبلدان المشرق العربي وانكب في آخر حياته على التأليف والتدريس . قال العياشي أنه الشيخ الثالث الذي أخذ عنه بمصر , يسمع عليه المسلسل بالأولية وبالمصافحة وغيرها من مسلسلات ابن الجزري ، وبعض الجامع ، كتب له الشيخ الإجازة بخطه ،وذاع صيته في الآفاق حتى وفاته سنة 1069هـ.[2]

7/ الشيخ عبد القادر بن جلال الدين المحلي الصديقي : وصفه العياشي شيخه بأنه حسن الأخلاق طيب الأعراق الماجد الأطهر ، خطيب الأزهر فصيح اللسان ،الثبت والجنان ،وسمّع عليه ثلاثيات البخاري وعشاريات السيوطي ،وبعض مسند ابن حنبل والفتوحات الإلهية لشيخ الإسلام وأجاز له سائر مروياته عن سائر أشياخه .كما سمع عليه بعض تآليفه المسمى بترجمان الشوق عن حال أهل الذوق.

---

[1] ينظر أبو سالم العياشي –اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص37 والحكم بالعدل والإنصاف –ص32.

[2] ينظر :إتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء –ص 45،و اقتفاء الأثر –ص 127،126.

8/ الشيخ أحمد بن أحمد القليوبي : شافعي المذهب ، وله قدرة فائقة في التدريس والمشاركة في الحياة العلمية ، سمّع أبو سالم العياشي عليه بعض "مسند ابن حنبل" وأجاز له هو الآخر جميع مروياته عن جميع أشياخه [1].

رابعا: شيوخه بالحرمين الشريفين :

1/ الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري : سمي بالبابلي نسبة إلى بابل نشأ وتعلم بالقاهرة ، ولازم شيوخ الأزهر ، عرف بتحقيقه لعلم الحديث وعلله ورجاله ، انشغل بالتدريس بمكة ،قرأ عليه أبو سالم من أول صحيح البخاري إلى باب الإيمان والحديث المسلسل بالأولية و"عشاريات ابن حجر" وأجاز له سائر مروياته عن أشياخه .توفى سنة 1076هـ

2/ الشيخ تاج الدين المكي الأنصاري : وهو مفتي المالكية بمكة ، يذكر العياشي أنه لقيه بمنزله بمكة وقرأ عليه بعض البخاري ، وأجاز له سائر مروياته عن سائر أشياخه ، وكتب له الإجازة بخط يديه .

3/ الشيخ زين العابدين الحسني الطبري : وهو زين العابدين بن الشيخ محي الدين عبد القادر بن محمد الحسني الطبري ، شيخ الحرم المكي ، سمع العياشي منه لفظ لغة البخاري ومسلم ، والحديث المسلم بالأولية فأجازه في ذلك - توفى 1070هـ /1667م.

4/ الشيخ علي بن عبد القادر الحسيني الطبري: أبو الحسن علي بن عبد القادر بن محمد بن يحي بن مكرم بن محي الدين بن رضي الدين بن محب الدين بن شهاب الدين إبراهيم بن ابي بكر بن علي بن فارس بن يوسف بن

[1] ينظر أبو سالم العياشي –إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء –ص45 واقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص 130،128،127.

إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن موسى بن إبراهيم ويقال له إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين الدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسني الطبري المكي الشافعي ، وهو مفتي الشافعية ومدرسها بمكة المكرمة ، نشأ في أسرة علمية ، قرأ عليه أبو سالم بالحرم الشريف بعض صحيح البخاري وبعض صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج وبعض سنن ابن ماجه وبعض سنن الترميذي وغيرها.وأجازه بكل ذلك بالمسلسل بالأولية , وبسائر مروياته عن سائر شيوخه وكتب له ذلك بيده.[1]

5/ الشيخ علي بن محمد الدبيع اليمني الزبيدي : هو محدث الديار اليمنية , أحد الأئمة البارزين بها ، جاور الحرمين الشريفين مدة طويلة تعرف خلال هذه الفترة على عدد من العلماء وأهل الفضل والصلاح ، لقيه أبو سالم بمكة وافد إليها من اليمن لأداء فريضة الحج ،وقرأ عليه جزءا من البخاري وأجازه بحق روايته عن الشيخ **إسحاق بن سيدي محمد بن ابراهيم جمعان** وأجاز له (تيسير الوصول الى جامع الاصول)عن الشيخ محمد بن الصديق اليمني الزبيدي ،عن والده الصديق بن محمد الخاص عن السيد طاهر عن مؤلفه الحافظ بن عبد الرحمان بن محمد الدبيع وغيرهما توفي سنة 1036ه -1665م.

7/الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري الشافعي:

أبو سالم ابراهيم بن الشيخ عبد الرحمان بن علي بن موسى بن خضر الضافعي المدني ،لقيه بالحرم المدني وتجاذبا أطراف الحديث عن الادب

[1] انظر :أبو سالم العياشي- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص135-137.

وتناضدا بعض القصائد المدحية ،وقرأعليه في منزله من أوائل الصحيحين ،وبعض الثمائل وبعض الاربعين النووية ،وأجاز له جميع مروياته عن سائر شيوخه.[1]

شيوخه في التربية والتصوف:

تلقى أبو سالم سالم العياشي مبادىء التصوف على العديد من المشائخ المغاربة منهم والمشارقة نذكر من أهمهم:

1-أبو اللطف الوفائي: وهو من شيوخ الطريقة الوفائية بمصر وهو الذي كنى العياشي ب"أبي سالم"في القول السالف الذكر وهو صاحب السجادة اليوم بمصر وهو من الذاكرين والزهاد في الدنيا ،حج نحو ثلاثين حجة وهذا ما أخبر به العياشي ممن كانوا شديدي الاتصال به .

2- الشيخ محمد باعلوي الحضرمي اليمني :وهو شبخ صوفي يمني الاصل ،اشتهرت طريقته في المدينة المنورة وهو نزيل مكة المكرمة ،له نباهة الذكر ولزوم السنة والاجتهاد في العبادة ،لقيه ابو سالم بداره بمكة ولقنه الذكر والبسه الخرقة وطريقته حسب ما يذكر العياشي تتصل بابي مدين توفي سنة 1071ه/.

3- الشيخ ابراهيم بن حسن الكوراني : عرف هذا الشيخ بورعه وتصوفه وهو من العلماء الذين تأثر بهم ابو سالم كثيرا توفي سنة 1025ه.[2]

[1] ينظر :المصدر السابق -ص:137-141.

[2] ينظر المصدر السابق – ص 142،155. أبو سالم العياشي – الحكم بالعدل والانصاف – ص 37،38.

4- الشيخ بدر الدين بن محمد القادري:وهو شيخ الطريقة القادرية بالقاهرة ،لقن ابو سالم الذكر والبسه الخرقة وأجازة وكتب له ذالك بخطه توفي سنة 1069ه.

5- الشيخ زين العابدين بن محمد البكري: وهو من مشائخ الطريقة البكرية بمصر ،والتي يتصل سندها بالامام الشاذلي رحمه الله توفي سنة 1090ه.

6-الشيخ أبو العباس أحمد القشاش: ولد سنة 992ه وهو الذي أسس الزاوية القادرية بالمدينة المنورة توفي سنة 1071ه.[1]

8- الشيخ محمد الطحطاوي أو الطحائي: وهو من شيوخ ابو سالم ومن بين الذين جمعوا بين العلم والتفرغ للعبادة.

9- الشيخ عمر بن عبد الصمد العلمي: وعو شيخ صوفي واسع المعرفة له تجربة صوفية.

وهناك لم نذكرهم لانهم شيوخ مشتركين بين ما ذكرنا ،وسبق وأن ترجمنا لهم وهم: والده محمد بن ابي بكر العياشي ، ابو بكر بن يوسف السكستاني، أبو الحسن علي الاجهوري ،ابو مهدي بن عيسى بن محمد الثعالبي ،محمد بن ناصر الدرعي ،عبد الرحمان بم محمد المكناسي ،عبد الكريم الفكون القسنطيني،عبد القادر بن علي الفاسي ،عبد القادر بن جلال الدين المحلي ،وغيرهم.

[1] ينظر: أبو سالم العياشي - الحكم بالعدل والإنصا ف الرافع للخلاف ص 38.

تلامذة أبي سالم العياشي:

لقد ذاع صيت ابي سالم العياشي وهذا بفضل علمه الغزير ،فكان علما بارزا واستاذا عامرا،وحرص الكثيرون على الاستفادة منه والاغتراف من مشاربه المختلفة ،ومعظم تلاميذه هم أبناؤه وأقاربه والبعضأ على الحائزين على إجازة منه.

1-إبراهيم علي الدرعي الشهير بالسباعي: احمد بن محمد بن ناصر،واحد اعلام الزاوية الناصرية المرموقين ،شارك ابو سالم في معظم شيوخه المغاربة والمشارقة ،وقد أفرد لهم فهرسة خاصة سماها ب:
الشموس المشرقة بأسانيد المشارقة. ،لهم اهتمام كبير بالرواية فهو من ذوي الاسانيد العالية ،وقد نهل من علم ابي سالم في مدينة فاس وروى عنه توفي سنة 1155ه."[1]

2- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :وهو عالم محدث ومثقف واسع الاطلاع ،حج مرات عديدة ،تشرب من شيوخ المغرب والمشرق في عصره وروى عن الكثير منهم ،كان له شغق بشراء الكتب وجمعها حتى اشتهر وذاع صيته في الافاق بسبب مكتبته في المنطقة ،كما انه كتب رحلة تشبه رحلة شيخه الرحلة العياشية ،جمعها من تجربته الشخصية وذكر فيها هو الاخر من لقيه وأجازه بالمشرق وروى عن أبي سالم بالسماع .[2]

3-أحمد بن محمد أحزي الهشتوكي:وهو من أجل تلامذة أبي سالم وأكثرهم تعلقا به ،سجل ثقته بأبي سالم في رحلته الشهيرة الموسومة ب"هداية الملك

[1]ينظر :أبو سالم العياشي – اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر –ص61-62.
[2] ينظر : المصدر نفسه- ص62،61.

العلام إلى بيت الله الحرام"،وأجازه شيخه ويعتبر من رواد التدريس بالزاوية الناصرية .توفي سنة 1127ه/1715م.

4-أحمد بن سعيد المجيلدي:هو فقيه مالكي تولى القضاء بفاس.رحل إلى المشرق وجاور الحرمين الشريفين ،و أخذ عن الشيخين إبراهيم الكوراني و عيسى الثعالبي ،ومن مؤلفاته :التيسر في أحكام التسعير،مختصر معيار الونشريسي ،فهرسة شيوخه. لما أدرك أبو سالم مدى حرص تلميذه على طلب العلم و حبه له أشاد به في مقدمة"مسالك الهداية"،وأجازه وألف له حسب طلبه منه فهرسته "مسالك الهداية".توفي سنة 1094ه/1682م.

5-أحمد بن أبي سالم العياشي:إعتنى بمكتبة الزاوية العياشية ،لم يكن مهتما بالتحصيل كباقي إخوانه خاصة أخوه حمزة.

6-حمزة بن أبي سالم العياشي: وهو أكبر أبناء أبي سالم العياشي ،تلقى تعليمه على يد والده وسهر على تكوينه وأجازه ،شغف بالدرس و المطالعة ،نال الشهرة في المغرب والمشرق ،له رحلة إلى الديار المقدسة سنة 1099ه/1688م.جمع عددا من الإجازات منها إجازة الشيخ محمد الخرشي وكانت باسمه واسم أبنائه وأخيه أحمد،وعددا من أبناء الزاويةالفاسية،عمل حمزة على توسعة مكتبة الزاوية وإثرائها بالكتب المنسوخة ،وساهم في شراء الكتب.[1]

وكان له دور بارز في الزاوية حيث وسع ممتلكاتها ،وصان مرافقها المختلفة ،وحافظ على استمرار دورها الديني والتربوي .توفي سنة 1130ه/1717م.

---

[1] ينظر : أبو سالم العياشي –الحكم بالعدل و الإنصاف ص 43،59،60.

7-**محمد بن قاسم بن زاكو الفاسي:** وهو من أبرز علماء وأدباء المغرب،استفاد من أبي سالم في مراحل تكوينه ،وهو من أجل علماء المغرب.تتلمذ على يد أبي سالم ،و أجازه إجازاة عامة في علوم الدراية و أسانيد التصوف في كتاب "نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان".جمع ابن زاكو في هذا الكتاب نتائج رحلته العلمية سنة 1094ه ،عرف فيه بشيوخه الذين استفاد منهم بفاس .

8- **محمد بن الصغير بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي :** فقيه و محدث ومؤرخ ،وهو أحد أعلام الأسرة الفاسية ،أجازه أبو سالم .تتلمذ على الكثير من المشائخ ،من أبوه عبدالرحمان و الخرشي و الزرقاني. من مؤلفاته فهرسته التي وسمها ب"المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية و الطرق الهادية الكافية"و"كشف الغيوب عن رؤية حبيب القلوب"و"الكوكب الزاهر في سير المسافر".توفي سنة 1134ه/1724م. [1]

9- محمد بن عبد الجبار العياشي:وهو ابن أخت أبي سالم العياشي قرأ على أخواله في زاوية آيت عياش ،درّس فيها ،و كان محدثا وفقيها و نحويا و أدبيا ،كان يخلف خاله أبو سالم في تدبير شؤون الزاوية الحمزوية عند غيابه ،وكان يراسل خاله . ومن أشهر تلك المراسلات رسالته المطولة أسماها ب"زوبعة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين و سبعين من الجوع و الشقاق".توفي سنة 1090ه/1679م

10-**عبد الله بن محمد بن ناصر الدرعي:** تتلمذ على يد أبي سالم ،وسمع منه جملة من "منظومة الأخضري"و "الأربعين النووية" ،وتآليف أخرى

---

[1] ينظر :أبو سالم العياشي – اقتفاء الأثر –ص 59-61.

في العلوم العقلية و النقلية وأجازه أبو سالم.

11- عثمان بن علي اليوسي : وهو ابن عم الشيخ الحسن اليوسي رحمه الله،لازم الزاوية العياشية لفترة طويلة ،تبوء خلال هذه الفترة مكانة هامة من الأسرة العياشية عامة ،و من أبي سالم خاصة ،والذي أجازه إجازة عامة بفهرسة " اقتفاء الأثر ".توفي سنة 1084ه/1673م.[1]

مؤلفاته:

تعددت مؤلفات العياشي و تنوعت ما بين أدب و نحو و حديث و تراجم و فهارس وفقه وتصوف وتوحيد وغيرها.

أ- في التوحيد وعلم العقائد:

1-"الحكم بالعدل و الإنصاف الرافع للخلاف في ما وقع بين بعض فقهاء سلجماسة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله وجهل ماله من الأوصاف ". وهو من أمتع الكتب لدى العياشي بعد الرحلة وضح في هذا الكتاب الصراعات الفكرية التي عرفتها بيئته.

2-تحرير كلام القوم في أمر النبي عليه السلام في النوم.

3- رسالة في بيان مقالة الحرمين . وهذه الرسالة أرسلها إلى عبد الرحمان الفاسي بين فيها وجهة نظره في مسألة الكسب التي عرفت نقاشا ساخنا بين فقهاء المغرب آنذاك.

ب-في التصوف والرقائق:

1/تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية.

2/معارج الوصول إلى أصول أول الأصول.بين فيه أصول الطريقة الزروقية. 3/إظهار المنة على المبشرين بالجنة .

---

[1] ينظر : أبو سالم العياشي –الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف –ص 44،45.

4/ المسالك الهادية إلى معالم الرواية .

5/ وسيلة الغريق بأئمة الطريق.

6/تضمين صوفي لأبيات من ألفية ابن مالك.

7/هالة البدر في نظم أسماء بدر.

8/ ألفية في التصوف.

ت/ في الحديث:

-المسلسلات العشرة المنتخبة.

ث/في السيرة والمديح النبوي:

1/ الكواكب الدرية في مناقب أشرفالبرية.

2/ الوتريات .

3/المغريات بمحاسن الوتريات وتسمى بالمحاسن بإصلاح الوتريات.

4 /قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على بحور الخليل.[1]

ج/ في الفقه:

1/معونة المكتسب و بغية التاجر المحتسب .

2/إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب و بغية التاجر المحتسب.

3/رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر. .

4/ أجوبة الخليل فيما استشكل من كلام خليل .

5/القول المحكم في صحة عقود الأصم والأبكم .

6/العلاوة فيمن ركع في محل سجود التلاوة.

7/ شرح المحلى لابن حزم ،لكنه لم يكمل تأليفه.

[1] ينظر :أبو سالم العياشي- الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف–ص 46-49.

ح/في اللغة:

-المباحث المرضية فيما يتعلق ب"لو" الشرطية. [1]

خ/ في الرحلات والفهارس و الأغراض العلمية الأخرى:

1/ماء الموائد المعروفة بالرحلة العياشية إلى الديار النورانية.

2/التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز.

3/اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر.

4/اتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء.

5/الرسائل الإخوانية.

تلك هي أهم مؤلفات العياشي التي وجدت في بطون الكتب.

شخصية أبوسالم العياشي:

ما كان لأبي سالم أن يتبوأ هذه المكانة المرموقة لولا أنه مارس و خاض عدة مهمات منها التدريس والتأليف والنقد والشعر وغيرها.

1/العياشي الناقد:

يبدو الجانب النقدي جليا في شخصية أبي سالم ،و أول ما يظهر في طرحه للأسئلة وإبداء الملاحظات ،والترصد للإمكانات الثقافية لكل بلد،بالإضافة إلى كتابة مؤلفات على أساس فكرة نقدية.نجده ينتقد مثلا الكيفية التي يتولى بها القضاء في مصر و الحجاز والشام،وذلك عن طريق شرائها ولا تراع في ذلك مصلحة الفرد و لا مصلحة المسلمين ؛بل كان

---

[1] ينظر: المصدر السابق–ص 49،50.

قائما على الرشوة .وقد أثيرت هذه المسألة من قبل الشيخ علي بن ميمون الغماري الحسني حول هذه الظاهرة التي و سمها ب"بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة و المتفقرة من أهل مصر و الشام ومايليهما من بلاد الأعجام"،وهذا منذ القرن 10ه/16م.وعاد إليها أبو سالم ليثير من جديد وهذا بعد مرور قرن ونصف ،وهذا يدل على تفشي هذه البدعة في المجتمعات المشرقية ،ويضيف ابو سالم في هذا الصدد أن قلة المحققين في بعض هذه البلدان أن تدفع الى تقديم بعض الناس لشغل مناصب لا تليق بمستواهم الفكري وتكوينهم العلمي وبالخصوص منصب القضاء"[1].

وانتقد وجود المتفقهة الذين لا يقيمون الدين على وجهه ولا يجيدون حتى النصح والإرشاد والمشورة وذالك في سياق حديثه عن محاربة أهل تيكرت لأهل واركلة سعيا في تغيير المنكر بشرط أن لا يؤدي تغيير المنكر إلى منكر أعظم منه حسب ما قال أبو سالم .

ويتابع حديثه من نفس المدينة وهي واركلة حيث يؤدي أفراد الركب صلاة الجمعة ،وتتبع أبو سالم الإمام الخطيب بكل انتباه ،فلما انتهى بعث إليه أحدا من أصحابه ليسأله عن المهدي أهو المنتظر أم أحد المنتحلين فإذا به لا يفقه شيئا مما يقول ،وهذا بالإضافة إلى اللحن والخطأ والتقديم والتأخير ،ويشكك في بعض العادات التي يلجأ اليها المجاورون للحرمين الشريفين ،كرفضه مثلا الخروج مع أهل مكة للمبيت في مكان يدعون بأنه قبر عبد الله بن عمر ،كما استغرب وجود محل مقدار مضجع يقولون بأنه مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ،والذي اتخذ مسجدا ولم يقر صحة

---

[1]ينظر أبو سالم العياشي –اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر –ص:49.

ذالك من طريق ثابت أو ضعيف لان فيه اختلاقا"[1] ،وجب أن نشير في هذا الصدد إلى أن العياشي رغم صرامته وانتقاده للمظاهر التي لا توافق قناعاته ،نجد أنه تساهل في أمور تتعلق بمنهجه الصوفي فلم يخضعها للنظرة الانتقادية ولم يضعها في ميزان الأخذ والرد ،وهنا تبرز المعالجة الذاتية لبعض القضايا التي أثارها في رحلته.

إلى جانب الجوانب الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ،نجده لم يغفل الجانب الديني بل أعطاه حقه، ومن ذلك موقفه من المتكلمين في الجنوب المغربي ومشاركته بشكل فعلي في الدعوة لتلافي الفتنة .وقد ظهر هؤلاء المتكلمين في سلجماسة و بدؤا يمتحنون الناس في أمور دينهم ،فمن أقر بأن الله واحد لا شريك له و جهل بعض الصفات العسيرة على عقول العامة اتهم بالكفر و نبذ وحرم من أولاده و ماله.و أدت هذه المسائل المتعلقة بالعقيدة إلى انقسام المسلمين فيما بينهم وتكفير بعضهم بعض ،و ذاع خبر هذا الخلاف في مختلف أنحاء المغرب .وقد حاول العلماء بشتى الوسائل انهاء هذا الخلاف والقضاء على أسبابه .ومن أجل ذلك ألف العياشي كتابه "الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سلجماسة من الاختلاف".[2]

أورد العياشي في رحلته الكيفية التي يتولى فيها المناصب فقال:"أن المناصب الشرعية في البلاد المشرقية ،حجازا ومصرا وشاما ،من إمامة وخطابة و أذان و إقامة و قضاء وفتوى وشهادة ...فإذا مات صاحب خطة أو عزل دفع الراغب فيها مالا للولاة فيولونه مكانه ،على أي حال كان من

---

[1]-انظر المصدر السابق- ص 50-51.

[2] ينظر : المصدر السابق- ص 52.

صلاحيته لذلك أم لا ،فعظم الخطب على المسلمين والإسلام في ذلك،خصوصا منصب القضاء فما رأينا و لا سمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما أشبه أن يكون شرعا ،وإنما مدار أمرهم على الرشا جهارا ،فينقض الحكم في اليوم الواحد مرارا متعددة بحسب كثرة الرشا وقلتها".[1]

ونجد ه ينتقد بدعة أخرى لا صلة لها بجوهر الدين ،بل هي ضلالات يجب النهي عنها ،والذي شدا نتباهه و زاد استغرابه في هذه البدعة جنازة امرأة وسعوا لها قبرها ،فقال :"وماتت في الركب في تلك الليلة امرأة موسرة من أهل تونس ،و كانت لها محفة رفيعة تحمل فيها ،فلما ماتت أوسعوا في حفر قبرها ود فنوها بمحفتها ،وذلك غلو وبدعة وتضييع مال فإن المحفة لها مال و قيمة .و حضر الركب أمير ركب تونس و كبراؤهم ولم ينكر ذلك أحد منهم".[2]

لم يكتف العياشي بنقده لعامة الناس و كبرائهم ،بل وصل به إلى العلماء مع تقديره و احترامه لهم ،وبالخصوص الشيوخ الذين جالسهم واستفاد منهم فإنه لا يتحرج في نقد من يخطئ منهم أو يتطفل على شيء لا يعرفه بل كان يرشد هم ويصحح و خطأهم . ففي بيت المقدس التقى أبوسالم بالشيخ شهاب الدين الحنفي المصري ، الذي كان له جاه و مكانة عند العلماء و طلبة العلم ،و قد بالغوا في الثناء عليه .وقد حرص العياشي عن الأخذ من علمه ،و عند ما التقى به وجد عنده مجموعة من الطلبة يدرسهم فسخ الحج ولما سمع منه ما قال تبين أن له ليس له شيء من

---

[1] ينظر : أبو سالم العياشي –الرحلة –ج1 –ص 288.

[2] ينظر : المصدر نفسه – ص 280.

التحصيل ،و لما أراد أن يصحح خطأه جاهره بالعناد .[1]لكنه خاطبه بقوله:" مثلك في جلال قدره و غزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا وهو في الصحيحين تكرر".[2] ولكن نجد أن الشيخ واصل عناده فقال العياشي مرة أخرى :"و أعرضت عنه فعلمت أنه ممن طبع على قلبه وتبين لي غباوته".[3]

وهكذا تبدو حياة العياشي العلمية حافلة والدليل على ذالك الكم الهائل من الشيوخ الذين أخذ عنهم أو الذين أخذوا عنه ،والتنوع في شيوخه بين مشارقة ومغاربة ،والإجازات التي حصل عليها أو التي أجازها.

/ العياشي المدرس:

درس أبو سالم العياشي في المغرب و المشرق سواء في زاويته أو في مختلف الزاويا و المراكز التعليمية التي رحل إليها و طالت مدة إقامته فيها.

وطريقة تدريسه تعتمد على الملاحظات الآتية:

1/ الملاحظة الأولى:

كثرة الطلبة و الحاضرين و القراء في الزاوية .فنجد أن جواب أبي سالم العياشي للشيخ الطيب المسناوي الدلائي يشكره فيه ، و يثني عليه لمساعدته له ، وتقديم عددا من الأجوبة فلما وصل الكتاب قطعوا الدرس و أخذوا يقرؤنه و يفهمونه.

---

[1] ينظر: أبو سالم العياشي – اتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء –ص 29،28.
[2] انظر : المصدر نفسه – ص 29.
[3] انظر : المصدر نفسه –ص 29.

2/ الملاحظة الثانية :

العناية بمجالس الدرس في زاويته .ففي غيابه كان ينصح أبناء أخته ويحثهم على تعمير المساجد و خدمة طلبة العلم مع مواصلة النشاط التعليمي و الحضور الدائم لتثقيف أنفسهم و الاجتهاد في المطالعة ، وعدم التكلف في الأوراد و النوافل ، وأن يجعلوا التعليم و المطالعة وردا.

3/ الملاحظة الثالثة:

تدريس المواد فقد درس أبو سالم في المدينة المنورة مختصر خليل في الفقه المالكي بكيفية لائقة .و درس أيضا كتبا أخرى التي حضرها الشيخ حسن البري المالكي و سمع منه منظومة في البيوع ، وبعض الحكم العطائية و أجازه الشيخ فيها .

يلاحظ أن أبا سالم العياشي تشرب مختلف أنواع العلوم و المعارف،ولكن مشاركته الفعلية التي لم تتعد العلوم النقلية و المواد التي كان له إطلاع واسع فيها . و لم يجرؤ على تدريس ماليس له به علم كالعرض الذي عرض عليهمن بعض الأصدقاء السودانيين اقراءهم مقدمات السنوسي و كتاب النقابة ، فبينما كان يدرس هذا الكتاب الأخير توقف عن الاقراء و قال بأنه ليس له دراية بهذين العلمين الطب والجراحة ، ودرس القرطبية في فقه مالك وبعض النحو و البلاغة.[1]

[1] ينظر : أبو سالم العياشي – اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر – ص 53،52 .

3/العياشي المتصوف:

يعد أبو سالم العالم العلامة من أقطاب التصوف في المغرب في القرن 11ه 17م.

و لعل تميزه في التصوف راجع إلى عدة عوامل منها:

1-كثرة شيوخ التصوف الذين جالسهم و الكم الهائل من كتب الصوفية التي طالعها .

2- الظروف السياسية و الاجتماعية في المغرب بالخصوص في المناطق النائية قد ساعدت على إذكاء نزعة التصوف لدى العياشي .

نجد أن رحلة العياشي تناثرت النفحات الصوفية و ما قرضه من أشعار في التصوف من خلال كتاباته و رسائله إلى المريدين يؤكد أنه متصوف سلك طريق السنة . كان قدوة في السلوك و مثالا في النقاء و نموذجا في الطهر ورفض التصوف الذي يؤدي بصاحبه إلى الزيغ و التعصب.

عرف أبو سالم كل الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي ووجد أن الطريقة الشاذلية هي الأنسب و الأنقى و الأقرب إلى روح الدين الإسلامي.[1]

أبو سالم كان على دراية بأن الخطوة الأولى في التصوف هي الزهد.فدعا الطلاب الوافدين إليه على الزاوية العياشية و المريدين إلى العزوف عن الدنيا و الاكتفاء بالقليل من القوت و إن الماء و التمر من النعيم .و ذكرهم

[1] ينظر: أبو سالم العياشي – اتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الأجلاء –ص 36،37.

بأن الله يعطي الآخرة لمن يحبه و أن الإقبال على الدنيا علامة على الإعراض عن الله عز و جل.

كما دعا أيضا إلى إحياء ركنين أساسين وهما العلم و العمل .و أكد أن المتصوف لا يرقى إلى معارج التصوف إلا بالعلم و مطالعة كتب القوم لأنها تقوم السلوك وتعين على الزهد .وكان شديد الحرص على مطالعة كتب الغزالي و ابن عربي و ابن عطاء الله السكندري .و أكد على عمارة المساجد و خدمة العلم ، وقال بأن العلم نور القلب و المسجد روح البلد فإن حلت الحياة فيه سرت في جميع البدن .[1]

---

[1] ينظر: المصدر السابق-ص 38.

المبحث الثاني :رحلة العياشي (ماء الموائد)

1/ التعريف بالرحلة : تسمى الرحلة الكبرى وتعرف باسم الرحلة العياشية الى الديار النورانية أو ماء الموائد ، وهي تعد ثمرة جهد لثلاث رحلات الى الشرق ، ودونها العياشي اثر رجوعه من الرحلة الأخيرة سنة 1074هـ/1663م.[1]

تعتبر ديوان علم وأدب كما أكد على ذلك بنفسه بقوله " إن الغرض من هذه الرحلة أن تكون ديوان علم فلا آلو ما أدخلت فيها من الفوائد لرغبة كثير من الأصحاب "[2]

وهذه الرحلة منشورة بالمطبعة بفاس سنة 1316هـ/1898 ، وأعادت نشر في الرباط بالأوفيست سنة 1397هـ/1988م دار المغرب للتأليف والنشر.

فالرحلة العياشية من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشارا لأنها أكثر مادة وتنوعا ، وقد رجع لهذه الرحلة الكثيرين من الرحالين من اللاحقين ودنوا منها دون أن يرجعوا إلى مصادر أخرى ـ وهي مجلدين كبيرين [3]

تعتبر الرحلة سجل تاريخ وتصوف وكتاب وإخبار وآثار ، وانفردت على غيرها من الرحلات والكتب وأمهات المصادر، بإيراد جملة من النصوص

[1] ينظر أبو سالم العياشي – اتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء –ص53.
[2] عبد الله بن محمد العياشي ـ الرحلة العياشية – ج1- ص365.
[3] ينظر : عبد الهادي النازي ـ رحلة الرحلات مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة – ج1- ص200-201.

والرسائل والإجازات والنقول وخطب الكتب التي لا تكاد تقف لها على أثر في غيرها من المط....[1]

مسار الرحلة :

لنطلاق الرحلة من بلد المؤلف صبيحة يوم الخميس أول يوم ربيع الثاني عام 1072هـ.

سجلماسة.

توات.

لوكرت.

واركلا.

نفزاوة.

طرابلس.

لنبابة.

للقاهرة.

للسويس.

لرض التيه.

مغائر الشعب.

للعقبة السوداء .

للينبع.

جبل الرمل .

رابع.

عقبة السكر.

---

[1] عبد الله بن محمد العياشي – الرحلة العياشية - ج1 - ص13.

-مر الظهران.

-التنعيم.
-مكة المكرمة.
-المدينة المنورة.
-غزة.
-الرملة.
-التقدس.
-الخليل.
-غزة.
-العريش.
-دمياط
-مصر.
-الاسكندرية.
-طرابلس.
-توزر.
-بسكرة.
-محطة الوصول يوم الاربعاء ضهرا سابع عشر شوال من سنة 1074هـ.

والملاحظ أن مسار الرحلة والأماكن التي زارها العياشي في طريقه كان حرص العياشي واضحا على زيارة الأماكن المقدسة ،ومراكز العلم المختلفة ،وبالتالي أراد لرحلته أن تشمل أكبر قدر من الفوائد على غرارزيارة الأضرحة والتبرك بها ،بالإضافة إلى طلب العلم والحصول على الإجازات المختلفة .

قيمة الرحلة :

تحتل الرحلة أهمية خاصة في مادتها الواقعية "ووصفه لطرق القوافل من المغرب إلى مكة مع تبيان واف للمنازل المختلفة ،كما توجد لديه تفاصيل تمكن من تبيان الحد الذي يفصل بين الأراضي الصحراوية والأراضي الصالحة للزراعة ،وقد لفت الأنظار إلى هذا منذ الأربعينيات من القرن الماضي مترجم الرحلة بربروجه barbaruger،غير أن المؤلف لم يعتبر نفسه لم يعتبر كل هذا جديرل باهتمام الرحالة الجاد ،فهو قد صرف

اهتمامه قبل كل شيئ إلى فحص المناهج الإسلامية في البلاد التي زارها ،بحيث يمثل كتابه إلى حد ما دائرة معارف فريدة من نوعها في العلوم والتصوف ..."[1].

حاول العياشي أن تكون رحلته شاملة لكل علوم عصره ،ويعطي صورة حقيقية عن الظروف السياسية والاقتصانية في عصره ،ولم يخف ميله إلى علم التصوف فأفرد له العديد من الصفحات وترجم للعديد من شيوخه ومحبيه ،وهذا يعود لكون العياشي متصوف تربى في كنف الزوايا المغربية وهي الزاوية العياشية التي تنتسب إلى الزاوية الدلائية .

[1]-ينظر :اغناطيوس يوليانوفيتش –نقل :صلاح الدين عثمان هاشم-الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية –دط-ج1-1957م-ص:731-732.

الفصل الرابع

الفصـــــــــل الـــــرابع :

القيمة الأدبية واللغوية للرحلة العياشية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي.

المبحث الأول : القيمة اللغوية والأدبية للرحلة العياشية :

توطــــــــــــئة:

تعتبر اللغة الأداة أو الوسيلة التي ينقل بها المبدع أفكاره إلى جمهور القراء ،وهي همزة الوصل بينه وبين المتلقي ،فاللغة كما عرفها ابن جني"مجموعة من الاشارات والرموز يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1]،وقد عرفها الجاحظ بقوله"هي التي تميز عن كاتب آخر وتعلو بمبدع على مبدع ،فكانت اللغة لديه أساسية المكانة في العمل الأدبي ،بحيث لم تكن مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار الخارجية ،إذ متى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد ،حبب إلى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسنة الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذالك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض..."[2]

فاللغة كلما كانت أقرب إلى الفهم بعبارات بعيدة عن التعقيد والغرابة كانت أفضل ،مما يعطي النص مكانة لدى نفوس قارئيه ،لكن التأكيد على بساطة اللغة لا يعني الإسفاف والنزول بها إلى مستوى اللغة السوقية والتوسط أولى وأقرب إلى الصواب.

1-ينظر أبو الفتح عثمان ابن جني –الخصائص-الهيئة المثرية العامة للكتاب –ط4- ج1-ص:33.
[2]-عبد المالك مرتاض- في نظرية الرواية .ص 116.

مفهوم القيمة اللغوية :

يحيلنا الحديث عن الشروط التي ينبغي توفرها في نص إبداعي ما حتى يلقى القبول و الرواج إلى مسألة لها علاقة بهذا الموضوع ألا وهي **القيمة اللغوية**،فقد جاء في معجم " مجمل اللغة لابن فارس ما مفاده"القيمة وهو ما يقوم من ثمنه مقامه ،وأهل مكة يقولون :استقمت المتاع أي قومته ،وهذا قوام الدين وقوام الحق أي الذي يقوم به ،والقوام حسن الطول ،والقومية والقوام والقامة"[1] ،ووردت اللفظة في معجم المحكم والمحيط الاعظم "والمقام والمقامة المجلس ،والمقامة السادة وكل ما أوجعك من جسدك فقد قام بك ،ويوم القيامة يوم البعث".فالقيمة في مدلولها المعجمي تدل على علو مرتبة سواء في الماديات أو المعنويات .

أما من الناحية الاصطلاحية فالقيمة اللغوية لها علاقة بما يحققه النص من فائدة لدى المتلقى،اي مدى قبوله ، فاللغة كلمات وحروف ولابد لكي تقوم اكلمات بنقل الرسالة واضحة من حروف مناسبة للغرض "أن ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها ،وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية ،إذ لم يعنهم في كل حرف أنه صوت ،وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض ،وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها الى مجموعة من الحروف الدوال .."[2].
ومن ذالك قولهم "خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للمأكول اليابس نحو قضمت الدابة

[2] ينظر -صبحي ابراهيم الصالح - دراسات في فقه اللغة – دار العالم للملايين – ط1- 1960- ج1- 142.

شعيرها .."[1]. فاللغة تبدأ قيمتها منى أول جزء لتكوينها وهو الحرف ،فاختياره ليس اعتباطيا بل يخضع لدلالات معينة كما أسلفنا سابقا .

القيمة اللغوية عند دوسوسير :

ويرى دوسوسير "..كافيا لدراسة القيمة اللغوية أن ندرس عنصرين هما :الصوت- الفكرة ،وقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع التفريق بين نقطتين تفريقا حقيقيا بلا علامات لغوية أي كلمات ،فالتفكير بلا كلمات عائم ،وليس في الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا ، وليست وظيفة اللغة في هذا أن تخلق وسطا صوتيا للتعبير عن الأفكار ولكن أن تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت في حالة تدعو كلا منهما إلى الآخر ،والمعنى بهذا الاعتبار علاقة متبادلة بين الاسم والفكرة .."[2]،فالقيمة تتحدد داخل التركيب اللغوي بمدى التوافق بين الصوت والمعنى أو بين الدال والمدلول.

وإن كانت السمة الاصطلاحية للغة هي المبدأ الجوهري الذي أقام عليه دوسوسير مذهبه ،ومقتضاه أن اللغة نظام من العلامات تلتقي فيما اطلق عليه الفكرة الذهنية والصورة الصوتية والمدلول والدال ،وأن العلاقة بينهما تحكمية محضة غير معللة بعلة ،فإنه قد استثنى من ذالك ما سماه التعليل النسبي كالتعليل القائم على الاشتقاق في تمر/تامر ،أو المبني على علة سمنثيقية يغير

---

[1]-المرجع نفسه –ص 143.

[2]-تمام حسان – مناهج البحث في اللغة- مكتبة الانجلو المصرية –دط- ج1 ص244.

بها الوجه في استعمال لفظ الصلاة للدلالة على الصلاة والدعاء ،وورقة الشجرة وورقة الكتاب وهلم جرا..[1]

والمعنى اللغوي يتحدد ويأخذ قيمته من خلال السياق الكلامي باعتبار اللغة "ظاهرة اجتماعية وهي شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها ،وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها مقاما ،فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الداء والاستعطاف ..،وكان من رأي البلاغيين أن لكل مقام مقال ،لان صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"[2]،وهنا تأخذ الكلمة قيمتها الدلالة انطلاقا من موقف اجتماعي أو نفسي معين ،فلا بد من مطابقة الكلمة لمقتضى الحال وإلا اعتبرت شاذة ليس لها قيمة لغوية .ولا شك أن لكل سلوك لغوي لابد أن يراعى فيه عنصران هامان لا يستغنى عنهما:

1-**عنصر الوضوح:**الذي يسد الحاجة اللغوية أو المعنى الوصفي. **2- عنصر المطابقة:** الذي يسد الحاجة الاجتماعية او المعنى الاجتماعي ،وحاصل جمع مراعاة الحاجتين اللغوية أو الاجتماعية هو مراعاة المستوى الصوابي ،فإذا أريد بالنص اللغوي أن يكون أدبيا وجب أن يراع

ى عنصر ثالث وهو الجمال وبه يتضح الفرق بين الادب والمنتج العادي..[3]،وقد كان بشر بن المعتمر "حسب ما يذكر الجاحظ سبق الى تأسيس النظر في هذه المسألة فاقترح أن يكون مستوى لغة المتكلم أو الكاتب على قدر المخاطب ومستوى ثقافته ،وأن يراعى ذالك ما أمكنه الامر بحيث ينبغي للمتكلم أن يعرف

[1]ينظر لطفي عبد البديع –التركيب اللغوي للأدب – دار المريخ للنشر – دط- 1989م- ص 88.
[2]ينظر تمام حسان –اللغة العربية معناها ومبناها- دار الثقافة –الدار البيضاء- دط- 1994م- ص 337.
[3]ينظر – تمام حسان –اللغة بين المعيارية والوصفية- عالم الكتب القاهرة – ط4-2000م- ص 63.

أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحاجات ،فيجعل لكل طبقة من ذالك كلاما ولكل حال من ذالك مقاما حتى يقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات ..."[1]

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني:

"فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه:

الأول :مجانبة الغريب الوحشي حتى لا يمجه سمع ولا ينفر منه طبع .

والثاني :تنكب اللفظ المبتذل والبعد عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ،ولا ينبو عنه فهم عامي ،كما قال الجاحظ في كتاب البيان :أما أنا فلم أرى قوما أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ،وذالك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا .

والثالث :أن يكزن بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة .

أما المطابقة فهي أن يكون بين الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص منها ،وأما المناسبة :فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ ،إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن"[2] لذالك على الأديب أو المتكلم أن ينظر للكلمة قبل دخولها في التأليف والنظم "فيختار منها ما كان حسنا رائقا لا عيب فيه ويطرح ما كان به عيب من العيوب التي تخل بفصاحته ،وعلى الأديب أن يختار كلماته سليمة من

---

[1]ينظر –عبد المالك مرتاض –في نظرية الرواية- ص :101.

[2]-ينظراحمد الهاشمي –جواهر الادب في أدبيات وإنشاء لغة العرب-المكتبة التجارية الكبرى –مصر –ج1- ط27-1969م –ص29.

العيوب محببة إلى النفوس ،ومتى كان اللفظ كريما في نفسه متيزا من جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب إلى النفوس واتصل بالأذهان.."[1].

وقد تتحدد القيمة اللغوية من خلال كونها تؤرخ لمرحلة زمنية وتاريخية ،فهي تأكيد "على تاريخية النص الأدبي ،وهذه التاريخية لا نبحص عنها من خلال السياقات الخارجية متوسلين بمعارف مساعدة ،ولكن من خلال لغة النص ذاتها ،فاستعمالات اللغة ليست بريئة ولكنها مشحونة بكيفية معينة تجعلها تحيل الى مرحلة تاريخية محددة ...."[2] يعتبر النص الرحلي وثيقة لغوية اعتمد عليها الكاتب لنقل تجربته اثناء السفر ،فهي أداة الإتصال الوحيدة بينه وبين المتلقي ،وحتى تتمكن هذه الأخيرة من إيصال الرسالة وجب اتسامها بعنصر الوضوح وبعدها عن التعقيد

الانسجام :

الإنسجام لغة :"جريان الماء ، وعند أهل البلاغة :هو أن يأتي الناظم أو الناثر بكلام خال من التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي ،بسيطا مفهوما دقيق الألفاظ جليل المعنى ،لا تكلف ولا تعسف فيه ،يتحدر كتحدر الماء المنسجم ،فيكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يفيض رقة .ولهذا أجمع علماء البديع على أن يكون بعيدا عن التصنع خاليا من الأنواع البديعية ،إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد..."[3]

---

[1] ينظر-فوزي السيد عبد ربه- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين-مكتبة الانجلو مصرية – القاهرة-دط- 2005م ص :148م.

[2] ينظر حسين خمري-نظرية النص-منشورات الاختلاف-الجزائر –ط1- 2007م-ص271.

[3] احمد الهاشمي –جواهر الادب في أدبيات وإنشاء العرب ج1- ص 32.

بناء الدلالة في الرحلة العياشية :

-السياق وبناء الدلالة :

ركزت نظرية الدلالة على العلاقة التي تربط بين الشكل "القضوي للجملة والاستدلال إذ يجب على المتلقي أن يقارن بين الشكل القضوي الذي يحصل عليه بما في ذالك المرجعيات ،وما يمكن أن يؤسسه كسياق تأويلي ،ولهذا فالمتلقي ينتج استدلالات غير مبررة والتي يستخلصها بصورة مزدوجة من الملفوظ ومن السياق ،فالإخبارإذن يحمل دلالة سياقية وعلى المتلقي أن يمر على المستوى الإخباري الأولي إلى المستوى الاستدلالي الثاني الذي من خلاله يدرك المقصدية التواصلية التي ينبني عليها الملفوظ ،وهذا الأخير لا تكتمل دلالته إلا بوضعه في سياق تأويلي خاص ."[1]

تتأسس ملائمة الخطاب الرحلي إذن على الأسس السياقية التي توجهه كفعل لاحق يعيد إنتاج فعل في زمن لاحق "فالعياشي وهو ينسج الرحلة لغويا يخبرنا منجهة بأنه قام برحلة إلى المشرق بنية أداء مناسك الحج ، ومن جهة أخرى ينتج معرفة يرغب في أن يستوعبها متلقي الرحلة عبر مجموعة من الملفوظات المتوالية ،ويتأتى ذالك من خلال الموجهات الخطابية التي يعتمدها الرحالة وهو يمرر أخباره عن الرحلة .وينقسم خطاب الرحلة إلى أربع مستويات :

خطاب يقين –خطاب تصديق –خطاب ظن –خطاب إنكار .

[1]-ينظر :سعيد جبار –من السردية الى التخييلية –منشورات الاختلاف –الجزائر –ط1- 2012م- ص:193.

1-خطاب اليقين :بما يقدمه الرحالة من أخبار تتعلق بالرحلة ومراحلها ،وتتميز هذا الخطاب باسترساله السردي "[1]،وهو خطاب يقين لأن الرحالة التزم فيه بسرد ما وقع فعلا أو ما شلهده عيانا ،وبالتالي كانت الملفوظات المتعلقة بهذا الجانب تزحزح يقينية المتلقي ،ومن ذالك قوله "....ثم ارتحلنا من توات بعدما لحق بنا جملة ممن يريد الحج من أهلها يوم الخميس السابع من جمادي الأولى ،وخلفنا قرى توات ورائنا وعدلنا ذات اليسار إلى قرى أوكرت ونزلنا بقرى الدغامشة ..."[2].

2-خطاب التصديق :وهو يعتمد على الموجهات الخطابية التي التي تحاول إقناع المتلقي بصدقية الخطاب ،فيعتمد على الإخبار عن غيره ،ونجد ذالك مثلا في قوله"....وأخبرني من أثق به من أهل زيغ من أشياخنا ،أنه مر بهم رجل قاصد المزاب فسألوه من هو فقال من أهل البصرة جئت زائرا لبلاد المزاب ..."[3]،فالعياشي صدق الخبر بملفوظ دال على ذالك وهو(أثق بهم).

3-خطاب الظن:وهو يشترك مع الخطاب السابق في كونه يعتمد على ما نقله أو سمعه ، ونجد ذالك في قوله "...ومما يتعجب منه ما يحمله بعض الجمالين بمصر على إبلهم ،فمن ذالك أنا قطعنا معنا بما كانت بما كانت تحمله إبلنا تسعة عشر أو عشرون فحملواكل ذالك على ثلاثة...يحملون عليها القناطير المقنطرة من الأمتعة وأحمال الحطب ..."[4].

4-خطاب الإنكار:ويتعلق الأمر ببعض الأحداث والوقائع أو العادات التي يمارسها الناس في فضاء من الفضاءات ،لكن الرحالة يرفضها رفضا تاما ،يقول

[1]ينظر :المرجع السابق –ص 195-196.
[2]ينظر :أبو سالم العياشي –ماء الموائد –ج1- ص:80.
[3]ينظر :المصدر نفسه-ج1-ص:117.
[4]ينظر :المصدر نفسه-ص:225.

"...وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية ،وخطب الخطيب خطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها ...فما ظننا أن صلاتنا معه مجزية .."[1]

1-أغراض ألأدب الصوفي في الرحلة العياشية :

تبرز قيمة الرحلة العياشية في كونها ضمت فنونا معرفية مختلفة ،خصوصا الجانب الأدبي ،فالعياشي كما أسلفنا سابقا لأديب متميز بحكم تكوينه واطلاعه على مصادر الأدب المختلفة من شعر ونثر ،حتى وصل إلى مرحلة الإبداع . ومن الجوانب التي أثرت على تجربته الأدبيه منهجه الصوفي بما يحمله من مباديء وأفكار ،أو ما يعرف بألأدب الصوفي ،وقد كان للصوفية "أدب غزير –شعرا ونثرا- ينطلق مما تنطوي عليه سرائرهم وتخفيه ضمائرهم ويشف عن حكمة بالغة وفهم واسع وعقل راجح وخيال حاصف ،فلقد جاء أدبهم نتاج قرائح صافية وقلوب واعية ،وإشراقات إلهية ميزته عن سائر المدارس الأدبية ،وذالك لعنايته الفائقة بالرمز والغموض والإشارة ،وقد كانت له ألفاظه الخاصة به وأساليبه القاصرة عليه وتناوله للمعاني والأفكار بطريقة تند عن قرائح بقية الشعراء ..."[2]

وقد كان للصوفية أدب غزير شعرا ونثرا له طابعه الخاص وأساليبه المميزة تبعا للتجربة الذوقية للمتصوف ، انطلاقا من هذه المعطيات سنحاول البحث عن الجانب الصوفي في الرحلة العياشية من خلال النصوص النثرية والشعرية التي ضمنها في هذه الرحلة .

---

[1]ينظر :المصدر السابق-ص:114.

[2] ينظر علي الخطيب –اتجاهات الادب الصوفي –دار المعارف –دط –دت – ص :85.

1-النثر :

الأدب الصوفي المنثور باب واسع المدى فسيح الأرجاء وهو "خلاصة تعبيرية عن وحي عقول مؤمنة عابدة متبتلة منذ ظهور حركات التصوف إلى اليوم ،وفي سياق حديثنا عن الأدب الصوفي لا يمكننا دراسته بمعزل عن خصائص الأدب العربي في مختلف العصور والبيئات ،وللنثر الصوفي أغراض عدة نجملها كالتالي :الرثاء –الحكمة – الزهد –المناجاة -الوصايا والنصائح "[1]،وسوف نكتفي بدراسة أحد هذه أ-**أ-أدب الوصايا والنصائح :**

وهو فن من فنون النثر الصوفي امتاز بالقوة في الألفاظ والمعاني ويهدف إلى توجيه النصائح لما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته .

وقد تصمنت الرحلة العياشية مجموعة من النصائح والوصايا تصب كلها في مجال إصلاح النفس وتطهيرها والرقي بالإنسان في إطار السلوك الصوفي ،وقد يستطر دفي مقام سرد أحداث رحلته ويورد أحد هذه الوصايا من ذالك قوله "يا بني أوصيك بتحصيل العلم والآداب وتقوى الله ،وكن تابعا لآثار السلف الصالح ،وكن ملازما للسنة والجماعة ،واقرأ الفقه والحديث والتفسير ،واجتنب عن الصوفية الجاهلين ،وصل الصلوات الخمس بالجماعة بشرط ألا تكون إماما ولا مؤذنا ،ولا تطلب الشهرة ففي الشهرة آفات ،كن كأحد الناس ولا تتقيد بمنصب ولو كان محمودا كالقضاء والفتوى ،ولا تكن كفيل أحد ولا وصيه ،ولا تصحب الملوك وأبنائهم والمرد والنساء والمبتدعة والعوام ،ولاتبن الخانقات فيه ولا تسمع النغمة إلا قليلا ،لأن من كثرة السماع يتولد النفاق ويموت القلب ....وقلل الطعام والمنام

[1] ينظر :المرجع السابق –ص: 51

والكلام ،وفر من الناس كما تفر من الأسد والتزم الخلوة وكل الحلال واجتنب الشبهات ...."[1].

-من حيث المضمون

احتوت هذه الوصية على مجموعة من النصائح موجهة لطالب العلم توجهه في أمور دينه ودنياه ،بداية من الدعوة الى الالتزام بالكتاب والسنة وتجنب البدع الى تطييب الرزق (الحلال)،يبدو العياشي ملتزما بقضايا مجتمعه محاولا الرقي به نحو الأفضل ،"وقد ارتبط بالأدب منذ القدم وظيفتان تنازعتا مركز الصدارة هما :النفعية والجمالية أو التعليم والمتعة ،فقد كانتا تسيران متوازيتين في وقت من الأوقات وتتقدم الوظيفية النفعية في حين تتراجع الوظيفة الجمالية لتصبح وظيفة ثانوية لاحقة ،والنفعية التعليمية تحمل الأدب مهمة مهمات الكشف عن حقائق الكون والطبيعة البشرية ومحنة الوجود الإنساني ..."[2]،لأن أساس فكر العياشي يقوم على طلب العلم واعتباره سبب رقي الإنسان وازدهاره ،فهو رغم قامته العلمية التي أهلته أن يكون مدرسا بأرض الحجاز لم يمنعه ذالك من طلب العلم والحصول على أكبر قدر من الإجازات من مختلف الشيوخ في المشرق العربي .

-من حيث الشكل :

تميز أسلوب الوصية بالسهولة والبساطة ،فقد خلت من التعقيد والتكلف ،لأن العياشي يريد أن تصل الرسالة لأكبر قدر من الناس ، وبالتعقيد يتعذر ذالك .

---

[1] -ينظر أبو سالم العياشي –ماء الموائد –ج1ص :348.

[2] بنظر مسلم حسب حسين –جماليات النص الأدبي –دار السياب –لندن ط1 –2007م-ص:51.

ب-المناجاة :

وهو الأدب الذي "اخترعه الصوفية في مناجاة الله تبارك وتعالى وخطابه والتحدث إليه ،وهو أدب يجذب العقول بجماله وبلاغته وسحره وروعته"[1] كما أنه لون من ألوان النثر ،ومن ذالك ما أورده العياشي "...قال شيخنا أحمد بن علي الشناوي رحمنا الله به :وكل اسم من الأسماء الأربعينية ذكر أربعة آلاف واربع مائة وأربعين بنبة وفاء جميع الشرائط ...ورأيت أيضا بخطه :يا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة ويا رجائي عند ما تنقطع حيلتي ،يا غياثي ،...ورأيت بخطه أيضا ما صورته "يا الله يا واحد يا أحد يا جواد انفحني منك بنفحة خير "[2]ومن ذالك أيضا "..سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ،يا الله المحمود في كل فعاله يا رحمان كل شيء وراحمه ،يا حي حين لا يبقى في ديمومة ملكه وبقائه ،يا يوم ولا يفوت شيئا من علمه ولا يؤوده ،يا واحد أنت الباقي في أول كل شيء وآخره ،يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه ..،يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله ...لى أن يقول : يا غياثي عند كل كربة ويا مجيبي عند كل دعوة أسألك أمانا من عقوبات الدنيا والآخرة ،وأن تحبس عني أبصار الظلمة المريدين بي السوء ،وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون على خير ما يملكه غيرك ،اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ..."[3]

لقد نقل العياشي هذه المناجاة عن أحد الصوفية وهي أدعية تهم طالب التوبة ، وهي مناجاة تعبر عن صدق التوجه إلى الله والرغبة الحقيقية في العودة إلى

[1] ينظر : علي الخطيب –اتجاهات الأدب الصوفي-ص:60/59.
[2] ينظر :أبو سالم العياشي –ماء الموائد –ج2 –ص : 540-541.
[3] ينظر :مرجع المصدر نفسه –ص 547/546.

الطريق المستقيم ،وقد أدرك"الصوفية ما للتوبة من أهمية بالغة بوصفها نقطة تحول كبرى في حياة السالك أو بداية أساسية في طريقه ،ويعتبر جمهور الصوفية أن التوبة هي بداية الطريق بالنسبة إلى المريد ،وهذ القول يتفق مع النصوص الشرعية الكثيرة التي ترغب في التوبة وتدعو إليها باعتبارها أمرا اختياريا يمارسه المرء بإرادته كي ينطلق كي ينطلق إرادته في طريق الهدى .."[1]

من حيث البناء اللغوي تشكلت هذه المناجاة من مجموعة من العبارت والألفاظ تصب في معنى الدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى ،فقد طور الصوفيون مفهوم المعنى "في الأدب والنقد العربيين ،فمفهوم المعنى في النقد القديم جامد أ عند الصوفية فمفهوم متحرك متغير باستمرار ،أصبحت الصوفية هي المعنى والبيان عنها هو اللفظ ،وقد عرف عنهم ما يسمى ب:معنى المعنى وهو التأويل والرمز والإشارة والمجاز ،وهي المعاني التي تستنبط من التجربة الصوفية وعمقها وغناها ،فالنثر الصوفي موهبة كتابية منفردة في التعبير وفي الرؤيا وكان يجب انعكاس ذالك تطبيق قواعد نقدية جمالية جديدة ،ومقاييس تبتعد في فهمها للنثر الصوفي عن مقاييس النقد السائد ."[2]

ومما يميز اللغة في هذه المناجاة اعتمادها على الرمز مما يعطي للألفاظ معنى خاص يختلف به عن المعنى المعجمي،"فالنثر الصوفي يتأسس على الرمز بسبب عوامل من التجربة الصوفية وخارجها ، فالأفكار والأسرار الصوفية أدق أخطر من أن توجه للعامة صريحة واضحة ،لذالك كان الرمز أحد حلول إشكالية

---

[1] ينظر :سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي –نظريات الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام –دار المنارة –السعودية –ط1- 1991م–ص :228.

[2] ينظر :وضحي يونس –القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع –اتحاد الكتاب العرب –دمشق –دط –دت –ص:102

كبيرة واجهتها الظاهرة الصوفية هي محاولة إيجاد الشكل التعبيري المناسب ،فضلا عن الغموض وأسلوب الغزل والرمز عند الصوفيين هو التلميح والرمز لحفظ أسرارهم .."[1]

2- الشعر:

كان "الشعر الصوفي كثيرا وغزيرا غزارة النثر الصوفي ،وشعراء الصوفية كثيرون في كل عصر ،ومنهم شعراء قالوا فأفاضوا واعتمدوا على البديهة وأحسنوا ،وأتوا في شعرهم غزير المعاني وروائع الخيال وبدائع الصور وجميل التشبيهات ولطيف المجازات "[2]ومن الأغراض الشعرية التي أفاضت حبر المتصوفة (المديح النبوي)،وغرض المدح قديم قدم الشعر العربي ويعتمد على ذكر الصفات الحميدة للممدوح .

المدائح النبوية :

المدائح النبوية "فن من فنون الشعر التي أشاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع ،لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص ،ويقول زكي مبارك أن المدائح النبوية باب كبير من أبواب الشعر الصوفي وقد قال فيه الشعراء على مختلف العصور ،وإمامهم في ذالك (البوصيري –صاحب البردة والهمزية .ويلاحظ أن عصر ازدهار المدائح النبوية هو عصر الحروب الصليبية وغزو التتار للشرق"[3] .

[1] ينظر :مرجع سابق –ص: 105

[2] ينظر :علي الخطيب –اتجاهات الأدب الصوفي –ص :85.

[3] ينظر :المرجع نفسه –ص: 67.

المدائح النبوية في المغرب العربي :

لقد ساهم الوضع المتردي الذي وصل إليه العالم الإسلامي وخصوصا في الأندلس إلى تطور فن المدائح النبوية في المغرب العربي منذ القرن السادس الهجري ،وفي هذه الظاهرة نرى تشابه بين المشرق والمغرب في العامل الذي أدى إلى إكثار الأدباء من المديح النبوي والتوسل للرسول والبوح له بالهموم والأشجان ،فقد كان في بلاد المشرق العربي ما أصاب الأمة من محنة الغزو الصليبي القادم غليها من بلاد الغرب ،والهجوم التتري الكاسح القادم إليها من الشرق ،وفي الأندلس ما تعرضت له البلاد من زحف مسيحي لم تفلح في صد تياره جهود المرابطين ثم الموحدين ،وهكذا شعر المسلمون هنا وهناك بالضعف وقلة الحيلة ولم يكن لدى الأدباء –وهم ضمير الأمة ولسانها الناطق –إلا أن يتوجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستشفعون منه ويطلبون منه العون والنصرة ."[1]،وقد كان لهذه العاطفة الدور الكبير في تشجيع الشعراء على الميح النبوي بقصائد فريدة وبديعة ،وتنافسوا في ذالك .

شعر المديح عند أبي سالم العياشي :

لقد ارتبط المديح النبوي بالتصوف لكونه مجال فسيح ليبث فيه المتصوف عواطفه تجاه النبي ،والتعبير عن شوقه للبقاع المقدسة ،وقد عبر العياشي في رحلته عن هذه العاطفة بقصائد مختلفة منها ماهو من إبداعاته ومنها ما نقله عن

[1] ينظر :محمود علي مكي –المدائح النبوية –الشركة المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع –ط1- 1991م- ص:123.

الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم ،وفي هذا الصدد سوف نستعرض نماذج من شعر المديح للعياشي ،حيث يقول في أحد هذه القصائد:

أيا خير خلق الله شرفت مكة وطيبة لما صرت حرز حلاهما

حللت بهذا حلة بعد حلة بهذا فطاب الواديان كلاهما

لمكة فضل البدء والختم فضله لطيبة فالثم يا محب ثراهما

وجاور هاذي مدة بعد مدة بهذي ولا تطلب مكانا سواهما [1]

ففي هذه الأبيات يبرز فضل محمد صلى الله عليه وسلم على مكة ،وأتها شرفت بمبعثه ،لذالك اكتسبت قدرا عظيما في نفوس المسلمين لم تصله مدينة أخرى من قبل

ومن ذالك "قصيدتان كتبهما لي بخطه فلنوردهما تبركا بالممدوح صلى الله عليه وسلم وتيمنا بذكر بعض أوصافه العلية :

بشراك يا عين هذا منتهى الأمل وذا الجواد الذي بالمكرمات ملي

هذا الرسول الذي ما خاب سائله فاستمطري من ندا إحسانه وسلي

هذا الذي قد رقى فوق البراق إلى أدنى من القاب فضلا غير منتحل

هذا الذي قد براه الله جل ثنا ه نعمة للورى ينجي من الخطل

محمد أحمد المحمود أفضل من هدى سواء طريق واضح السبل

محمد أجمد الماحي ببعثته ريب الطغاة بغاة الزيغ والزلل

[1] ينظر أبوسالم العياشي –ماء الموائد –ج1-ص :136.

محمد سيد الكونين أكرم من مشى على الأرض من حاف ومنتعل

ولا تعد ولا تحصى فضائله لكل فضل له من سابق الأزل

فكم له معجزات ليس ينكرها إلا جحود بزور الإفك والجدل

نطق الغزال وضب والذراع ور د الشمس منها ومنها منطق الجمل

يا صاحب النجوة العظمى أغث دنفا أودى به الحال في حل ومرتحل

وكن له ولأسلاف له سلفوا واشفع له ولهم يا أسعد الرسل

عليها أزكى صلاة الله يصحبها أزكى سلام لدى الإشراق والطفل

وآلك الطهر والصحب الكرام ومن والى سبيلهم الحسنى وكل ولي [1]

يشترك شعراء المدح جميعا في تضمين قصائدهم صفات النبي صلى الله عليه وسلم ،وما تميز به عن بقية الرسل الكرام ،ففي هذه القصيدة أورد الشاعر مجموعة من هذه الصفات مثل (الجواد –المحمود –الماحي –سيد الكونين -....الخ)،بالإضافة إلى ذكر معجزاته مثل (نطق الغزال والضب –رد الشمس –الجذع حن إليه -...الخ)،وبعد إيراد صفاته ومعجزاته يتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم طالبا الشفاعة له ولأهله ،وهذه المعاني نجدها مكرورة عند شعراء المديح لا يحيد عنها شاعر ،لكن المتصوف يعطي لقصيدة المدح بعدا آخر ،فهو كما يذكر العياشي "نورد هذه القصيدة تبركا وتيمنا بها ،فهو يرى فيها بركة تجلب السعادة له وللآخرين .

[1] ينظر :أبوسالم العياشي –ماء الموائد –ج1–ص:65./66.

القيمة الفنية لقصائد المديح النبوي عند العياشي:

أما من حيث القيمة الفنية لهذا الشعر "فمحدودة ضئيلة بل تكاد تنعدم أحيانا ،فشرف الممدوح لا يمكن أن يشفع دائما لمل دخل هذا الشعر من النظم الرديء الذي صنعه من لم يرزقهم الله حظا من الموهبة الشعرية الحقيقية ،هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نرى أن الموضوعات التي تناولها كثير من المادحين تكاد تكون واحدة ،ويكثر فيها الإلحاح على معجزات تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مما شاع على ألسنة القصاص ولم تثبته كتب السيرة الموثوق بصحتها ...."[1]

*رمزية المصطلح الصوفي في الرحلة العياشية وقيمته الفنية :

لطالما شد التصوف بمبادئه الرامية الى تطهير النفس وتحليتها اهتمام الباحثين ومريدي المعرفة ،وغمرتهم الدهشة وهم يحاولون فك شفرات التواصل بين المتصوفة ،وهذا مرده الى طبيعة اللغة المستخدمة في التواصل فيما بينهم ،والتي يعبرون من خلالها عن أحاسيسهم ومشاعرهم بعبارات لا يستسيغها غيرهم ،فقد صنعوا لأنفسهم معجما خاصا يحتوي على مصطلحاتهم المنتخبة والتي تناسب تجربتهم الروحية والوجدانية ،حيث تتميز هذه المصطلحات بميزة خاصة وهي أنها غارقة في الرمزية .

وقد ضم المغرب العربي تراثا صوفيا زاخرا كان نتيجة لانتشار الطرق الصوفية في ربوعه ،ومن أضهر هذه الطرق الطريقة الدلائية في المغرب الأقصى ،وكان لهذه الزاوية عدة فروع ومن أشهر فروعها الزاوية العياشية بآيت عياش ،وقد

[1] ينظر :محمود علي مكي –المدائح النبوية –س:135/134.

خرجت هذه الزاوية العديد من العلماء ومن أشهرهم العالم الرحالة ابو سالم العياشي ،الذب تشبع بمبادئ التصوف ،لخص هذه التجرية في رحلته (ماء الموائد).حيث ضمن رحلته العديد من الأفكار حول التصوف .فما هي طبيعة المصطلحات الصوفية في الرحلة العياشية ؟.وهل لها علاقة بتجربته الصوفية؟

أ-مفهوم الرمز لغة واصطلاحا :

المفهوم اللغوي :

من الناحية اللغوية :جاء في معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي ما مفاده"والفعل رمز يرمز :ينضم ،والرمز باللسان الصوت الخفي ،ويكون الرمز: الإيماء بالحاجب بلا كلام ومثله الهمس ،ويقال للرجل الوقيد :ارتمز ،ويقال الرمز تحريك الشفتين"[1] . وفي معجم ابن فارس "الرمز الإشارة بالحاجبين والشفتين ،وكتيبة رمازة تموج من نواحيها ..."[2].

المفهوم الإصطلاحي :

الرمز عند الصوفية هو "الميل نحو التجريد ومنح الألفاظ معاني أخرى توافق الذوق الصوفي ،وأنهم وجدوا في ألفاظ المتكلمين ما يعينهم في التعبير عن تجربتهم ،فضلا عما اصطلح عليه من ألفاظ أخرى خاصة أو ما اقتبسه من القرآن الكريم والأدب الديني عامة.."[3]،وإذا تأملنا أدب الصوفية شعرا ونثرا

---

[1]-الخليل ابن احمد الفراهيدي –كتاب العين –تح:محمد المخزومي وآخر-دار ومكتبة الهلال –دط-دت-ج8-ص:366مادة رمز.

[2] -.ابن فارس- مجمل اللغة –تح:زهير عبد المحسن سلطان- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1986م-ج2 ص:398.

[3] -عدنان حسين الجوادي- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي- دار الرشيد للنسر –العراق –دط- 1973م-ص:261

،خاصة شعر ابن الفارض وكلام محيي الدين ابن عربي في (الفتوحات المكية)وجدنا "رمزا غريبا ونمطا عجيبا وبعدا عن التصريح وإيثارا للتلميح واعتمادا على الإشارة ،وعلاقات خفية في التجوز في الكلام ودرجات بعيدة بين المعاني الحقيقية والمعاني اللزومية ،لا يكاد يفهمها فاهم ولا يصل إلى جوهرها عالم ..".

فاللغة تنقسم إلى قسمين :

1-"اللغة الطبيعية: وتشمل جميع الحركات والإشارات والأصوات التقليدية والظواهر الجسدية التي تصحب الانفعالات والأفكار ،وقد سميت طبيعية لأنها لم تنشأ عن اتفاق مقصود أو وضع صريح

2- اللغة الوضعية :وهي الرموز والإشارات المتفق عليها كرموز الجبر وقد استقل علم التصوف بلغة خاصة هي لغة الذوق والرمز ،فهل تستطيع اللغة أن تكون وعاءا للذوق ،وجوابه أن الذوق أوسع من اللغة بكثير ،إذ هو جوهر العلاقة بين العبد وربه ،باعتبار مداره على القلب ،فبأي وسع يستطيع الإنسان أن يتكلف الإنسان نقل الحقيقة الذاتية إلى قالب موضوعي .."[1]

والمصطلح الصوفي تتنوع دلالاته وتتنوع بحسب المقامات ،أو ما يمكن أن نسميه في الدرس الدلالي بالسياقات ،مبتعدة شيئا فشيئا عن المدلول اللغوي العام ،حيث نرى المصطلح في بعض السياقات ذا صلة بالمدلول اللغوي العام ،بينما تكاد الصلة تنقطع في سياقات أخرى ،وتبدو منقطعة تماما موغلة في الرمز في نوع ثالث من السياقات ،ولهذا فإن المصطلح الصوفي لا يمكن أن يدرك

---

[1] -ينظر :محمد بن بريكة –التصوف الاسلامي من الرمز الى العرفان –دار المتون للنشر والتوزيع – ط1 -2006م-ص76/75
:

معناه المحدد إلا من له ثقافة صوفية واسعة ،اما بالنسبة للقارئ العادي فإنه لا يمكن أن يدرك جزءا من مدلول المصطلح .."[1]

القيمة الفنية للرمز الصوفي:

القيمة الفنية للرمز الصوفي :تظهر القيمة الفنية للرمز الصوفي من خلال كونه أداة أو وسيلة للتعبير عن التجربة الصوفية والذوق الصوفي ،بحكم عجز اللغة العادية عن استيعاب هذه التجربة الذوقية كما يدعي أصحاب التجربة ،ولهذا يقول عبد القاهر الجرجاني في الوضوح والغموض "ومن الركوز في الطبع أن الشيء إذا قيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى فكان موقعه في النفس أجل وألطف ...".[2]،وقد كان لجوء الصوفية للرمز لإعطاء تجربتهم الوجدانية والروحية صبغة خاصة ،فبرز عدة متصوفة تميزت لغتهم بالرمزية من أشهرهم : ابن الفارض ،ابن العربي، الجنيد ..الخ ،وقد سببت هذه الرمزية الكثير من الجدل في أوساط علماء الدين بسبب التفسيرات الظاهرية لهذه المصطلحات ،مما أدى إلى اتهام العديد منهم بالزندقة والجهل ،بل وصل الأمر ببعضهم الى حد الأعدام على غرار الحلاج .

نماذج من مصطلحات الصوفية في الرحلة العياشية:

لكل علم مصطلحاته الخاصة ،وباعتبار التصوف كعلم له قوانينه وعلماؤه صنع لنفسه لغة خاصة تميزه عن باقي فروع العلم ،ويظهر ذالك في الاستعمال اللغوي لها ،فأبو سالم العياشي في رحلته (ماء الموائد)عبر في عدة

---

[1] -ينظر :عبد الرزاق الكاشاني (730ه)-تح:عبد العالل شاهين –معجمم المصطلحات الصوفية –دار المنار للنشر والتوزيع /القاهرة-ط1- 1992م-ص:11-12(المقدمة).

[2] ينظر :علي الخطيب –اتجاهات الادب الصوفي –دار المعارف –القاهرة – دط –دت –ص:129-130.

مواضع من الرحلة أنه عالم صوفي ملم بطرقه ومذاهبه ،مالكا لناصية لغة المتصوفة بصفته تربى على أحد طرقها وهي الزاوية الدلائية التي تتبع الطريقة الشاذلية . بالإضافة الى الطرق الأخرى التي تعرف عليها في المشرق العربي مثل الطريقة النقشبندية حيث يقول " وأما طريق ساداتنا النقشبندية فقد رواها شيخنا عيسى إجازة مشتملة على إسنادها "باسم الله الرحمان الرحيم "الحمد لله الذي خلق آدم على صورته وكرمه بخلافته ..وسمت همم أوليائه عن الركون إلى الأكوان عارا ،وتعلقت جنابهم بالله تعالى بارا ،فدارت عليهم بكرة وعشيا كؤوس المحبة من كوثر محبوبهم دارا ،كلما جن عليهم الليل جعل قلوبهم من شوق لقاء الخليل نارا ،ويشغلون بذكره سرا وجهارا ،ويمتنعون بمناجاة المحبوب إعلاما وإسرارا ..."[1].فقد نقل العياشي عن شيوخ النقشبندية هذه الإجازة والتي احنوت على مصطلحات على معان خاصة بهم مثل :

كؤوس المحبة (الخمرة):

عرف العرب في جاهليتهم "بصنع الخمر المعتصرة من العنب والتمر والشعير ،وقد تصرف العرب في أسمائها بحسب اللون ودرجة الإسكار ،ومن ذالك يسمى نبيذ الشعير الجعة ،ونبيذ العسل :البتع ،أما المزر فنبيذ الحنطة "[2]،ولما جاء الإسلام حرم الخمر ،واعتبرشربه من الكبائر ،وهذا أمر لا يخفى على المتصوف ، وقد تحولت الخمر في الشعر الصوفي إلى رمز عرفاني على ما كان الصوفية يتنازلون من وجد باطن ،ويظهرون تتبع الطبقات الصوفية ،على أن هذا التحول بدأت بواكيره منذ القرن الثاني الهجري ومن ذالك قولهم :

---

[1] -ينظر :ابو سالم العياشي ماء الموائد – ج1 ص:337.

[2] -ينظر :عاطف جودة نصر – الرمز الشعري عند الصوفية –دار الاندلس /بيروت –ط1- 1978م- ص:327.

كفاك بأن الصحو أوجد كآبتي...فكيف بحال السكر والسكر أجدر

شربت الحب كأسا بعد كأس ...فما نفذ الثراب ولا رويت."[1]

فالخمرة تحولت من مذهب للعقل إلى رمز يعبر من خلاله المتصوف عن حالة الهيام والنشوة التي يشعر بها أثناء مناجاة خالقه ،وفي تحليل ظاهرة الوجد المرموز إليها بالسكر ،ميز الصوفية بين صحوين : صحو قبل السكر وصحو بعده ،أما الذي قبل السكر فإنه تفرقة محضة ليس من الأحوال الصوفية ،وأما الذي بعده فيسمى الصحو الثاني وثحو الجمع والصحو بعد المحو .."،فالسكر عند الصوفية تلك " [2]النشوة العارمة التي تفيض بها نفس الصوفي وقد امتلأت بحب الله حتى غدت قريبة منه كل القرب ،وقد عبر الصوفية بألفاظ متقابلة عن حالات هذه النشوة ودرجاتها كالغيبة والحضور والصحو ...الخ "[3]وهذه المصطلحات تتنوع مدلولاتها بحسب "المقامات والمنازل أو قل بحسب السياقات المتنوعة هي من الكثرة بحيث تعد ظاهرة ينفرد بها المصطلح عند الصوفية ،وهو ما لايحدث في مصطلحات العلوم أو الفنون الأخرى إلا في حالات قليلة ،مبتعدة بذالك عن المدلول اللغوي "[4]،فالعياشي يحاول أن يكون مسايرا للغة المتصوفة ويظهر تأثره من خلال إلمامه باللغة الصوفية وتوظيفه لمصطلحاتها بدقة.

وحدة الوجود :

ومن المصطلحات الصوفية التي اشنهر بها أهل التصوف وأربابه ((وحدة الوجود))..وقد بين العياشي ماهية هذا المصطلح ،وقد صرح بعدم ارتياحه

[1] ينظر –مرجع سابق –ص: 241.
[2] ينظر :عاطف جودة نصر –الرمز الثعري عند الصوفية –ص328.
[3] ينظر :عدنان حسين العوادي –الشعر الصوفي–ص:199.
[4] ينظر :علي الخطيب –اتجاهات الأدب الصوفي –ص:11.

لهذه الفكرة إلا بعد التمحيص والتدقيق في قوله "كنت قبل ذالك كثيرا ما أطيل الفكر في مسألة من الحقائق تتعلق بوحدة الوجود الذي يقول به كثير من محققي الصوفية كالشيخ محيي الدين وأتباعه ،فلا يتقدح في قلبي من فهمها شيء يثلج له القلب وينشرح له الصدر ..."[1]إلى أن ازيل عنه هذ اللبس فيقول معبرا عن وصوله الى قناعة وراحة لهذا المصطلح "....فكشف لي عن معناها الموافق لكلام الأئمة ما لم يخطر لي قبل ذالك على بال وانشرح الصدر لقبوله لأنه لم يعارض نص كتاب ولا سنة ،ووحدة الوجود هي في الاصل حال "قبل أن تكون نظرية وأنها جزء لا يتجزأ من التجربة الصوفية ..في نظرية قائمة على التجربة وأساسها الذوق ،تنتولها العقل فصاغ منها نظاما فكريا قد يقبل به البعض أو يرفضه كلا أو بعضا ،وكلا الرفض أو القبول إغناء للحياة الإنسانية"[2] .فالكون في نظر الصوفيين "صادر عن خالق والموجودات أوهام تعرف بالإدراك ،فالمدركات البصرية لا وجود لها عند فاقد البصر والمدركات السمعية لا وجود لها عند الأصم ،وما يجعل لهذه المدركات وجود هو الحاسة ،كذالك بالنسبة للوجود فالقوة الإلهية تفيض الوجود بما تهبه لنا من إدراك ،:الله في كل شسء وهو على كل شيء والكون على هذا وحدة منتظمة متناسقة "[3]

وحال وحدة الوجود تحصل لدى الصوفي هندما يبدأ بالصحو من غيبته من العالم "وقبل أن يعود للواقع تماما ،في هذه الحالة لا يكون الصوفي باقيا في شهود الله وحده ولا في شهود العالم وحده ، بل في شهودهما معا ،فيرى الله في كل شيء ويرى كل شيء في الله ،ثم ما يلبث أن تتلا شى رؤيته لله تعالى تدريجيا

1

[3] ينظر :حسن عاصي –التفسير القرآني واللغة الصوفية عند ابن سينا –المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –ط1- 19983م-ص :40.

بمقدار ما تزيد رؤيته للعالم ،حتى يحط على أرض الواقع تماما ويعود إلى حياته اليومية ."[1]،فإذا قال الصوفي "لا أرى شيئا غير الله فهو في حال وحدة شهود ،وإذا قال لا أرى شيئا إلا وأرى الله فيه فهو في حال وحدة وجود ،وهذا أوجز تبسيط لهذين المصطلحين اللذين يختزلان التجربة الصوفية في كا أبعادها ،فحال وحدة الشهود هي حال الفناء وحال وحدة الوجود هي البقاء ،والفناء والبقاء متلازمان ،وخير مثال يوضح لغير المختص حالي الفناء والبقاء الممثل السنيمائي أو المسرحي الذي يؤدي دورا رسمه له المخرج ،الممثل في هذه الحالة يتكلم كلاما غير كلامه هو ،ويأتي أفعالا غير أفعاله هو .."[2]

الذكر :

تعتمد الطرق الصوفية في منهجها الروحي على مجموعة من الأوراد اليومية ،وهي في الأصل أذكار معينة يرددها مريدو الطريقة بطريقة معينة ووقت مخصوص ،والذكر كما جاء في معجم اصطلاحات الصوفية ل عبد الرزاق الكاشاني "وأصله هاهنا الخلاص من النسيان بدوام حضور القلب مع الحق وصورته في البدايات :الذكر الظاهر ،وفي الأبواب :الذكر الخفي .،وفي المعاملات:ذكر الفعال لما يريد برؤية الأفعال كلها منه ،والأمور كلها بيده.

وفي الأخلاق :ذكر الأخلاق الإلهية والتشوق إلى التخلق بها .ودرجته في الأودية :تلقى المعارف والحقائق منه وإلقاء السمع في استرار إليه .

-وفي الأحوال:لزوم المسامرة والمناجاة .

- وفي الولايات:دوام المصافاة والمناغاة .

---

[1] ينظر : المرجع السابق :ص 14

[2]ينظر : نهاد خياطة –دراسة في التجربة الصوفية –دار المعرفة –ط1 -1994م-ص:5

- وفي الحقائق:دوام المشاهدة والمعاينة .

وفي النهايات شهود ذكر الحق إياك والتخلص من شهود ذكرك إياهومعرفة افتراء الذاكر في بقائه مع ذكره "[1]،وقد بين العياشي ماهية الذكر الخفي في قوله "...ما حقيقة الذكر الخفي وما طريقه لو يذكر بالجهر أو بتحرك الأعضاء لو يطلع عليه الناس ..فقال هذا علم لدني وإن أراد الله يلقيك أحد من الأولياء يلقنك الذكر الخفي "[2]،وفي إيراده لمنهج الطريقة النقشبندية في الذكر يقول "فصل في طريق الوصول إلى السادة النقشبندية إلى الله تعالى إما بمحض الصحبة أو بالذكر أو بالمراقبة ،وطريق ذكر هذه السلسلة أن تذكر الكلمة الطيبة أعني :لا إله إلا الله محمد رسول الله بحبس النفس وتراعي العدد الوتر ،وإذا جاوز العدد إحدى وعشرين مرة ولم يظهر للذكر أثر فهذا دليل على عدم قبوله ،فليشرع في إبتداء الذكر من أصله ،وأثر الذكر هو أنك في زمان النفي تنفي عنك وجود البشرية ،وفي زمان الإثبات يظهر فيك أثر من آثار الجذبات الألهية ....وكيفية الذكر أن تجعل اللسان ملتصقا يسقف الفم وتلصق الشفة بالشفة والأسنان بالأسنان مع حبس النفس .."[3]

لقد حاول العياشي أن ينقل تجربة الطريقة النقشبندية إلى المغرب حارصا على نقل الأذكار التي يبدو أنه تأثر بها إلى حد ما .فالذكر عماد التجربة الصوفية ومن خلاله يترقى المريد من حال إلى حال،وما يميزه عن الذكر

---

[1] ينظر :عبد الرزاق الكاشاني –معجم اصطلاحات الصوفية –تح :عبد العالي شاهين –دار المنار -1992م-ص :278/277

[2] ينظر أبو سالم العياشي –الرحلة العياشية –ج1 –ص : 347.

[3] ينظر :المصدر نفسه –ص 344.

المتعارف عليه هو تخصيصه بأوقات معينة ومناسبات خاصة ،وغالبا ما يتم على شكل حلق تسمى حلق الذكر .

البناء الرمزي للعدد :

للعدد مظهرين أحدهما عملي والآخر نظري ،وقد ارتبط "الطابع العملي بظروف البيئة ليستعين به الإنسان في تحديد الأنواء ومواقيت الزرع والأعياد الدينية ،وفي ثقافات لاحقة تمثلت في الإتجاهات العرفانية ،أخذ التنجيم بواسطة رموز حرفية وأخرى عددية ،وفي تلك الإتجاهات أشربت الأعداد والحروف طابع التامل الميثافيزيقي ..وتاثرا بما سبق أثارت العرفانية الصوفية ما سبق أن طرحه الأفلاطونيون المحدثون من مشكلات الميثافيزيقا على هيئة رموز عددية وأخرى حرفية ،واستطاع الصوفية أن يشربوا هذه المشكلات روحا إسلامية ."[1]

ومما نقله العياشي في هذا الصدد من كتاب (الجفر الجامع والنور اللامع)للشيخ محيي الدين ما نصه "فضل في سر الاستنطاق ،وأول بيت في الجفر عدده أربعة ينطقه وعلى سر العدد من غير التكسير ينطق ا ي ق ع فإذا أضيف إليها د ا ي ق ع عاد العد د 1141 انطق بثلاثة أسماء أحدها مركب (خير الوارثين) أبدي هادي ،فظهرت الأربعة الألفات لمن فهم مع أنهم قالوا :أن الأربعة المثلية لا تنطق بشيء ،وذالك لقصر أفهامهم . ومثال الباب : ب ب ب عدد 8 نطق ح وعلى سر العدد من غير التكسير غ ع ب ك ر ،وإذا أضيف إليها هذا العدد 223نطق لا إله إلا الله مجيب غالب ،باعث ثواب ...،واعلم أن سر الله في العلوم اللطيفة والكثيفة والعلوية الروحانية تقع على نسبتين :أعداد وحروف ،فأسرار

[1] ينظر :عاطف جوده نصر –الرمز الشعري عند الصوفية –ص :397/396.

الحروف في الاعداد وأنواع الأعداد فبي الحروف ،فالأعداد العلوية الروحانية سر الأقوال والحروف سر الأفعال ،فعالم العرش أعداد وعالم الكرسي حروف ،فنسبة الحروف للأعداد كنسبة الكرسي للعرش "[1]

بيد أن العرفانية الصوفية لم تلبث "أن رفعت التقابل بين الوحدة والكثرة برد الكثير المتخارج إلى المبدأ الواحد ،وذالك باعتبار الواحد العلة التي يظهر الكم بموجبها ويكثر ،ولا يخفى أن الصوفية قد بنوا عرفانيتهم الرمزية في هذا السياق على أساس أن للعدد مراتب معقولة ،تتجلى إلى ظهور الواحد بها وفيها ،كما أشربوا هذه الرمزية العددية طابعا إثيولوجيا أحال عندهم إلى تصور أن المعبود إنما هو واحد ،وأن اختلفت الملل وتعددت المذاهب والنحل ،وأن الواحد في كينونته مستقل عن غيره ...."[2]لقد أصبح العدد بالنسبة للمتصوفة ذا دلالة خاصة رمزية ذات طابع روحاني ،استخدموها لإثبات وحدانية الله ونفي الشريك عنه .

لم يشذ العياشي عن أدباء عصره في طريقة التدوين وأسلوبه ،بحكم أنه عاش في زمن الضعف ،"ولأن أسلوبه الأدبي فتنعكس فيه بالطبع علامات عصر التدهور ،ولكنه يتميز بالبساطة ،باستثناء الحالات التي يعالج فيها المؤلف الكلام على الموضوعات الصوفية ويرى لزاما عليه أن يلجأ إلى لغة مغلقة ومتكلفة "[3]وهذا التكلف يعود إلى المصطلحات الصوفية الرمزية التي وظفها .

[1] ينظر –أبو سالم العياشي –ماء الموائد –ج 1-ص: 23.
[2] ينظر : عاطف جودة نصر –الرمز الشعري عند المتصوفة –ص 400.
[3]-ينظر اغناطيوس كراشوفسكي –تاريخ الادب الجغرافي –ج1-ص:731.

اما نصره فمتكلف كما في فاتحة رحلته "الحمد لله الذي قرن ممدوح السفر بممدوح الظفر فقال (فلولا نفر)...."[1]وهو نثر في غاية العري والفقر وان حاول صاحبه أن يكسيه بأثمال بالية .."[2]

ولقد عبر المتصوفة باللغة، والتي يعاد بفضلها إنتاج أو تمثيل أو نمذجة الواقع والحدث أيّاً كان مصدره، وتوسّعوا في أشكال التعبير التي سمحت بها اللغة، "وشكّلوا نسقاً خطابياً مختلف المكونات والظواهر النصيّة، من شعر وقصص وأدعية ومناجيات وحكم وأخبار تنتظمها مجموعة من القوانين التي تحكم العلاقات والتفاعلات فيما بينها، قصد بلوغ هدف معين، هو التعبير عن تجربتهم في الاتصال بالله، وهي تجربة معرفية عاطفية، كما أنها تجربة في الكتابة والإبداع. ولذلك يبدو من الخطأ التمادي في الاعتقاد بأن الخطاب الصوفي هو خطاب يقع جانب الدين (Parareligion) لاعتقاد كذلك فيه كثير من الخطأ، وهو أن الخطاب الديني، يشتغل بلغة حرفية لا مجال فيها للتخييل. لأن لغة أي نصّ، ومن ثمة بنيته، لا تعني إلا ما يقصده المرء من استخدامه لها، فاللفظة في اللغة غير اللفظة في الخطاب الذي لا يريد المتكلّم باستعمالها إلا معنى يقصده."[3]

ولا شك أن التصوف كان هو المعني في الكتابة الصوفية، ولقد عبّروا عنه بالطريقة، وهو اللفظ الذي دلّوا به على الطريق إلى الله، وهي بهذا المعنى أقرب إلى الموقف من الحياة، والسّعي نحو عالم خاص هو عالم الشعور، وليس "مجرد قواعد باردة يطبقها الصوفي في موضوعه دون أن يلزم حياته به

---

[1]ينظر –أبو سالم العياشي –ماء الموائد-ص:
[2]-ينظر المصدر نفسه –ص49.
[3]-ينظر:آمنة بلعلى –الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي –اتحاد الكتاب العرب –دمشق –دط-2011م- ص:20.

المبحث الثاني :القيمة الأدبية للرحلة العياشية :

ا-) أبو سالم الأديب :

تعتبر الرحلة خلاصة تجربة خاصة يتقمص فيها الرحالة دور الناقل لهذه التجربة، لذلك يحتاج إلى وسيلة لنقلها حيث وجب أن يتوفر فيها الوضوح والدقة، وقد كانت اللغة وسيلة طبعه في أيدي الرحالة لنقل هذه التجربة للناس، فأبو سالم العياشي أحد هؤلاء الرحالة الذين ملكوا ناصية اللغة بحكم تشبعه بثقافة إسلامية أصيلة وأيضا اتخاذها كوسيلة لاستنباط الأحكام الفقهية، لكن في هذا العنصر سوف نميط اللثام عن جانب مهم في هذه الشخصية وهو الجانب الأدبي.

فقد وهب أبو سالم العياشي " القدرة على نظم القصائد الشعرية وهي قصائد متنوعة الأغراض مختلفة القوافي ولا تخلو من المهارة الأدبية والتكوين اللغوي المتين إذ تمثل جانبا من جوانب شخصيته، فملك التعبير عن طريق النظم تتبنى أساسا على أساس الاستعداد النفسي والحفظ والاطلاع والممارسة، أي أنها جزء من التكوين العام، فشعره متنوع فقد نظم العديد من القصائد منذ صباه في كثير من الأغراض ومن الأمثلة في موضوع الغزل قوله:

ولم أنسها يقظانة الهم في الحشا مبلبلة الأشجان وسنانة الطرف

تقول وقد جد الرحيل أهكذا تحملني ثقل الفراق على ضعفي" [1]

[1] أبو سالم العياشي : اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر – ص54.

فأبياته تميزت بحسن السبك وجمال الألفاظ و هذا لا يتأتى إلا لأديب متمكن مطلع على دواوين العرب وخصوصا فحول الشعراء، وله أبيات أخرى أنشأها بأرض الحجاز متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم :

ولا نرتجي دنيا وأخرى يغيثنا******* سوا الهي أو حبيب يشفع

ولم لا ونحن مؤمنون بكل ما******** أتانا به إذ جاء بالحق يصدع

سمعنا وأطعنا واتبعنا وما لنا******** من الأمر إلا أن يقول فيسمع [1]

فقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب ينم عن استسلامه لما أمر به ونهى عنه وهذا جانب من شخصيته، والتي عبر عنها البعض من أشعاره فمثلا يقول عن الوفاء :

أجل صحابي أن أسيء لهم ذكرا ****** وأحمي لساني أن أقول بهم جهرا

وأمنحهم ودي ومن زل أو هفـا ****** فإن لم يجد عذرا جعلت له العذرا

وازهد في القول القبـيح تعمـقا ******* وصونا عن الفحشا ففعله أحرا

ولا يستفزني الهوى فأطيش إن ******* سمعت كلاما منهم يوغر الصدرا

لكن على الرغم من تمكن أبي سالم من اللغة وقواعدها البلاغية وبالرغم من موهبته فإن شعره يبقى مع اللون الأدبي الذي يعرف بشعر الفقهاء أو أدب الفقهاء [2]

---

[1] المصدر السابق– ص54.

[2] المصدر نفسه – ص54.

تميزت أشعار العياشي بالتوجه الديني وهذا عائد إلى فكرة الإصلاح ومحاولة الارتقاء بالمجتمع الإسلامي نحو الأفضل " وأشعاره كثيرة تصل إلى حدود ستة ألاف بيت جلها أمداح نبوية، فقد ذكر ابن سودة أن للعياشي أكثر من 40 قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم "[1] قال العياشي متحدثا عن هذه القصائد " ولم خف مرضي ووجدت بعض الراحة في أواخر جمادى الأولى وأوائل الثانية شرعت في تكميل الأمداح التي ذكرت أول الرحلة أني وضعتها على حروف المعجم، وكان التوجه إلى هذه الوجهة المباركة ببركة الشروع فيها، وكان الموضوع منها قبل الرحلة قبل الرحلة عشرة أحرف وبقيت عشرون فشرعت في تكميلها وأنا ملازم للفراش ...إلا أن هذه القصائد جاءت على طراز آخر ونمط غير الأول سيتين منها اللبيب ذو الذوق السليم أن الأول نفس محب طالت عليه الغربة وأذاب قلبه لاعج الشوق ،وأن القصائد الأخرى نفس محب وصل إلى محبوبه وتمتع بالتقلب في ربوعه وأطلاله "[2] قد كررت النظم وأعقب ذلك بالتفريق بين النظمين على طريقة النقد الحديث الذي يربط بين النظم والعاطفة وهذا دليل على امتلاك العياشي حس أدبي رفيع قل نظيره ومثيله في ذلك العصر.

البنية السردية للرحلة العياشية:

اخترنا الجانب السردي كعنصر مهم من عناصر الرحلة، وكونه دليل على خضوعها للجانب الأدبي، فهي أقدم السرود العربية على غرار المقامة أيام العرب، ورد على المشككين في قدرة العرب وضعفهم في الجانب القصصي، فارتأينا أن ننظر إليها كنص سردي مكتمل العناصر، يعتمد فيه صاحبه على

[1] أبو سالم العياشي – اتحاف الأخلاء بإيجازات المشايخ الاجلاء – ص63.
[2] أبو سالم العياشي- الرحلة – ج1- ص310.

الوصف، وهي مقياس لمدى قدرة الرحالة على صياغة أفكاره وفق ملكة لغوية معينة وعلى أساسها نحكم على لغته ، لأن في نهاية المطاف الملكة الأدبية نتاج للقدرة اللغوية للرحالة " أن دراسة العلائق بين السردي والوصفي لابد أن تعود في جوهرها إلى مراعاة الوظائف الحكائية للوصف أي للمهمة التي تنهض بها الفقرات أو المظاهر الحكائية للوصف أي للمهمة التي تنهض بها الفقرات أو المظاهر الوصفية في الاقتصاد العام للسرد فوظيفة الوصف هي ذات طبيعة تفسيرية ورمزية في نفس الوقت، فالصور الجسدية وأوصاف اللباس تتوخى عند بلزاك وأتباعه الواقعيين إثارة نفسية الشخوص وتبريرها في نفس الوقت"[1]فالرحلة قطعة وصفية لما عاشه وشاهده الرحالة .

تعتبر الرحلة عمل أدبي يقوم على استعادة أحداث ذات مغزى بالنسبة للرحلة، بعد امتزاجها بإصباغ الذاكرة والشعور واستعادتها كما وقعت بالفعل من حيث الحركة والسرعة والدقة أمر في غاية الصعوبة ولذلك تتشكل وفق لحظات الاستعادة ووفق المعالم المرصودة من قبل المؤلف والموكولة إلى السارد وفق الغايات المقصودة .[2]

وهذه الرحلات تشكلت في أزمة مختلفة ومتباعدة أحيانا وتشير إلى أحداث ذات مرجعية واقعية في معظمها وفي طياتها لا تخلو من وقائع تنتمي إلى عالم الخيال الذي يقود الأسفار إلى اللامرئي ، وبجانبها قد نجد كثيرا من الوهم والخرافة، فالرحلة فسحة في الزمان والمكان والمعارف البشرية ولابد من التنوع والاختلاف وإلا صارت مملة، فهي استجابة لخصوصية ذاتية الرحال.وبذلك

[1] رولان بارت ومجموعة من المؤلفين –طرائق تحليل السرد الأدبي – منشورات اتحاد كتاب المغرب –ط-1992-ص76-77.

[2]ينظر: إسماعيل رزدومي – الرحلة في الأدب المغربي القديم- ص37.

تتشكل هوية الرحلات بما تحمله من خصوصيات اجتماعية وأدبية وصوفية وتاريخية . [1] لذلك وجب النظر إليها على أنها نص سردي مكتمل العناصر يحتاج إلى التحليل والتدقيق .

لاكتشاف مكامن النص السردي للرحلة العياشية وجب إخضاعها للمناهج المعاصرة " للكشف عن أدبيتها وانتظامها من خلال تحليل بعض هذه العناصر ، وفي هذا المجال يمكننا القول أنه : ليست الموضوعات والأحداث هي المهمة وإنما الكيفية التي أطلعنا بها السارد على تلك الأحداث، وهذا ما يستوجب علينا معرفة آلية الرحلة وحركية الرحلة بالكشف عن مفاصلها."[2] وقد ألف الدارسون تقسيم النصوص إلى وحدات كبرى وصغرى ووحدات توزيعية وأخرى إدماجية، وأسس التقسيم قد تكون مبنية على المضمون الذي يمتد حتى يشمل الإنتاج كله وقد تكون ادنى من الجملة كما عند بارت (قرائن خاصة بالأشخاص تفيد عن هويتهم....)[3]

وقد يهدف التقسيم إلى استخلاص من العناصر الثابتة في مجموع من الحكايات كما عند بروب " نجد قيما ثابتة وأخرى متغيرة، وما يتغير هو أسماء الشخصيات وصفاتها في الوقت نفسه، وما لا يتغير هو أفعالها أو وظائفها، ويمكن أن نستخلص من ذلك أنه غالبا ما تسند القصة نفس الأفعال إلي شخصيات مختلفة"[4] ويشترط في هذه الوظائف :" أن تكون قائمة على التعميم والتجريد، وقد

---

[1] ينظر:ا لمرجع سابق -ص 37

[2] المرجع نفسه –ص37.

[3] رولان بارت – مدخل الى التحليل البنيوي للقصة – ترجمة د* منذر عياشي – مركز الانماء الحضاري – ط1- 1993 –ص145.

[4] فلاديمير بروب – مورفولوجية القصة – ت. د/عبد الكريم حسن – شراع للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق . ط1 – 1995- ص37.

نجح في إقامة نماذج ببنيات حكائية قابلة للتعميم مستخلصة من الحكايات الشعبية الروسية لكن الوظائف مرتبطة بمدى شموليتها لإشكال الحكي كلها..."[1]

وهذا النظام المنطقي السببي يتوفر في السرود التخيلية ويصعب إيجاده في السرود القريبة من التاريخ والواقع كالرحلات التي تقوم على فعل السفر الذي هو بنية ناظمة للرحلة قي تسلسلها الزماني المكاني، ومسهم من جهة أخرى في سبك مكونات الرحلة وخصائصها البنائية، وستعتمد في التقسيم على الإقامة والترحال بالإضافة إلى اهتمام السارد بما حوله مما يستتبع عنصرا ثالثا وهو الكم العلمي والفني المسرود في الوحدة.[2] وطبيعة السفر في الرحلة ليست مبنية على العقدة بقدر ما هي مبنية على الترحال الشامل للإياب والوصول ثم العودة، و ضمن هذه المفاصل الكبرى تنشأ حكايات ذات عقدة و أخبار ذات فائدة وآراء لا تخلو من صواب.[3].وكلها مشمولة بسمة المكان والزمان والموضوع ويؤدي وظيفة ما داخل السرد دون أن تكون مرتبطة بشخصية ما إن مثل هذه الأخبار والنوادر ينظر إلى وظائفها ويمكن ان تستغني عن الشخصية.[4]

فالمعطيات الواقعية والمتخيلة أساسا للإبداعات الفنية والرحلات تقوم على التعبير عن الواقع والمنجزات الكائنة والتفاعلات المختلفة معها، وبذلك تتقاطع فيها أنواع الخطاب المختلفة طعمها، وتوظف لغايات سردية يرتديها السارد فتصبغ الرحلة بصبغة مميزة.[5] لذلك لا نجد عنصر الخيال داخل الرحلة لأنها صاحبها

[1] إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم –ص38.
[2] ينظر:المرجع نفسه –ص 39.
[3] ينظر : المرجع نفسه – ص40.
[4] ينظر:المرجع نفسه –ص40
[5] ينظر:المرجع نفسه – ص40.

ينقل من واقع معيش، انطلاقا من أفكار ومعتقدات من خلالها يحكم السارد على الواقع الذي يراه ويعايشه .

وتقسيم النص يكون من قبل المؤلف إما على شكل أبواب وفصول أو على أساس زمني... وقد يكون مبنيا على الموضوعات والأفكار .[1]وهذا يعتمد على طبيعة و شخصية الرحال. وهذا الذي تعتمده في دراسة الرحلات وتحليل بنياتها والكشف عن نظامها ونضع في اعتبارنا أنه كلما كان السرد أكثر واقعية كان أشد التصاقا بالبناء التعاقبي الذي تهيئه الممارسة الحركية من نقطة البداية إلى نقطة النهاية لما فيه من تعميم، رغم أن انعدام الحبكة في الرحلات يعود أساسا إلى أن السرد أفقي ولا يحدث فيه تصاعد نحو قمة التشابك والتعقيد ... رغم أن حافز الرغبة في الوصول إلى المستوى النفسي .

من الواضح أن الرحلة شكل منفتح ومرتبط بالحركة والتنقل ولذا تعددت أحداثه وموضوعاته، وإذا كان بعض الدراسيين يرفضون أن تبنى المتخيلات على العقل، فإن هذه الملاحظة ستكون مفيدة جدا عند دراسة الرحلات، ورغم ذلك فإن الوحدات المتوالية والتي تتفاوت من رحلة وأخرى تشكل ما يمكن تسميته بالوحدة الشاملة للنص اكتماله وتفاعلاته أي أنها منسجمة فيشعر القارئ أن الكل متلاحم متآزر في سبيل نقل واقع تفاعل معه السارد ونقله إلى العالم اللغوي و إيصاله إلى الآخرين ، لذلك تبتدئ الرحلات في مقدمتها بالديباجة المألوفة من بسملة وحمد لله وذكر المنهج وبعض المعيقات، ثم الشروع في سرد أحداث السفر المألوف من

[1] ينظر: برنار فاليط – النص الروائي (تقنيات ومناهج) – ترجمة رشيد بنجد و- paris-nathan- 1992- ص87.

عناصر تطول وتقصر، يسردها السارد بعد أن أنجزها بالفعل وصارت بالنسبة له شبه ما تكون بالذكرى.[1]

وهكذا تبرز المسافة بين الإنجاز الفعلي وزمن التذكر والكتابة وقد يبالغ السارد المؤلف في إخفاء هذه المسافة، لكنها سمة تتعلق بالسيرة الذاتية القائمة على الاسترجاع، ومن خلال ما يسرده السارد تبين لنا أن الرحلة ذات مستويين : مستوى متعلق بالذات . فيما تفعله أو تقوله أو تعتقده، باعتبار هذه الذات شخصية تحمل مؤشرات معينة ومستوى اخر يتعلق بتاريخ المكان الذي يتحول باستمرار إلى مشروع سردي يتم فيه الحفر عن أفعال الإنسان المتراكمة عبر الأزمان فإن الرحال والأحداث والأقوال تستعرض أمام القارئ عن طريق الحكي المباشر للسارد أو عن طريق رواة آخرين .[2]

ومن هنا يبدأ تقسيم الرحلة العياشية إلى وحدات وفق الترتيب الزمني :

نقصد بالبنية تقسيم الرحلة وتقطيعها إلى متواليات كبرى تشتمل على عدة وحدات وكل وحدة كبرى تشتمل على وحدات صغرى، ووحدات أصغر، ذلك أن توفر العمل الأدبي على شكل خاص به هو الذي يميزه عن غيره .[3]

ـ الانتظام والترابط :

الرحلة في انتظامها خاضعة للتنقل وهي ذات خط واحد لذا يحكم متولياتها ويضمها إلى بعضها الرابط الزماني والمكاني اللذين ينظمان حركة السفرّ، فهي

[1] ينظر: إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأب المغربي القديم – ص41.
[2] ينظر:المرجع نفسه – ص41
[3] المرجع نفسه-ص 42.

ذات خط أفقي غايته الوصول إلى نقطة ما ثم العودة ونقطة البداية تحسب من الانطلاق حتى الوصول إلى الهدف .[1]

فالوحدات الكبرى في الرحلة العياشية تكون معنوية في منتصف السطر وبخط مغاير للمتن مثل الحجم (ذكر خروجنا من سجلماسة) والدارس لما يتتبع هذه العناوين كمعالم للوحدات باستمرار لأنه يجد بعض الوحدات مدرجة ضمن المتن بلا عنوان مثل (بلاد توات) الدخول (واركلا) وغيرها.وذلك أن السارد لا يعنون إلا المدن الكبرى وما يراه ذا بال، في حين اعتمدنا في تقسيم الوحدات على وجود السعة السردية، فكلما وجدنا حجما ورقيا في مدينة خصصنا له وحدة أو قد يمهد السارد بخطاب مناسب ليدخلنا في الوحدة الموالية.[2]

وكأن تقسيمه كان اعتمادا على المناطق الجغرافية التي يمر بها ويركز على المناطق والمدن المشهورة على غرار (سجلماسة ، توات) فحين كان بسجلماسة " اشتريت آخر بسجلماسة وأعطيت أفضلها الخيل لأمير الركب واستصحبت الثلاثة الباقية إلى توات، وكتب الأمير أيده الله إلى عماله فيما استقبلنا من البلاد أن يمدونا بالمحتاج من علف إلى توات"[3] وهكذا يمهد لدخول وحدة أخرى وهي توات .

و العياشي لا يحدد زمن الوحدة أو مدة البقاء وإنما يشير إلى ذلك كقوله :" ثم ارتحلنا قاصدين مدينة طرابلس" ثم يذكر" ذكر خروجنا الى طرابلس" [4]

---

[1] المرجع السابق -ص 85.
[2]ينظر: المرجع نفسه- ص86-87.

[3] أبو سالم العياشي – الرحلة – ص17.
[4]ينظر: إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص87.

ويمكننا القول أن الربط بين الوحدات في غاية المتانة مما يشعرنا بدقة التأليف ومراعاة الانتقال السليم من موضوع إلى آخر ومن مكان إلى المكان الذي يليه .[1]

أما الوحدات الصغرى فهي نظام آخر فلنقف قليلا عند الوحدة السادسة المعنوية ب(الرحيل من واركلا) إذ يستهلها بلا عنوان بقوله: "ثم ارتحلنا من واركلا يوم الاثنين" ويذكر المراحل والقرى التي مر بها ركب الحجيج ويكون دفع السرد بصيغة (ثم ارتحلنا) التي هي المحفز على الانتقال، ثم نجد لطيفة في قوله : " شاهدت من صنع الله في ذلك اليوم خروج النباتات من الأرض في تلك الليلة بذلك المطر وظهرت على وجه الأرض خضرة ولم نعهد مثل ذلك "[2]

صيغ الأداء : وهي متعددة يمكن حصرها كالتالي :

-الصيغ الدالة على الإقامة و الترحال مثل (ثم ارتحلنا –ثم سرنا ثم ذهبنا ، ثم تجاوزنا – وكان رحيلنا وكان نزولنا....)

-الصيغ الدالة على توثيق الخبر والحديث مثل : ومن ذلك، أخبرنا– وقد أخبرني– وقد ذكرني - وقد ذكر فلان – حدثني .....وهي صيغ إسنادية يمكن أن نضيف إليها وقد ذكر المؤرخون وقد قال بعض العلماء .

- الصيغ الدالة على التعليق والاستشهاد مثل : قلت ، وقد قلت، قال فلان، وهذا ما قلته، وفي ذلك قلت ....

[1] أبو سالم العياشي – اماء الموائد – ص20.
[2] المصدر نفسه –ص60.

-صيغ الشعر مثل : وكنت كثيرا ما أنشد، وفي ذلك قلت، وفي ذلك انشدت ...الخ "[1] ليعطي لكل صيغة طابعها الخاص وأسلوب في التعبير يناسب المقام من خلال اختيار الكلمات و التعابير المناسبة .

أما في تعامله مع الشيوخ فيستعمل " قرأت عليه ومما سمعته بقراءة غيري، ومما أفادنيه، و ذكر الأسانيد، ومن أسانيد الشيخ، ومن مروياته. وقد استجزته-إجازني فهذه أهم صيغ الأداء و هي في مجملها تحدد نوع الخطاب الذي يأتي بعدها من كونه سردا أو حوارا أو نقلا عن كتاب أو عن راو كما تحدد قناة التواصل من رؤية أو قراءة أو استماع،[2] وقد أشار د/سعيد يقطين إلى هذا التعدد بقوله " تعدد صيغ الأداء بتعدد المؤلفات ونوعها، وهذه الصيغ ذات إيحاءات خاصة ودلالات محددة وهي تستدعي دراسة متأنية لأنها تفيدنا كثيرا في تعيين أقسام الكلام و أوصافه...[3]

وهكذا أن السارد المؤلف يراعي صيغ الأداء في معظم الوحدات الصغرى وهي بمثابة روابط سردية تتيح له أن يواصل سرده وفق ما رآه، وهذه الصيغ هي على مدى ثلاث وعشرين صفحة في الوحدة المذكورة، تعتبر من معالم الخطاب وتنوعه من شعر ونثر ومن خبر ورأي وهكذا يمكن إجمال صيغ الأداء فيما يلي :

1 ـصيغ رابطة القول بالمكان والزمان.

2 ـصيغة رابطه القول بالشخصيات.

3 ـصيغ مبنية لنوع القول منشودا مكتوبا وشفويا .

[1] ينظر:إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الادب المغربي القديم –ص 88.

[2] ينظر المرجع نفسه –ص89.

[3] سعيد يقطين – الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)-المركز الثقافي العربي –بيروت –ط1-1997 م –ص158.

إلى جانب هذه الصيغ هناك روابط أخرى متعلقة بأفق الانتظار إذ جرت العادة أن الرحال يكتب رحلته بعد عودته، فكأن الرحلة بهذا العرف تجعل قارئها يتوقع الخطوات الهيكلية لها من ذهاب ووصول إلى البقاع المقدسة ثم عودة إلى نقطة الانطلاق ورغم ذلك فلا ندري إذا كان القارئ يتوقع أن تسرد له كتب كاملة وتنقل حرفيا[1] وهذه مهمة ألزم بها العياشي نفسه، وهذا ما سبب بعض الثقل المضني لمتن الرحلة العياشية، حيث أن تراكم المعارف وخوض العياشي في بعض المسائل الخلافية وخصوصا في مجال الفقه، يصيب المتلقي بعض الملل إن لم نقل النفور.

3- الشخصية في الرحلة العياشية :

إن الشخصية في الرحلة العياشية هي السارد لهذه الرحلة والمتكلم بضمير المفرد، ويعتبر محركا رئيسيا لأحداثها أن مفهوم الشخصية " يخضع خضوعا كليا لمفهوم الفعل فأرسطو يقول ربما تكون هناك حكايات خرافية من غير سمات شخصية، ولكن لن تكون هناك سمات شخصية من غير حكاية خرافية، ولقد تبنى المنظرون الكلاسيكيون هذه النظرة (فيسيوس) واتخذت هذه الشخصية التي لم تكن حتى تلك اللحظة سوى إسم وعامل للفعل فيما بعد، كثافة نفسية وأصبحت من ثم فردا وشخصا أو باختصار لقد أصبحت كائنا متكونا تكونا كاملا حتى وإن كانت لا تقوم بأي عمل من الأعمال وكذلك من قبل أن تتصرف إي تصرف"[2]

[1] ينظر : إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب العربي المغربي القديم – ص91-92.
[2] رولان بارت – مدخل للتحليل البنيوي للقصة – ترجمة د/منذر عياشي –ص62.

لذلك فشخصية السارد لها أهمية كبرى بالنسبة إلى النص الرحلي من خلال الكشف عن إديولوجيتها وفكرها، ويمكن تحليل الشخصية وفق عناصر وأسس أربعة هي :

- النظر إلى الشخصيات كما هي مقدمة من خلال مختلف تجلياتها وإبعادها المحققة- الصفات – الأفعال – المقاصد.
- ربط هذه الشخصيات بالوظائف الأساسية والمركزية.
- اختزال الشخصيات المتعددة والمتراكمة بحسب علاقاتها بالأفعال التي يقوم بها أو تقع عليها إلى مجموعات بهدف استجلاء بنيتها المشتركة والمختلفة .
- البحث في العلاقات التي تربط بينها في مجرى الحكي [1]

ولكثرة نعدد الشخصيات بأنواعها وصفاتها إلى درجة تسمية سعيد يقطين إياها بإمبراطورية الشخصيات بطرح السؤال التالي كيف يمكن ضبط هذه الشخصيات وحصرها وكيف يتأتى لنا رصدها وتنظيمها، وللإجابة على هذه الأسئلة يعمل على تصنيف تلك الشخصيات إلى ثلاثة أنواع :

- شخصيات مرجعية .
- شخصيات تخيلية .
- شخصيات عجائبية .[2]

[1] بشير بوسنة- إسهام سعيد يقطين في الوعي بالتراث السردي – مذكرة لنيل درجة ماجستير – جامعة مولود معمري بتزي وزو -2013- اشراف كوزة بعيون – 129.
[2] المرجع نفسه – ص129.

سمات الشخصية :

نجد في المظهر الخارجي بعض الإشارات المتناثرة ففي موقف فراق الأهل ينفعل إلى درجة انسكاب الدموع، وهو موقف عاطفي وجداني، ويتكرر هذا الموقف حين يشاهد أهل المدينة وقد خرجوا يتنزهون على جانبي وادي العقيق فيشده الحنين إلى الأهل [1] فيقول " وقد حضرني أبيات ونحن على شاطئه مع جملة من أصحابنا :

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى ****** فلا تسل سائلي عما هناك جرى

اذكـــــــرني زمنا عند الذين بهم ****** أفاخر الشهب في وس الدجى سحرا

قومــــــي وأهلي ومن ألبست بينهم ******* شرخ الشبـــاب نظيفا طيبا عطرا ".[2]

ونشاهده في أكثر من موقف يصرح بأنه لا يستطيع المشي راجلا أو لا يستطيع إن يلتحق بالركب إلا بعد عناء شديد رغم أنه حج مرات قبل هذا التصريح [3]

ومما يمكن الإشارة إليه وإلى مظهره الخارجي حديثه عن مرضه وهو بالمدينة فقال " فطال بي المرض فمنعني من الوصول إلى المسجد....بل آل بي أن عجزت عن الخروج إلى الجمعة فضلا عن غيرها من الصلوات ....وفي أثناء المرض قام بشؤوننا أصحابنا المغاربة فيما يحتاج إليه من أدوية وشراء

---

[1] ينظر:إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص172 .

[2] أبو سالم العياشي – الرحلة – ج1–ص272.

[3] إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص172

الأطعمة....."[1] فهو كثير ما يشير إلى ما اعتراه أثناء إقامته ليعذر المتلقي عن تقصيره.

هذه بعض المؤشرات الدالة على المظهر الخارجي للشخصية الرئيسية التي تماهت مع السارد تماهيا كليا ، ولعله من المفيد أن نشير إلى بعض الأشياء التي تساعد السارد على النجاة من ذلك البحث المضني على الوسائل التي تساعده على السفر [2] قال " وأخذنا في جمع أسباب السفر وأهمني أمر الرواحل إذ لم يكن عندنا منها شيء"[3] إلى جانب الأخبية والأمتعة ولكنه لا يستقصي في وصف الأشياء.

فالرحلة لا تعيننا بالشكل الكافي لتتبع أوصاف تمظهر الشخصية المحورية وما هذه الإشارات إلا لمع أوردناها بعد تقص شديد للإيفاء بمقتضيات التحليل أما حين الانتقال إلى الفعل فسنجد أن الشخصية هي التي تقوم بمعظم الأفعال و القول وهذا ما يفرض علينا بالمقابل الا نقف عند كل فعل، وإنما ننتقي ما له دلالة تسهم في تمثيل الشخصية [4] ويمكن توصيفها من خلال بعض المواقف :

- **الحرية والشجاعة :** ونقصد بذلك قوة العزيمة لتحقيق المطالب والرغبات، والصبر في سبيل تحقيق ذلك، وهذا ما نلمسه أثناء تصفحنا لمتن الرحلة فنجده "جادا في الالتحاق بالركب إذ قد يتخلف لقضاء مأرب ثم يجدّ في السير ليلتحق وقد تقهره الظروف فيقطع المسافات راجلا، وبالمقابل قد يمارس دور المحامي للركب أو المشارك في الحماية فيستعد للمقاتلة مع اللصوص ويسير خلف الركب لحمايته

---

1 أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية–ج1-ص58.
2 إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص172
3 أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية– ج1- ص58.
4 إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص173

وتقديم المساعدة للمتخلفين عن السير"[1] وهذا دليل على أن العياشي يملك حس الجماعة أو الشعور بالآخر، رغم ضعفه الذي صرح به .

- **المجاهدة :** يعد مصطلح المجاهدة مصطلحا مرتبطا بالفكر الصوفي الذي يتبناه العياشي، "فتزكية النفس فرض عين من باب (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب) قال الشيخ عبد الغني النابلسي : (المجاهدة في النفس عبادة ولا تحصل لأحد إلا بالعلم وهي فرض عين على كل مكلف، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة لتغيير صفاتها الناقصة وتبديل عاداتها المذمومة، وإلا لم يكن هناك فائدة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ضرورة لمن بعده من العلماء، وليس المراد من المجاهدة مجاهدة النفس استئصال صفاتها بل المراد تصعيدها من سيء إلى حسن وتسيرها على مراد الله تعالى و ابتغاء مرضاته ..."[2] وهي بهذا محاولة لتطهير النفس مما علق بها من إدراك عن طريق التصفية و هو سلوك انطبع على شخصية العياشي .

ومن دلالاتها نجده يقرأ القرآن باستمرار قرب الأضرحة متوسلا بالأولياء ملتمسا البركة والتوفيق والرعاية، كما يلتزم بالأوراد والوظائف الخاصة به، وبوظائف بعض الشيوخ في زواياهم ويزور المشاهد الخاصة بالعلماء والأولياء وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في أمكنة متعددة يزورها أحيانا، والتلقين من علماء يعتقد فيهم الصلاح ويعتز بكونه أخذ عنهم أصول الطريق.[3]

---

[1] المرجع سابق –ص173

[2] عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف- موقع الطريقة الشاذلية الزرقاوية – د ط –، د ت –ص 58.

[3] ينظر : إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم –ص174.

ومجاورته لهذه الأماكن ذات دلالة قطعية على انه شخصية زاهدة في الدنيا منقطعة عن أسبابها، وهي ترجو الخلاص والنجاة وتجعل من طلب العلم والحصول على البركة أسس غاياتها، قاطعة حبل الوصال مع كل ما هو دنيوي .

- **التسامح :** ويقصد به كون العياشي شخصية مرنة، يتعامل مع كل أطياف المجتمع، ويتأثر بالذبذبة الاجتماعية سلبيا وإيجابا، فهو "يشارك العلماء في مختلف البلدان فهو حريص كل الحرص على ملاقاتهم والاستفادة منهم وإفادتهم، وتظهر عليه ملامح التسامح والموضوعية، فيستأثر بقلوب الناس فيلحون عليه في التدريس فيجيب أحيانا ويعتذر أحيانا أخرى، كما يعقد أخوة إيمانية مع الكثير منهم، ومن ذلك ذكره لبعض من لقيهم من شيوخ ......[1] " وممن لقيه من مشايخنا في ذلك اليوم الشيخ عبد الجواد الطريني ووجدناه قد أسن وهو مع ذلك ملازم لباب خلوته في الجامع........"[2] فكان لا يترك عالما ولا صالحا إلا وطلب لقاءه.
- **الناقد:** يتضح الجانب النقدي " في شخصيته أبي سالم من خلال ممارسته لمختلف الأعمال كالتأليف والتدريس والوعظ وأول ما يظهر في تعامله مع الناس هو طرحه للأسئلة وإبداء الملاحظات ورصد الإمكانات الثقافية لكل بلد، بالإضافة إلى كتابة بعض المؤلفات التي بناها أساسا على فكرة انتقادية، فعلى سبيل المثال يرى أبو سالم أن المناصب الشرعية في البلاد المشرقية تنال بالشراء ولا تراعي في ذلك مصلحة الفرد ولا مصلحة المسلمين وخاصة منصب القضاء

[1] ينظر المرجع السابق – ص174
[2] أبو سالم العياشي -الرحلة العياشة(ماء الموائد)– ج1- ص228

الذي قال في شأنه [1]:"فما رأينا ولا سمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعا وإنما مدار أمرهم على الرشا جهار"[2]

فالعياشي ينتقد ما يخالف منهجه وإيديولوجيته دون موارية وبكل موضوعية، لذلك نصطدم في ثنايا الرحلة بالعديد من الملاحظات في مختلف المسائل الدينية واللغوية- والاجتماعية وحتى الشؤون الاقتصادية وبعض المناحي الجغرافية، وهذا لا يتأتى إلا لمن يملك رصيدا معرفيا متنوعا كأبي سالم العياشي.

فالعياشي ينقل القول الغريب ولا يكتفي بسرده وإنما يعلق عليه كاشفا مزاعم الناس فيما يبنونه من معتقدات قد تكون واهية، مما يدل على تمتع هذه الشخصية بمنهج عقلي منطقي في قبول الإخبار ورد الزائف منها، ملمحا إلى سرعة الناس في تفسير الظواهر الغربية تفسيرا غيبيا، كما تتحلى شخصيته الفكرية من خلال مناقشة جملة من الأفكار والمعتقدات الواهية، فيقابل بين الحقيقة والخرافة، وبين السنة والبدعة، من خلال استعراض الآراء والنصوص الثابتة للرد على كل انحراف، ويقابل بين طباع المشارقة والمغاربة في الجوانب الايجابية والسلبية بلا تحيز [3]

بعد تحليلنا لأهم ملامح شخصية العياشي من حيث وظيفتها ذو وظائفها العاملية نستنتج :

العياشي رجل حسن المعاشرة مع أهله ومع الركب، ورفيق يتولى مصالحهم ويشرف على أمنهم بتعريض ذاته للمهالك، شديد التعلق ببركات الأولياء

[1] أبو سالم العياشي – اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –ص49.

[2] أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية(ماء الموائد)– ج1- ص288

[3] إسماعيل زردومي – فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص176

وكراماتهم وكل من يوصف بالصلاح من الأحياء وهو شديد الاقتناع بآراء السنة والجماعة في غير انحياز رافضا آراء الخوارج والشيعة.

أما في مجال التصوف فيقبل من الجميع آراءهم باعتبارها آراء صادرة عن أحوالهم ويناقش الطرق ويستفيد منها ويسدي النصيحة لإخوانه في كل مناسبة.[1]

البنية الزمنية للرحلة العياشية:

يهتم الدارسون بمسألة الزمن، فكل ينظر إليه من الزاوية التي تناسب الهدف الذي يصبو إليه، وقد أخذ حيزا كبيرا عن النقاد المهتمين بالدراسات السردية فهو عنصر هام وأصيل بالنسبة لهم، وأطلقوا عليه اسم الزمن السردي (زمن الحكي) " فالتعبير يوجد في كل ما يتغير بينما يوجد الزمان في كل شيء على السواء يمكن أن يكون التغيير سريعا أو بطيئا بينما لا يمكن للزمان أن يتضمن السرعة لأن لا يكون مهددا بأن يعرف نفسه ما دامت السرعة تنطوي على الزمان، يقول أرسطو " حين ندرك الحركة فإننا ندركها والزمان معا، وبالعكس أيضا حين يعتقد أن بعضا من الزمان قد انقضى يبدو لنا أن حركة معينة أيضا قد حدثت معه"[2] فيستبعد أرسطو مسألة تجرد الزمان فهو مصاحب لحركة ما فإذا لم يكن هناك إدراك للحركة فلا وجود للزمان ذاته من دون الحركة إذا الزمان ليس هو بحركة ولا مستقل عن الحركة "[3]

---

[1] المرجع السابق –ص 182.

[2] بول ريكور- الزمان والسرد- تر/ سعيد الغانمي- دار الكتاب الجديدة المتحدة- ط1-2006-ج3-ص21.

[3] المرجع نفسه – ص21.

والزمان في تعاقبه قائم على ثنائية (قبل وبعد) أي الزمان الماضي والمستقبل حسب رأي أرسطو في تعريفه لمسألة الزمان .[1]

بعد ثنائية الماقبل والمابعد، والحاضر واللاحق- الماضي والمستقبل، من المفاهيم المرتبطة بالزمان في تعاقبه، ففي لحظة السرد والحكي يكون السارد بين هذه الثنائيات المتلازمة وهي " تقسيمات أساسها الذاكرة والتوقع فالذات في الحاضر تبني تميزها للزمن على أساس تذكر الماضي وتوقع المستقبل إلا أنها تتعرض للخطأ والنسيان وغيرهما من معيقات جودة التذكر الذي ينتج عنه عدم دقة الحكي أو الكتابة، لهذا تستعمل الصيغ اللغوية الدالة على فك الزمن في سروده كما قدمت للقارئ مروية أو مكتوبة إلا أن السارد حين يسرد حكايته لا يفعل ذلك بفضل ذاكرة جيدة بل يرى الماضي بفضل ملكة تفوق الملكة الإنسانية"[2]

علينا أن نفرق في حديثنا عن الزمن بين زمانين أولا : الزمان المتخيل أو زمن المتخيل السردي وهو ينبني على عناصر من نسج الخيال تخدم هدف الراوي أو السارد، والثاني الزمن الواقعي وهو مدار أدب الرحلة الواقعية (السفر)، حيث يكون الزمن في الرحلة واقعيا، لأن السارد أثناء تدوين الرحلة يكون في حالة تذكر لوقائع ماضيه، وقد يختلف في بعضها وهذا ما أشرنا إليه سابقا من كون الزمان يتأثر بالذاكرة وما يعتريها من نقص أو يصيبها من وهم .

ويرى الدارسون أن" الزمن السردي المتصور كتتابع خطى الأحداث ليس إلا تشيدا اصطلاحيا ملائما، على نحو تداولي على حد سواء، فزمن النص إشكالي أنه بعد مكاني وليس بعد زماني...فليس للنص سلطة زمنية سوى تلك التي يستقيها

[1] ينظر :المرجع السابق- ص23.
[2] ينظر : إسماعيل زردومي- فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص315.

على نحو كتابي من عملية القراءة في الواقع إذا ما تخيل عليه مناقشات زمن النص هو التنظيم المكاني الخطي للقطع اللسانية ضمن السلسلة المتصلة للنص وبالتالي قد لا يكون كل من زمن القصة إلا زائفا زمنيا على الرغم من ذلك، وما دمنا نتذكر طبيعتها الزائفة فكلاهما يظل تشييدا مفيدا لدراسة وجه مهم للقصة ."[1]

فالزمن بالنسبة للنص قد يكون وهمي يستفيد السارد من عوالم الخيال لكن رغم ذلك يأخذ بعدا قريبا للواقع، وهذا نوع من المشاركة يمكن أن يعقدها السارد مع المتلقي حتى يعيش معه التجربة.

فالزمن أنواع" فهناك زمن القصة أو الحكاية وزمن الخطاب أو زمن الحكاية فهو الزمن الذي تستغرقه الأحداث في تسلسلها الطبيعي في الواقع المفترض وفق النظام الطبيعي للزمن، وبعبارة أخرى فإن زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، ولنقل بصورة أخرى أن الزمن كالخيط الذي ينظم الأحداث ويكون مستقيما خارج النص، ولكن داخل النص يمكن أن يلتوي ...."[2]

النظام الزمني :

يعتبر النظام الزمني للسرد نقطة فاصلة تميز الأعمال القصصية، فـ" الإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، ذلك أن الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في تركيب زمن السرد من مكانها الطبيعي في

[1] شلوميت ريمون كنعان – التخييل القصصي – تر/لحسن حمامة- دار الثقافة الدار البيضاء –ط1- 1995 –ص71.
[2] د/ركان الصفدي- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري- منشورا ت الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق – دط -2011- ص340-341.

زمن القصة، وهناك أيضا إمكانية استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي، وهكذا فإن المفارقة إما تكون استرجاعا لأحداث ماضية أو تكون استباقا لأحداث لاحقة"[1] وهذا ما نلمسه في البرنامج الزمني للرحلة الواقعية فهي تقوم على استرجاع أحداث ماضية أو استباقا لأحداث أخرى بناء على معطيات معينة .

ورغم الخصوصيات السياقية للزمن فان الصيغ لا تفقد دلالاتها إذ أن القدرة على الترهين والتحيين الزمني الذي يقدمه السارد بناءا على نقطة الانطلاق والفقرات إلى الأمام و الاسترجاعات إلى الوراء تتعدى الزمن اللفظي في حدوده اللغوية ولكن لا تلغيه وهذا ما يدفعنا إلى أن نثير قضية الزمن السردي والزمن الطبيعي أي الزمان التاريخي وزمن السرد أو الكتابة.[2] و يرى الباحثون أن" الزمن السردي والزمن المتصور كتتابع خطي للأحداث ليس إلا تشييدا اصطلاحيا ملائما على نحو تداولي على حد سواء.. فليس للنص القصصي سلطة زمنية سوى تلك التي يستقيها على نحو كتابي من عملية القراءة في الواقع ..."[3]

تشكلات الزمن السردي في الرحلة العياشية :

وفي سياق دراستنا لزمن الرحلة العياشية وجب الاعتماد على الوسائل الإجرائية في تحليل السرد المتخيل وتطبيقها على السرد القريب من الواقع، ويتناول الزمن برؤى مختلفة إذ أن العمل المسرود يشتمل على عدة أزمنة منها الأزمنة الخارجية(خارج النص) كزمن الكتابة وزمن القراءة ووضع الكتاب

---

[1] د/ حميد لحميداني- بنية النص السردي – المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع بيروت – ط1- 1991 –ص74.

[2] إسماعيل زردومي –فن الرحلة في الادب المغربي القديم –ص316.

[3] شلوميت ريمون كنعان- التخبيل القصصي – ص71.

بالنسبة للفترة التي يكتب عنها والقارئ بالنسبة للفترة التي يقرأ فيها، والازمنة الداخلية (داخل النص) وهي الفترة التاريخية ووضع الأحداث ووضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث وتزامنها وتتابعها، والزمن الداخلي الذي هو شغل الدارسين أكثر من غيره [1]

وقد اقترح أحد الباحثين وهو جيرار جنيت- أن يدرس الإيقاع الزمني من خلال التقنيات الحكائية التالية:

الخلاصة : وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل.

الاستراحة : تكون في مسار السرد توقعات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف عادة يقتضي انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها

القطع : يلتحي إليها السارد لتجاوز بعض المراحل مكتفيا بقول مرت سنتان...الخ

المشهد :يقصد به المقطع الحواري الذي يأتي في تضاعيف السرد.[2]

تحتوي الرحلات كغيرها من النصوص السردية على أخبار وحكايات وغرائب وفق تسلسل زمني معين، فهي" تتصل ببعضها ويتولد بعضها الآخر سرد ذو امتداد طولي متزامن أو يلتحق إلى الوراء أو يثب إلى الأمام، وهذا ما يجعل السير الزمني غير منضبط بشكل حصري إذ يصبح متذبذبا بوعي وإدراك من السارد وبغيرهما، ذلك أن السارد، ذلك أن الزمن وعي خفي لكنه متسلط

[1] المرجع سابق –ص317

ينظر:إسماعيل زردومي –فن الرحلة في الأدب المغربي القديم -317. [2]

ومجرد ،لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة"[1] وهذه السلطة تجعله يفرض نفسه على من لا يعي كنهه.

لذلك تخضع بنية الرحلة العياشية من الناحية الزمنية لشخصية السارد، فهو الذي يعطي الإطار الزمني للرحلة، من خلال ما تقوم به هذه الشخصية من أفعال وما تنجزه من أقوال وأشعار وغيره فهو المتحكم في الفضاء الزمني والمكاني أيضا. تحمل هذه التركيبة الزمنية لرحلة العياشية في العناصر التالية :

ا- **الترتيب** : ويتمثل في ترتيب الوحدات ترتيبا أفقيا في الوحدات الكبرى (الانطلاق- الذهاب- الوصول) إلى البقاع المقدسة- العودة – الوصول إلى نقطة الانطلاق وليس فيها أي مفارقة زمنية بين خط سير الأحداث ،وخط قراءة الخطاب كالشكل التالي :[2]

تمهيد	الذهاب	الوصول الى البقاع	العودة	عودة الى نقطة الانطلاق

وهناك وحدات صغرى، حددها العياشي في أغلب الأحيان حسب المناطق التي زارها وأحيانا تبعا للأحداث المتسلسلة ويبلغ عددها " اثنين وستين وحدة مرتبة ترتيبا تتابعيا مثل (دخول توزر- الخروج منها) دخول بسكرة الخروج

[1] د/ عبد المالك مرتاض- في نظرية الرواية- المجلس الوطني للثقافة والفنون- الكويت- دط – 1998م – ص201.
[2] ينظر:إسماعيل زردومي- فن الرحلة في الأدب المغربي القديم – ص347.

منها، فهي من أغراض الرحلة التي تسعى إلى تحديد معالم طريق الحج، محددة تحديدا زمنيا، وذكر الصعوبات التي تواجه المسافر والحاج"[1]

فعلى سبيل المثال يذكر العياشي في إحدى الوحدات هذه المهمة وهي تحديد معالم السفر قوله "ذكر خروجنا من بلاد اوكرت... كان رحيلنا من هذه البلاد صبيحة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادي الأولى قاصدين إلى (واركلا) وخرج معنا جملة من أهلها قاصدين الحج واخذنا على طريق وادي امكيدن، ومعنا رجل من عرب الخنافسة اكتراه أمير الركب يدلهم على الطريق، ومواطن المياه كثيرة في هذا الوادي، قل ما يخلوا يوم من منهل وماؤه عذب غزير"[2]

ثم يسترسل ذاكر الصعوبات التي واجهوها مع هذه المنابع " إلا إننا وجدنا غالب المناهل قد دفنها أولاد محمد عرب توات خائفين من عدوهم من سعيد أن يغيروا عليهم فطمسوا ما في طريقهم من الماء لأجل ذلك....وسرنا في أيام بلغ بردها الغاية... إلى إن نزلنا عاشر يوم في قرية يقال لها والا ...."[3] فذكر الصعوبات مع تحديد الزمن الذي يستغرقه أثناء الترحال كان مقصدا شريفا للرحلة العياشية، حتى أنه يشير إلى بعض النزاعات التي قد يجد المسافر نفسه طرفا فيها دون قصد فيضيع عن مقصده .

ففي هذه الوحدة (ذكر خروجنا من بلاد أوكرت) نلاحظ الترتيب الزمني جليا، فبدأ بذكر تاريخ الخروج من بلاد أوكرت (يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادي الأولى...) ثم ذكر الوجهة بلاد (واركلا)ن والطريق المناسب (طريق وادي امكيدن)، والصعوبات ومنابع المياه، وصوله إلى قرية (والا) بعد عشرة أيام من

[1] ينظر :المرجع السابق –ص347-348.
[2] أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية (ماء الموائد)– ص107.
[3] المصدر نفسه –ص107.

المسير- ثم ارتحل من قرية (والا) في وقت الضحى بينها وبين القليعة و سرنا نصف يوم.

- ثم ارتحلنا منها وأخذ الناس ماء أربع ليال.
- ثم ارتحنا غدا وطلعنا الحماد.
- ثم بتنا تلك الليلة وقد قل الكلأ.
- وتراءى لنا نخل واركلا .
- دخلنا المدينة عشية الخميس.

إلى أن ينهي هذه الوحدة وتبدأ وحدة أخرى وهي (ذكر خروجنا لمدينة طرابلس) [1]

وعلينا ونحن بصدد الحديث عن الزمان علينا التفريق بين زمانين هما : الزمان المعيش والزمان الكوني حيث يرى بول ريكو " أن هذه الصيغة الثالثة من الزمان هي بطرق كثيرة مجرد ظل يلقيه على ممارسة المؤرخين... والوظيفة الأساسية لهذا الزمان العظيم هي تنظيم زمان المجتمعات وزمان الكائنات البشرية"[2]

ولنفصل بشيء من الشرح والتحليل في مسألة مهمة لها علاقة بالزمان، وهي تعطي فكرة عن السيرورة الزمنية لرحلة العياشي ألا وهو الاستغراق الزمني- فلم نجد " مقابلا دقيقا لمصطلح (la dure) يكون محملا بالمعنى المطابق لما يقصد به الذات في مجال الحكي سوى هذا التركيب والاستغراق الزمني لأن الأمر يتعلق بالتفاوت النسبي الذي يصعب قياسه بين زمن القصة وزمن السرد، فليس هناك

[1] أبو سالم العياشي – ماء الموائد -107-134.
[2] بول ريكو- الزمان والسرد – تر- سعيد الغامدي- دار الكتابة الجديدة – ط1- 2006م- ج3- ص154-155.

قانون واضح يمكن من دراسة هذا الشكل، إذا يتولد اقتناع لدى القارئ بأن هذا الحديث استغرق مدة زمنية تتناسب مع طوله الطبيعي أو لا تتناسب، وذلك بغض النظر عن عدد الصفحات التي تم عرضه فيها من طرف الكاتب أي أنه لا عبرة بزمن القراءة في تحديد الاستغراق الزمني...."[1] وبالتالي يستبعد إمكانية دراسة الاستغراق الزمني وفق الأحداث كما حددت بالفعل ولكن " يمكن ملاحظة الإيقاع الزمني ممكنة دائما بالنظرإلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها"[2] ولهذا نأخذ باقتراح جيرار جينيت لدراسة الإيقاع الزمني من خلال التقلبات الحكائيةالتالية : الخلاصة- الاستراحة- القطع – المشهد وسوف نخضع الرحلة العياشية لهذه العناصر لمعرفة الإيقاع الزمني .[3]

الخلاصة :

وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر [4]

فمثلا يذكر العياشي وهو يهم بالخروج من بلده قاصدا الحج

" خرجنا من بلدنا والعجلة لنا حادية وعناية الله هادية صبيحة يوم الخميس ... وبعد صلاة الصبح من يوم الخميس خرجت إلى زيارة قبر الوالد رضي الله عنه.... ثم خرجنا إلى مخيمنا حيث الخباء والرحل، ثم زرنا قبر الوالي الصالح سيدي عبد الله الماعزي الفادسي.... ثم أخذنا في الترحال عند طلوع الشمس"[5]

[1] حميد لحميداني –بنية النص السردي- ص76.
[2] المرجع نفسه –ص76
[3] ينظر:المرجع نفسه–ص76
[4] ينظر:المرجع نفسه –ص76
[5] أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية(ماء الموائد)- ص74

فالملاحظ للوهلة الأولى أن العياشي يسرد أحداثا بشيء من التفصيل يبدو للقارئ أن زمنها السردي مطابق للواقع، لكن في حقيقة الأمر لو دققنا في تفاصيل كل حدث لوجدنا الزمن يتجاوز حدود التعبير عليه، فمثلا قوله " زرنا قبر الوالد رضي الله عنه"، في الواقع زمن الزيارة أكبر بكثير مما يبدوا عليه زمن السرد، وهنا نلمس الخلاصة كعنصر مهم في اختصار الأحداث التي جرت في وقت كبير وهذا يساعد المتلقي على الاندماج مع الحكي.

ثم في مقطع آخر يسترسل العياشي في رحلته معتمدا على التلخيص" ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا الأحمر ضحى وتسوقنا أولئك الأعراب بإبل في غاية السمن وغنم أخذ منها الناس حاجتهم...."[1] فالتلخيص الزمني للأحداث يجعل المتلقي عن وهم الزمن الحقيقي، ويبدو له الأمر مناسبا لما يقرؤه.

الاستراحة :

وتكون في مجال السرد وهي عبارة عن متنفس للسارد إن صح التعبير وهي " توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف عادة يقتضي انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها. غير أن الوصف باعتباره استراحة وتوقفا زمنيا قد يفقد هذه الصفة عندما يلتجئ الأبطال أنفسهم إلى التأمل في المحيط الذي يوجدون فيه، وفي هذه الحالة قد يتحول البطل إلى سارد..." [2]، والرحلة العياشية كنص سردي تحتوي على العديد من المقاطع الوصفية، لأن العياشي كان يملك قدرة فائقة على وصف ما يثير انتباهه، فعلى سبيل المثال يصف مدينة طرابلس وقت دخولها مع ركب الحج " وهي مدينة مساحتها صغيرة

[1] المصدر السابق – ص196.
حميد الحميدان- بنية النص السردي- ص 76. [2]

وخيراتها كثيرة ونكابتها للعدو شهيرة ومآثرها جليلة ومعايبها قليلة أنيقة البناء فسيحة الفناء عالية الأسوار، متناسبة الأدوار واسعة طرقها سهل طرقها، إلى ما جمع أهلها من ذكاء الأوصاف وجميل الإنصاف، وسماحة على المعتاد زائدة وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة...."[1]

فوصفه سليم بجميع النواحي ابتدءا من بياياتها وصولا إلى سكانها وطبائعهم، فالوصف بالنسبة للعياشي تقرير بيت فيه خلاصة مشاهدته دون زيف.

من خلال هذا المقطع نلاحظ فرقا واضحا بين السرد والوصف لكن التفريق بينهما على المستوى العلمي بسيطا" وهذا ما جعل جيرار جينت يعكف على دراسة طبيعة كل من السرد والوصف وقد وجد أن القانون الذي يخضع له السرد يخالف من ذلك الذي يخضع له الوصف، فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف فإنه من العسير أن نجد سردا خالصا ....."[2] وهذا دليل على أن الراوي يلجأ إلى الوصف لقطع التعاقب الزمني، بل إنه يعطي للمسرود قيمة خاصة في نفس المتلقي .

وقد يصف العياشي الشيوخ ذاكرا مآثرهم " وهذا الشيخ رضي الله عنه من أحسن ما رأينا سمتا وعقلا وأصدقهم قولا وفعلا.... حسن اطلاع...حمدت سريرته..."[3] ولم يكتف أبو سالم بأوصاف البلدان والعلماء بل تعداه إلى الطبيعة، حيث يصف بعين الرحالة الجغرافي " وأرض الحجاز معروفة بكثير من البرق،

[1] أبو سالم العياشي- الرحلة العياشية (ماء الموائد)-135.

[2] جيرار جينيت- خطاب الحكاية- تر/محمد معتصم وآخرون- المجلس الأعلى للثقافة-ط2- 1997م- ص78.

[3] أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية(ماء الموائد)- ص137.

وكثير من الحجاج يصرون على أنها أنوار" [1] "ثم سرنا من ينبع إلى فناء في فضاء ورمال وآكام وجبال حتى وصلنا إلى الأبرقين وهي كناية على جبلين مفترقين أحدهما رمل صاعد، والأخر رملا وجلامد...."[2] هذه التوقفات الوصفية المتنوعة تعطي للسرد قيمة، وتكبح اندفاعه.

وقد تتجسد الاستراحة كتوقف زمني عند العياشي في مظاهر آخرى عدا المشاهد الوصفية فعلى سبيل المثال تعد الوقفات الشعرية المختلفة الأغراض استراحة، حيث تجعل القارئ والمتلقي ينسى السياق السردي، رغم أن هذه الوقفات الشعرية غالبا ما تكون مناسبة للحكي أو سرد الأحداث، منها قوله منا جياربه سبحانه وتعالى:

ياحي ياقيوم ياذا الجلال***صل على محمد ذي الجمال

مسلم عليه وارض عن اله***وصحبه أفضل صحب وآل

واغفر لذا العبد أوزاره**** وزكه في حاله و المآل

وكن له عونا على دهره*****وحطه في دنيا ومال

وبلغ المأمول من حجة*****وزورة بها المرام ينال

ويسر الأوبة في الأهل وفي**** عافية ليس لها من زوال [3]

بالإضافة إلى توقفات أخرى عنونها أبي سالم ب تجربة ـلطيفة منها " أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل سنة أربع وستين في الرحلة التي قبل هذه.... أنهم

---

[1] المصدرالسابق–ص303.
[2] المصدر نفسه – ص305
[3] المصدر نفسه-210.

سمعوا صوتا هائلا في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى إلى الليل..."[1] وهي الهدف الذي يتوخى العياشي بلوغه من ذكرها، رغم نقر كما قلنا من فبل بالنسبة للمقاطع الشعرية بأن بعض هذه الغرائب واللطائف تمس السياق السردي وليست منفصلة عنه زمانيا .

- القطع :

ويلتجئ إليها السارد لتجاوز بعض الأحداث زمنيا ويكتفي بالإشارة إليها، لأن الروائي لا يمكنه بأي حال من حال أن يلم بالزمن المرتبط بالأحداث التماما كليا، فهي عملية تتيح له الاكتفاء بالزمن المناسب والمحوري المرتبط بصيرورة الأحداث، حيث يكتفي " ومرت سنتان أو انقضى زمن طويل، فعاد البطل من غيبوبته...الخ ويسمى هذا قطعا ، والقطع إما أن يكون محددا أو غير محدد... فهو يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية التي كانت الروايات الرومانسية والواقعية تهتم بها كثيرا لذلك فهو يحقق مظهر السرعة في عرض الوقائع...."[2]

والرحلة العياشية تحتوي على القطع، حيث استخدمه العياشي لتجاوز الأحداث الجزئية والغير هامة، فمثلا في ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة..."ولما استهل شهر شعبان المكرم أعلنت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة ورجع من جاء من آهل مكة والطائف....."[3] وهو يذكر تاريخ الخروج مباشرة دون تمهيد لهذا الحدث لأنه يراها غير ضرورية، وقوله في موضع آخر " فإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال، خرج المحمل الشريف من القاهرة، وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة ويجتمع له الناس

[1] المصدرالسابق –ص141.
[2] حميد لحميداني – بنية النص السردي –ص 77.
[3] أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية (ماء الموائد)–ص151.

في أطراف البلد "[1] فقد أحالنا العياشي إلى اليوم مباشرة وهو الحادي والعشرين، الذي هو زمن الحدث المفصلي المهم بالنسبة له.

وقد يشير عند دخوله لمدينة ما وتطرقه لمدن إقامته مثل قوله عند دخوله لمدينة واركلا " وكان دخولنا للمدينة عيشة الخميس وأقمنا بها يوم الجمعة واليومين الذين بعده ... وفي الغد منها مررنا ببلدة يقال لها أكرك وهي أول بلد وادي ريغ ورحنا إلى بلدة مماسن،......ثم ارتحلنا منها ودخلنا مدينة تكرت ......"[2] فالإشارة بقوله واليومين التي بعدها، قطع الأحداث لعدم أهميتها، والانتقال السلس من مدينة إلى أخرى دون الدخول في تفاصيل زيارة كل مدينة كل ذلك يصب في عملية القطع الزمني .

- المشهد :

ويقصد به " المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، أن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق، وإن كان الناقد جيرار جينيت ينبه إلى أنه ينبغي دائما أن لا نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين أشخاص معينين قد يكون بطيئا..."[3] فالمشاهد تبرز أفكار السارد أو الراوي في تفاعله مع شخصيات القصة أو المتن السردي.

إن الطابع العام أو الشكل الفني للرحلة كنص سردي، يكون الراوي مالكا لسلطة تجعله يتحكم في الأحداث ويسيرها وفق الغرض الذي يبتغيه، فنجد أنفسنا

[1] المصدر السابق –ص264.
[2] المصدر نفسه- ص114-119-120.
[3] حميد لحميداني –بنية النص السردي –ص78.

أمام خطاب أحادي إن صح التعبير، لذا فالمشهد بمعناه الدال على الحوار بين شخصيات مختلفة قد نجده ذا طابع خاص في الرحلة العياشية، فلنأخذ بعض المقاطع الحوارية التي تجسد ذلك " فلما وصلنا المدينة المشرفة دخلت المسجد النبوي يوم الجمعة فوجدت الزحام...وكان الشيخ اللقاني رضي الله عنه سبقني إلى المسجد.... فأجلسني بإزائه فلما اطمأن بنا المجلس سألته الدعاء لي ولأولادي أن يسلمنا الله، فقال لي أما أنت ترجع سالما و أولادك وأما أنا فأموت، فقلت له يا سيدي هذه حضرة الرسالة ادع الله أن يبلغك إلى أهلك فقال لهذا خرجت...."[1] وهذا مشهد حواري جمعه بأحد المشايخ بالمدينة، وهو حوار مباشر يتميز بالاختصار أي قلة الألفاظ وغزارة المعاني/ والملاحظ أن أغلب الحوارات التي تشتهر في ثنايا الرحلة العياشية كانت مع العلماء الذي لقيهم أبي سالم في الأماكن التي زارها ومنها:" لما لقيت الشيخ بمكة شاورته عما أرومه من المجاورة بالمدينة فحضني عليها ورغبني فيها، فقال لي...." وعندما حكي لنا شيخنا هذه الحكاية قال لي الشيخ وأنت إذ ذهبت إلى مكة فاعتمر عمرة عن أبينا آدم بهذه النية"[2]

هذه المشاهد الحوارية في أغلبها عفوية نابعة عن شخص هدفه لقاء أكبر عدد من الشخصيات وخصوصا العلماء والصالحين، وهي وإن كانت متناسبة مع بنية السرد إلا أنها تعطي للراوي و الرحالة السلطة الكاملة للتحكم في طبيعته.

البنية المكانية للرحلة العياشية :

[1] أبو سالم العياشي –الرحلة العياشية(ماء الموائد)- ج2- ص514،636.

[2] المصدر السابق – ص252.

الصورة المكانية تشكيل يجمع مظاهر المحسوسات من أصوات وروائح وألوان وأشكال وحركات, ويتسم المكان في الرحلة بالموضوعية ونقل الصورة كما في الواقع, وإن كانت باهتة أحيانا, ومتلوثة بأمزجة الساردين وتنوع وجداناهم

والوصف مكون أساسي يتناوب مع السرد في دفع الرحلة إلى مصيرها ,وقد يمتزج الوصف مع السرد إلى درجة يصعب الفصل بينهما , لكون السفر في المكان يتجدد باستمرار , والسارد يفرح بهذا التجدد وبخاصة إن كان نحو الأفضل, مما يجعله يندمج وجدانيا مع الموقع الجديد, وإذا يرحل السارد في الأماكن باستمرار. فإنه يهفو إلى بقاع معينة تثير الاطمئنان وراحة البال على المستوى الباطني, مما يهون المشاق والصعاب التي يعانيها المسافر في اجتياز الأمكنة, بل يهون ذلك الصراع مع المكان نفسه من حيث هو مواقع تشتمل على مخاطر طبيعية تعيق الحركة والراحة , فيتوجس الرحال المهالك وبخاصة حين تتضاءل عناصر الحياة من ماء وطعام[1].

وسنقف عند الأمكنة اللافتة للانتباه والتي نعتقد أنها تشكل العناصر الأساسية والفعالة في فضاء الرحلة العياشية ونبدأ ب:

المدن والقرى:

ما إن يمر السارد بمدينة أو قرية إلا ويشير إليها, فحين يقرب من القليعة قال:" ثم ارتحلنا من هناك في يوم عاصف لم نر مثله فيما تقدم من سفر ... ولا تفتح العين الا وملئت رمالا, فالركبان بأرديتهم مترفلون والمشاة بجوانب الإبل قهرا يرملون, ونزلنا بالقليعة تصغير القلعة, "وهي قرية حصينة على صخر صلد في سفح جبل

[1]ينظر –اسماعيل زردومي –الرحلة في الادب المغربي القديم .-ص:44.

منقطع عنه, وبها آبار كثيرة طيبة وهي من طبعة سلطان وركلا ..."[1] فالسارد وصف المشقة التي عاناها الركب في الطريق من جراء الرياح الشديدة واعتبر ذلك إطارا يحدد محيط القرية "إذ هي تقع وسط الرمال التي ما إن تهب الرياح حتى تسد الآفاق, ثم ذكر القرية من حيث موقعها على حجر صلد" وهذا دأب القلاع غالبا ولكون الماء هو الهم الأول في مثل هذه الأماكن وهو الذي يجذب الناس للإقامة والاستقرار, ويجذب السابلة للاستراحة قال :" وبها آبار كثيرة طيبة المياه ....", ثم أردفها بأهم ما في الصحراء حينئذ "النخيل" وبذلك تم وصف المكان. وهو وصف شامل متحرك في الأول, ساكن في الآخر, ولم يهتم بالدور بالدور السكنية وبالشوارع والأزقة,"[2] ولكنه وأشار إلى كونها مسكونة عامرة, قال:

"وبها عاملة وهمته على قدر همة مستعملة, وقد أخبرني من رآه أسود حافي الرجل عاري الرأس, في ملاءة وسخة, ومع ذلك يتحاكم إليه أهل قريته ويذعنون لأمره..."[3]

وهذا رسم لشخص يتحرك في هذه القرية , ويأتيه أهلها فيتحاكمون إليه, ويذعنون لأمره, فالوصف في خدمة شخصية حاكم القليعة الموصوف بصفات متتالية ملفوفة في ملاءة وسخة, فالمكان بأجوائه وسط الرياح العاتية وسكانه يجسد درجة كبيرة من البؤس.

وهاهو يصف بلاد سف (سوف) قائلا «......سوف, وهي خط من النخيل مستعرض في وسط الرمل, وقد غلب على أكثره , وفيه بلاد عديدة, وماءها غزير

---

[1] - ابو اسالم العياشي,الرحلة, ج1,ص 43.
[2]ينظر اسماعيل زردومي –فن الرحلة في الادب المغربي القديم –ص:43
[3] ينظر المرجع نفسه, ص:43.

قريب من وجه الأرض , أخبرني أهل البلاد أنهم إذا أرادوا غرس النخيل بحثوا في الأرض قليلا حتى يصلوا إلى إلى الماء , فيغرسونها بحيث أكون أصولها في الماء ثم يردون عليها الرمل , فلا تحتاج إلى السقي أبدا ويعالجونها بعد ذلك بأبعار الإبل وغيرها فيضعونها فيأصولها.... وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه وكثيرا ما يقتنون الكلاب للصيد, فإن بلادهم ذات صيد كثير, وجل معيشتهم منه ومن التمر..... وسكنى هذه البلاد في زرائب من جريد النخل, فإليها يأوون وبها يخزنون....."[1]

في هذا المنظر أعتمد على الوصف الشامل الخارجي "خط من النخيل مستعرض.."

و"زرائب من جريد النخل " ووصف شامل داخلي, حيث يصور عمل الفلاحين في حقولهم وبساتينهم وما يفعلون مع شيء من الاستقصاء في الحفر والتغطية , والمعالجة بالبعر , ولم ينس السارد حركة الناس في الغرس, والإيواء والتخزين , وحرصا منه على ذكر نشاطهم قال : " وتبعنا كثيرا من أهل يلتقون البعر من منزل الركب للنخل على حسب ما ذكرنا "[2]

فالمكان هنا عامر بنشاط الغرس, والحفر , والتغطية , والتخزين , وجمع البعر .... بالإضافة إلى ذكر الكلاب والصيد الوافر, مما يوفر الحركة والنشاط ويزرع الحياة في المكان, وقد يصف القرى والقصور الخالية كقوله:"..... وجئنا ظهرا لقصر مخيف ووجدنا فيه مياها كثيرة في مآجل , ووجدنا فيه جابيتين [3] متلاصقتين مبنيتين بالحجارة المرصوصة بناء متقنا , وكل واحدة طولها نحو المائة ذراع في

---

[1] المصدر السابق , ص 52.
[2] نفسه ,ج1. ص52.
[3] جابيتين : جابية : الحوض الذي يجبي فيه الماء , ج جواب (م, الوسيط).

مثلها, وقد تعرضتا لأفواه الشعاب وجمعتا من الماء ما تبجر, وكاد أن ينفجر, وأخذ الناس حاجتهم وتوضئوا, وهذا القصر من أعظم القصور الخالية التي بقيت رسومها في تلك البلاد , وفيه أثر مسجد مئذنته باقية إلى الآن ..."[1]

لقد ركز السارد رؤيته على الماء أولا لكونه العنصر المفقود في الصحراء ,ومن عثر عليه فقد عثر على خير كثير, وأمن من شر كبير, ثم أشار إلى القصر الخالي من أهله ولم يبق منه إلا المئذنة, وبين الحركة الركب الذي نشط لملء القرب وإسباغ الوضوء.... فقد أعاد الحيوية في المكان بعد خوائه, فاعتمد أولا على الوصف الهندسي فبين الأبعاد والموقع , وكيفية البناء ومواده, ثم انتقل إلى منظر الناس وهم مقبلون على حاجاتهم من الماء ثم نقل بصره إلى القصر فوجده خاليا , فوفه وأحسن وصفه [2] .

وقد يمر سريعا هلة المكان فيومئ إليه إيماءات ويهتم بعناصر الحياة من ماء وحيوان وسكان وقد يذكر أنواع النشاط من بيع وشراء, وما إلى ذلك مما يولد حركة دائبة .

فها هو يصف مدينة السويس قائلا:"...... هي مدينة صغيرة ذات أسواق ومساجد ووكالات مستطيلة على شاطئ البحر المالح الذي يأتي من الهند , وهناك يقف بين جبال شامخة, وبينه وبين البحر الرومي نحو مرحلتين , وفي هذه المدينة ترسى السفن , التي تأتي من جدة ومكة واليمن , فيها السلع التي لا تحصى, والبضائع التي لا تستقصي, ومن هناك تحمل إلى مصر في البر...."[3]

[1] ينظر –ابو سالم العياشي –ماء الموائد ج1,ص:108.
[2]
[3] المصدر السابق ج1 ,ص:162.

فالسارد يرسل نظره إلى المدينة السويس, ويصفها من الخارج مركزا على مرساها, أو حركة السفن وسكونها, مذكرا بالبضائع المتعددة ومقاصد أهليها. فهي مدينة تجمع يبن البحر والبر , والجبال الشامخة والحركة الدائبة , ويراها من بعد "حتى يكاد الإنسان أن يتبين ما بخارجها"[1]

وقد يرسم الأفق الممتد وما فيه من عمران كقوله:"....وبلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب من الألف, كل قرية منفردة وحدها على نشر من الأرض بنخل مجتمع بإزائها, وماؤها فيها........ وقراة شبيهة بقرى ريف مصر, إلا أن الأرض غير الأرض, وماؤها حلو....."[2]

يسعى السارد جاهدا لينقل المنظر للقارئ بواسطة اللفظ المفرد والوصف المفصل, أو الموجز, أو بواسطة التشبيه التقريبي, أو م إلى ذلك من تقنيات التعبير.

وقد يصف قرية معزولة بائسة كقوله :"..... إلى نزلنا عاشر على يوم على قرية يقال لها والي بعدما قطعنا قربها رمالا كثيرة يحار المر إلى كثرتها وصعوبتها , وقاسينا منها شدة , ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا, وعلمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل " **اللهم صل على سيدنا محمد عدد الرمال** , ولولا أن هذه القرية في مثل هذه القرية , إذ ليس فيها إلا نخلات معدودة قد يبس أكثرها وبقيت جزرات تسفي عليها الرياح, وحجرات من جريد النخل , وعرش من الجريد مرفوعة من الأرض مقدار القامة يبس فيها تمكر تلك النخل , إذ يقدرون على الأرض ليلا يغلب على الرمل ... ولم نجد في هذه القرية إلا رجلا واحدا, ومعه نساء من قرابته, يعولهن,

[1] المصدرنفسه ,ص:162.
[2] المصدرالسابق , ج1,ص::53.

وهو من ذرية رجل من الصالحين, اسمه سيدي محمد بن موسى مدفون في تلك القرية "[1]

فهذا تصوير للمكان من عدة جوانب, من حيث المظهر الطبيعي في كونه وسط رمال كثيفة يعسر على الساكنين أن يبلغوا إلى القرية , ثم تصوير لها , وهي تشمل على أدنى شروط الحياة , المتمثلة في نخلات قليلة , لاشك أنها تسقى لقوله بعد ذلك أن هذا الرجل الصالح هو 3 أول من بنى تلك القرية وأحياها , وفجر ماءها وغرس نخيلها.."[2]

والأهم في هذا المنضر تلك الحجرات من جريد النخل,وذلك الرجل الوحيد الذي يعيش وسط جمع من النساء,انه منضر لقرية بائسة ووصف لسكانها الذين يقاومون قساوة الحياة بأبعادها الكثيرة. فالنص يتجاوز الدلالات الفنية إلى سياقات أخرى تقرأ من هذا العرض الجديد, وقد ركز فيه على حركة سكان القرية وأعمالهم و الم يذكر ما فعله الركب في هذا المكان إن كان قد فعل شيئا.

وقد يصف المدن الكبرى فيجيد, ومن ذلك طرابلس :"...وهي مدينة مساحتها صغيرة وخيراتها كثيرة, وتكيتها للعدو شهيرة,ومآثرها جليلة, ومعايبها قليلة,أنيقة البناء,فسيحة الفناء,عالية الأسوار,متناسبة الأدوار, واسعة طرقها, سهل طرقها, الى ما جمع لاهلها من ذكاء الاوصاف , وجميل الانصاف , وسماحة على المعتاد زائدة , وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة لا تكاد تسمع من اهلها لغوا الا سلاما ولهذه المدينة بابان , باب الى البر وباب الى البجر , لان البحر يحيط بكثير من جهاتها والحصن الذي فيه الامير متصل بالمدينة من ناحية باب البر بينه

[1] المصدر نفسه ,ج1,ص:40.
[2]المصدر نفسه ,ص:40.

وبين البحر "[1] فالسارد يهتم بالوصف الشامل للمجينة من مساحتها وسورها, وساحتها الداخلية وطرقها , وابوابها نحو البر والبحر , ثم يتحدث بإطراء شديد عن أهلها وأميرها , ولا ينسى بعد ذلك ـن يتحدث عن الحركة التجارية فيها وميزاتها.

مصادر المياه: تتعدد مصادر المياه , وأماكن تواجدها على مستوى الرحلات, مما يشكل فضاء مائيا متعددا ,من ذلك :

البحر : رغم أن طريق السارد صحراوية, ولكنه اقترب من البحر في أماكن وركبه في أماكن أخرى , وسجل الملاحظات حوله , ففي الجبل الاخضر (ليبيا) وعلى سفحه الشمالي الموالي للبحر يصف مدينة "لبدة" قائلا :" قد خلت العصور الاوائل , وبقيت آثارها ورسوماتها قد أكل البحر منها كثيرا , وفيها مباني عظيمة, وهيكل جسيمة, وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الاتقان , قد هرم الدهر وما هرمت وتعاقبت عليها الازمان وما ثملت[2] , فترى الابنية ماثلة متقابلة , على رؤوس الجبال مد البصر , بحيث يقضي الحدس أن كل ما كان بداخلها كان مدينة واحدة الى البجر , وترى أعمدة الرخام وغيره واقفة وسط البحر , قد أحاط بها الماء , بحيث لا يرتاب أن البحر قد أكل كثيرا منها , ومن هذه المدينة ينقل أعمدة الرخام إلى طرابلس ومصر وغيرهما....."[3] فالبحر لا يمظر إليه كمصدر ماء , إنما قوة غامرة للمدن التي كانت قائمة عامرة, إنه يشكل جزءا من المنظر الموصوف المعتمد على البصر , وهو وصف من أعلى , وعلى مدى واسع , والواصف يوجه بصره من نقطة ما نحو الموصوف , فإذا اللوحة ماثلة أمامنا,

---

[1] المصدر السابق , ص:60.

[2] ينظر- اسماعيل زردومي –الرحلة في الادب المغربي القديم –ص 45.

[3] ينظر –ابي ابو سالم العياشي –ماء الموائد- ,ج1,ص92.

بأعمدتها الغارقة بالبحر , وأبراجها الصاعدة الى أعلى, وهياكل ضخمة هنا وهناك, فالصورة ممتدة كالتالي:

الواصف ← الموصوف ← المتلقي, والملاحظ أنه وصف شامل يفتقر إلى التفاصيل والدقة , ويقدم لنا منظرا عاما لمدينة ساحلية غمرها البحر, بقيت آثارها شاهدة على وجودها . وقد اعتمد السارد في إثارة المتلقي على الصفات وعلى النفي والإثبات الدهر وعلى الرؤية البصرية.

ومنرمشاهد ركوب البحر ما سرده قائلا:"....فلما رأينا الزحام على المراكب اكترينا مركبا خاصا لأنفسنا بقرشين ..... فركبنا من بولاق ضحى وكانت معنا في المركب ناقة لبعض اصحابنا لم تألف البحر, فكادت تغرق بنا المركب مرارات كثيرة, كلما بدا لنا موج البحر اضطربت , والمركب صغير فيميل بنا ولن نخرج من ذلك المركب حتى عانينا بعض ما يعانيه البحرية عند هيجان البحر."[1]

واللافت للانتباه هو هذه الناقة التي تضطرب من رؤية الامةاج , فيضطرب المركب حتى كاد يهلك الركاب, وهو وصف متحرك نشيط وحيوي, والعنصر المشوق فيه والطريف هو الناقة الشرود على متن مركب في بحر متماوج ' انه منظر رائع لا أدري ما إن تفطن أليه الرسامون أم لا ؟.

ومن ذلك ركوبه من مدينة تسمى منية عمر إللى القاهرة , قال".....وكان جلوسنا بموضع ازاء نصارى في المركب , ولم نتحصل لنا منهم أذية , ولا حصلت لهم منا إلى أن افترقنا بخير, وكان المركب جيدا , وركبنا فيه قرب الاصفرار, وسردنا إلى قريب من الثلث الاول من الليل, ونزلنا وخرجنا الى البر, ونمنا نوما

---

[1] المصدر السابق ,ج2,ص:360.

قليلا إلى قريب من نصف الليل,فأقلعوا , وسرنا بقيت ليلتنا, وطاب الهواء آخر الليل, وسائر اليوم.... ومررنا بموضع يقال له كرش اليقرة ... فصارت المراكب تخاف فيه من اللصوص إن مرت عناك بليل... قد يسر الله علينا بطيب الهواء, فكان الخروج منه نهارا, ولم يأت وقت المغرب آخر ذلك اليوم إلا وقد ارسينا ببولاق..."[1]

فالحديث سرد أكثر منه وصفا, وهو يشتمل على الحركة الزمنية من وقت الاصفرار , والليلوالتهار , ولعل العنصر الدرامي هو حوف المراكب من اللصوص وعدم موافقة الرياح للحركة , ولم يحدث ذلك فيما سرده السارد.فمثلما تتعرض القوافل لخطر قطاع الطرق برا , تتعرض المراكب للقرصنة بحرا ومثل هذه الظاهرة تسجل انعدام الامن في البلاد آنئذ برا وبحرا .

كما يسجل السارد موقفا نفسيا أجتماعيا حضاريا حين نفى الأذى المتبادل بين السارد والنصارى الراكبين, مما يحملنا على الاعتقاد أن الموقف الشائع من الآخر هو الآذى بسبب الاآثار المترتبة عن الحروب الصليبية من جانب , ومن جهة أخرى نعلم أن السارد يعيش في بيئة موحدة النمط الثقافي والعقائددي, والغريب أن اللقاء بين هؤلاء المسلمين والنصارى تم في البحر على ظهر السفينة , ولم يحصل أي مكروه , ولعل هذا المشهد يكون رامزا إلى المفصل الحركي "البحر" الفاصل بيننا وبين غيرنا , وأن الاتصال والمصالح المشتركة ثائمة رغما عنا , وتتضح صورة البحر في المرسى أكثر منها في العمق إذ قال عن مرسى بولاق :".... وقد أرسينا ببولاق وهي مرسى القاهرة الكبير التي تجتمع فيه مراكب دمياط, ورشيد,و الصعيد , هممنا أن نبيت في المركب إلى الصباح, فاستخرت الله

[1] المصدر السابق ,ج2,ص: 356.

عز وجل , فقوى عزمي على الخروج وتجشمنا مشقة الخروج من السفينة بين العشائين من الزحام الكبير, من كثرة المراكب بحيث لم يتمكن لنا الخروج إلى على ظهر المراكب من مركب الى اخر, وأصحابها يمنعوننا, ويشتموننا, فلما خرجنا تعرضنا المكاسون...."[1]

فالسارد يحكي ما حدث له في المرسى بضمير المتكلم "استخرت" وضمير جمع المتكلمين "هممنا" ,"تجشمنا" وهو مع من كان معه ينتقلون من مركب الى آخر وأصحاب المراكب يدفعونهم برفق أحيانا, وبغلظة وقسوة أحيانا إلى درجة الشتم , فالمرسى مكان واسطة بين البحر ةالبر , وفيها كثير من خصائص القاهرة المرصوصة بالاشياء والناس.

الاودية: ومن الاودية التي وقف عندها السارد طويلا واد بالمدينة إذ حدد مصادره وتاريخه , وما شاهده منه , قال: "...... سيل قناة إذا استجمعت, يأتي من الطائف وهو أحد فحول اودية العرب, فيأتي من المشرق حتى يصل السد الذي أحدثته نار الحرة , وانقطع هذا الوادي بسببه, ثم انخرق سنة تسعن وستمائة , فجرى الوادي سنة علىما بين الجبلين , وسنة أخرى دون ذلك ثم أنخرق بعد السبعمائة , فجرة سنة وأزيد , ثم أنخرق سنة اربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الامطار , فحفر واديا آخر غير مجراه , الذي هو على مشهد سيدنا حمزة قبليه قبلى جبل عينين ,و بقى المشهد وعينين في وسط السيل, نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد الوصول اليهما إلا بمشقة ,وكان أهل المدينة يقتفون على التل, الذي خارج باب البقيع , فيشاهدونه, ولو زاد مقدر ذرع من الارتفاع, وصل الى المدينة ثم أستقر في الوادي, بين القبلي والشمالي, قريبا من سنة . قلت وقد سال ونحن بالمدينة سيلا

[1] المصدر السابق ,ج2, ص:357-358.

عظيما بقي مدة يجري, إلا أني لم يتفق لي الخروج إليه لبعده , مع عائق المرض , إلا لما خرجنا لزيارة سيدنا حمزة في الرجبية أدركنا فيه بقية ماء, وهذا الوادي هو الدي ورد في الصحيح في استسقائه عليه السلام , أنه سال شهرا وأهل المدينة يخرجون الى موضع أعلاه من ناحية المشرق وراء الحرة فيقيمون الاسبوع أو اكثر.[1]

هذا النص على طوله يبين لنا طريقة السرد المعتمدة في مثل هذه الاخبار إذ يمتزج فيها السرد والوصف ويعامل المكان كالشخص تماما فتحدد ملامحه , وما جرى له من أحداث فالسارد يسرد تاريخ المكان "الوادي" والسد الذي بني عليه وانخراقه, وما أحدثه الانخراق في مجراه من تغيير وحين ينخرق السد يذكر لنا مدة سيلان الوادي باستمرار , ثم يقدم شهادته هلة أنه رآه أو أرى بقية الماء فيه بعد سيلانه مدة, ثم يذكر لنا احتفل أهل المدينو به حيث يقيمون يقيمون الاسبوع أو أكثر من ذلك على ضفافه ,ثم يربط هذا كله بزمان النبوة فالسارد قد قدم لنا بطاقة خاصة بالوادي في جانبه التاريخي والعمراني , والطبيعي, والاجتماعي , وربط كل ذلك بأحد مصادر التشريع , وهو الحديث الصحيح.

تركيب:

يمكن أن نخلص إلى القول بعد هذه المقاربة لجوانب مختلفة من الرحلة العياشية ،إلى أن خطاب الرحلة هو خطاب واقع يستند في أخباره وملفوظاته على وقائع ذاتية ترتبط بشخصية الرحالة ،غير أن الخطاب لا يكون أمينا صادقا كل الصدق في كل ما يقوله أ ويقدمه ،وغياب صدقيته ليست نابعة من نية مسبقة للرحالة في تضليل المتلقي وهو ينجز خطابه ،بل تنكسر هذه الصدقية من خلال الوعي الجديد

[1] المصدر السابق ,ج1,ص:273.

الذي يؤطر الرحلة كخطاب خبري يعمل على تنسيق الواقع لتصبح قابلة للقراءة والتلقي ،وهو خطاب منفتح في تلفيظه الذي يجعله قابلا للاستيعاب .

تتلاشى الحدود بين الواقع والتخييل ويصبح التداخل والتفاعل السمة الغالبة على الخطاب الرحلي ،ويشكل هذا التفاعل صورة أخرى من الصور المتعددة التي يشتغل فيها التخييلي إلى جانب الواقعي دون أن يفقد الواقعي نسبة من وثوقيته كمرآة تعكس واقع مرحلة تاريخية معينة .."[1]

ولا نغفل في هذا الصدد التكوين الصوفي للعياشي مما انعكس على لغة السرد ،فنجده في مقام الحديث عن التصوف وأربابه وشيوخه،يوظف لغة متكلفة معقدة وهذا يعود لكمية الرموز والمصطلحات الموظفة في هذا الصدد،مما يعطي السرد الرحلي نوع من التدرج في المستوى اللغوي بمعنى لكل مقام مقال .وفذا سر القبول الذي لاقته هذه الرحلة لدى جمهور القراء .

[1] ينظر :سعيد جبار – من الواقعية الى التخييلية –ص: 211.

المبحث الثالث:

دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشلرق العربي.

إن بلاد المغرب العربي الممتدة من حدود مصر الغربية على الأندلس ،ولم تصبح جزءا من دار الإسلام ،إلا في زمن متأخرا نسبيا ،فالمغرب "لم يتم فتحه إلا في سنة سبعين للهجرة ،ومنذ ذالك الوقت التي بدأت تتشكل هذه الرقعة الفسيحة مجتمعات إسلامية الدين عربية اللغة ،وكان من الطبيعي أن يحرص الأندلسيون والمغاربة على أداء فريضة الحج إلى البقاع المقدسة ،وأن يصبح الحج من أهم الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب ،وعملت على توحيد الثقافة في سائر أنحاء الوطن الإسلامي .ولعل البعد الجغرافي بين بلاد المغرب والبقاع المقدسة قد زاد حرص أهل تلك البلاد على أداء فريضة الحج والتردد على مراكز الثقافة الإسلامية في الشرق من مكة والمدينة والفسطاط والكوفة وبغداد ".[1]

المبحث الثاني :**دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق:**

تعتبر الرحلة جسر للتواصل مع الآخر سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها أو إلى حضارة مغايرة فهي وثيقة أدبية تعرض بالوصف والمعاينة أحوال المجتمعات التي ارتحل صاحب الرحلة وتكشف عن طبيعة الوعي الإنساني بالآخر.

إن مصطلح التواصل الحضاري ينقسم الى شقين الأول التواصل : والذي نقصد به ربط علاقات بين شعوب مختلفة أو بين أفراد الشعب الواحد عن طريق

[1]ينظر :محمود علي مكي –المدائح النبوية –ص :119-120.

الحوار والثاني الحضاري:نسبة الى الحضارة التي مقياس رقي الدولة ، والحضارات البشرية<< سلسلة متصلة الحلقات تأخذ كل واحدة منها بعضد الأخرى ولا يمكن ان تنفصل هذه الحلقات وإلا لوقف العلم وانتهى إلى حيث ينتهي الإتصال بينهما وذالك خلافا لما يراه شبنجلر من أن كل ثقافة في تركيب عضوي من نوع خاص لا صلة له بالثقافات التي جاءت قبله أو الثقافات التي تجيء بعده >>[1].فانفتاح الحضارة على نفسها وغيرها ينفي عنها التقوقع والتعصب ،فكل حضارة تستفيد من السابقة لها . فأفراد الحضارة الإسلامية سابقا بنوا علاقاتهم مع الحضارات الأخرى على أساس التعارف الذي يتضمن تجاوز الذات من اجل بناء الجسور والتواصل مع الآخرين ، فهذه نظرة شمولية لعملية التواصل الحضاري في إطارها العالمي وقد أعطت الحضارة الإسلامية أنموذجا له من خلال انفتاحها على الحضارات المجاورة.

وهنا ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن اتساع رقعة الحضارة العربية الإسلامية وخاصة في الجزء الغربي اي المغرب العربي،إذ أن هذه المنطقة كانت لاحقة في الفتح الإسلامي والفاتحون الأوائل عندما جاءوا لهذه المنطقة تواصلوا مع ثقافة مختلفة وهي ثقافة السكان الأصليين الأمازيغ ، فقاموا بتعريبهم وأصبحت المنطقة فيما بعد قطبا حضاريا متميزا ..مما يجعل حتمية التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق ضرورة ملحة حتى يتسنى تذليل نقاط الاختلاف بينهما. "ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب مختلفة فيها يخص الجوانب الحضارية المختلفة على أزمنة متتالية،فالرحلة تتطلب اتساع

[1]-ينظر -سعيد الدين صالح- التواصل الحضاري والحفاظ عاى الذاتية- دار الصحوة للنشر والتوزيع- ط1 2005 ص:24-25.

المعارف وتنوعها،وهي تستند الى التاريخ ،ورصد المظاهر الإجتماعية والإقتصادية والسياسية غير المألوفة ،فهي ليست أداة معرفية فحسب بل تتعداها الى مهام حضارية،"[1]ومن النقاط التي ساهمت في التواصل الحضاري مع المشرق في الرحلة العياشية نذكر:

العياشي الناقد:

أثناء اتصال العياشي بالمراكز العلمية على غرار مصر المدينة ..أثار انتباهه مجموعة من السلوكيات والمعتقدات الباطلة ،فيحاول رد الأمور الى نصابها وخصوصا في قضايا الشريعة الإسلامية حيث يهتم بصحة الأحاديث التي من خلالها تصوب سلوكات الناس وفقها[2]،فقد حرص على رد الكثير من المعتقدات الخاطئة والأفكار الضالة وفق منظور سني معتدل سواء ما تعلق منها بالديني او الاجتماعي او الاقتصادي ، رغبة منه في توحيد الصورة بكل موضوعية . وعلى هذا الأساس لم يكن النقد الذي وجهه العياشي لأجل النقد فقط بل كان الغرض إبراز نقاط الخلل في المجتمع الإسلامي بغرض إصلاحها ،وهذا انطلاقا من رؤيته للعالم الإسلامي وكونه تحت لواء الاسلام الذي يجمع ولا يفرق.

وقد لجأ الرحالة في بعض الأحيان الى ما يسمى بالسخرية في مقام انتقادهم للظواهر المختلفة،أو العين الساخرة ،وهي "كمحسن بلاغي واستراتيجية خطابية تجعل من المحتمل أهم إنشغالاتها ،وللإجابة عن كيفية تبين المحتمل في الخطاب الساخرنشير مع سعيد علوش إلى أن السخرية تتمثل في منهج جدلي يعتمد على

[1]ينظر عواطف بنت محمد يوسف نواب-كتب الرحلات في المغرب الاقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز-دار الملك عبد العزيز-الرياض 2008-ص 20-21.

[2]-ينظر الحسن الشاهدي- ادب الرحلة بالمغرب في العهدالمريني- منشورات هكاظ- ج1 دط دت ص 587.

الإستفهام بمفهومه البلاغي ،أو هي التعبير بلغة ذات نزوع متعارض"[1] ،فمثلا يوظف العياشي هذا المحسن البلاغي فيقول حين خروجه من بلاد اوقروت "ولولا أن هذه القرية في مثل هذه المفازة ما حسن تسميتها قرية ،إذ ليس فيها الا نخلات معدودة قد يبس أكثرها ،وبقيت جدرات تسفي عليها الرياح وحجرات من جريد النخل ،وعرش من الجريد مرفوعة من الأرض بمقدار القامة يبس فيها ثمر ذالك النخل ،إذ لا يقدرون على وضعه على الأرض لئلا يغلب عليه الرمل فيذهب أدراج الرياح..."[2]،فتعبيره الساخر لا يعبر عن ازدراء للمكان لكنه أسلوب يغلب عليه الطابع الأدبي المشوق ليعطي صورة عن المكان بوضوح.

أ-نقد المعتقدات الدينية:

لقد دون العياشي في رحلته أفكار تتناسب مع شخصيته العالمة الورعة ، فانتقد الضلالات التي سادت المجتمع الإسلامي شرقا وغربا رغبة منه في توحيد الرؤى الدينية بين المشرق والمغرب مما يفتح آفاقا أوسع للتواصل بين القطبين ، نذكر على سبيل المثال مشهدا أثار انتباهه وهو بالديار التونسية حيث يقول"وماتت في الركب في تلك الليلة امرأة موسرة من أهل تونس وكانت لها محفة رفيعة تحمل فيها فلما ماتت أوسعوا في حفر قبرها ودفنوها بمحفتها وذالك غلو وبدعة وتضييع مال ، فان المحفة لها مال وقيمة وحضر أمير تونس وكبراؤهم ولم ينكر ذالك احد"[3]. ويقر بأن هذه البدع ليست حكرا على مجتمع معين او بيئة معينة ،فلم يقدم أبا اسالم جهة من جهات العالم الاسلامي التي شملتها رحلته باعتبارها مركزا

---

[1]ينظر عبد النبي ذاكر- العين الساخرة – المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة – ط1- مارس 2000م- ص :10-11.
[2]ابوسالم العياشي- الرحلة العياشية –ج1 ص 107.
[3]المصدرالسابق- ص :15.

صحيحا ومثالا صافيا للعلم والعمل أي انه لم يتحيز لمنطقة بل بدا متحليا بموضوعية التي ورائها شخصية الرحالة العالم[1].

ويورد بعض جهالات العامة حيث يقول: "حكى لي بعض المجاورين أنه وُجد في في بعض المواسم رجل مع امرأة في الحرم الشريف فحُملا إلى الحاكم فشهدت البينة أنها زوجته وقيل له: ما حملك على ما فعلت؟ فقال له: إنه لا ولد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم فعُذر بجهله ولم يعاقب"[2]،مما يعتبره تعد صريح على أحد الحدود وتساهلا في تطبيق الاحكام الشرعية ،وفي موضع آخر ينتقد بعض الائمة وجهلهم بقواعد خطبة الجمعة "....ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجمعة وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية ،وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة ،فكنت أتخوف ألا تصح لنا جمعة معه ان كانت صلاته كخطبته"[3]

والملاحظ أن العياشي حريص على ذكر الأسباب الموضوعية وراء الإنتقادات التي يوجهها، ليس أن الغرض المرجو هو التقويم لا مجرد النقد فقط، وهذا يجعل منه شخصية مرنة يقبل الناس على شتى أفكارها بكل أريحية.

ومن ذالك إنكاره على بعض المؤذنين بمدينة واركلا تغيير صيغة الاذان "فلما دخل المؤذن كبر في آذانه أربعا أول الآذان وأربعا آخره ،فأنكرت ذالك في نفسي إذ القوم مالكية في ظني ،فلما دخل الناس للصلاة ابتدر الناس لزوايا المسجد

---

[1]-المصدر نفسه ص 15.

[2]-المصدر نفسه ص 18.

[3]المصدر نفسه –ص-114.

يتيممون ،فقلت عجبا هؤلاء كلهم من ذوي الأعذار ..."[1]فالعياشي يمر بمدن المغرب العربي منتقدا الظواهر التي تخالف المذهب المالكي .

التواصل الاجتماعي في الرحلة العياشية :

كان للملمح الاجتماعي في الرحلة العياشية النصيب الأكبر بحكم معاشرة العياشي لسكان المشرق وأهل الحجاز خصوصا ،ويورد خصائص بعض المجتمعات من خلال معاينته لها، فيقول عن المجتمع المصري"وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا لا تستغرب شيئا مما يحكى منها من خير

أو شر و مصداق ذالك ما حدثنيه بعض أصحابنا من التجارفي سنة أربعة وستين قال :لما دخلت مصر في حدود الخمسين سكنت بعض الوكائل وكان من قدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة من فلان وفلان تجار وفلان طالب علم وفلان ممن يليق الى طريق الفقر وفلان ممن يميل إلى المجون...فيقول التاجر :ما رأينا مثل هذا البلد في التجارة فأهلها كلهم تجار ،ويحكي خلال ذالك حكاية ما شاهد ،ويقول الفقيه مثل ذالك والفقير مصل ذالك وذو المجون مثل ذالك ،وما ذالك إلا كثرة أجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن ،فيظن أن أهل البلد كلهم كذالك"[2]،وقد مكث في الحجاز لفترة لا بأس بها، وقد كان حريصاً على الإشارة إلى الخلل الذي يعاينه حتى لو كان بسيطا، وقد أورد بعض العادات الاجتماعية المستحبة لسكان الحجاز كقوله: "مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البُن لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب والناس يقدمون عليهم من الآفاق والإنسان لابد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل جديد يدخل

---

[1]ينظر :المصدر السابق –ص: 116.
[2]مصدر سابق-ص :222.

عليهم..."[1] ، هذه الملاحظة تدل على احتكاك العياشي للمجتمع الحجازي وغوصه في أعماقه.

ويتحدث العياشي عن المرأة المدينية وميولها نحو البذخ والترف فيقول: "ولقد أخبرت أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخشخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار فربما بلغ ذلك ريالاً كل يوم"[2]، وهو يعيب عليها إسرافها في الزينة وفي الشكليات، ومن الآفات الاجتماعية الخطيرة التي سجلها العياشي نذكر آفة الرشوة التي وجدت في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ساد خلال القرن الحادي عشر والتي مست جميع المهن بما فيها المهن الشرعية حيث يقول: "والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازا ومصراً وشاما من إمامة وخطابة وآذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة.. إنما تُنال بالشراء من الولاة"[3]، والواقع أن رحلة العياشي تقدم فكرة واضحة عن الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه خلال القرن الحادي عشر.

التواصل الصوفي في الرحلة العياشية:

يعد أبا سالم العياشي فقيهاً عالماً متّبعاً نهج التصوف وهذا يعود إلى نشأته الصوفية التي حصل عليها من الزاوية العياشية "وتقع الزاوية العياشية أو زاوية سيدي حمزة كما تسمى اليوم على ضفاف أحد روافد نهر زير جنوبي مدينة تيدلت، والملاحظ طبيعياً أنها محصنة بحدود جبلية تمثلها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداي... أما طريقة الزاوية العياشية فكانت شاذلية وشيوخ محمد بن أبي بكر كلهم شاذليون وقد

[1]-المصدر نفسه ص:122.

[2]-المصدر السابق -ص: 22

[3]-المصدر نفسه -ص282.

تأصلت هذه المبادئ لدى أبناء الزاوية العياشية وعلى رأسهم أبو سالم"[1]، الذي سار على نهج الزاوية في طريقتها الصوفية ولم يحد عنه.

تتجلى شخصية أبي سالم المتصوفة في كونه كان حرصاً على تنقية النفس والرقي بها إلى معالم الكمال والطهر وأبو سالم "متصوف قوي الشخصية له نظرية خاصة في الحياة وفي السعي إلى المناصب العليا وفي المال، وبعض هذه الاتجاهات واضح في سلوكه ومن خلال بعض رسائله ومؤلفاته ومن ذلك ما كتب إلى صديقه وتلميذه عثمان بن علي اليوسي من طرابلس واعظاً إياه بقوله: "إياك والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق فإنهما أصل كل وهن في الدين وضعف في اليقين، فإن الأول يوجب الشك في المقدور وفتور في النفس..."[2] ، والعياشي يراعي في سلوكه الصوفي موافقة السنة رغبة منه في توحيد الرؤى حول الغاية من التصوف وجعل الكتاب والسنة مصدر التشريع ومحل الاتفاق وعدم الاحتكام إلى الأهواء المختلفة.

قام أبو سالم العياشي بدور إيجابي في الحركة الفكرية بين المغرب والمشرق "وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات متنوعة عن أحوال البلدانِ التي زارها اجتماعياً وتاريخاً إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقته المشرقية"[3]، ويتضح ذلك من خلال حرص أبي سالم على معرفة كل إنتاج جديد في ميدان التأليف فكان أول من أدخل كتاب (نسيم الرياض في شرح شفا

---

[1]-أبو سالم العياشي – اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر – تحقيق نفيسة الذهبي- منشورات كلية الاداب والعلوم- الرباط – ط1- 1996م- ص 21- 22.

[2]-المصدرنفسه ص56.

[3]-أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية ص: 115.

القاضي عياض) إلى المغرب بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره"، في ربط لأواصر المعرفة بين القطرين مشرقه ومغربه.

ولقد عرف أبو سالم بعض الطرق الصوفية وقدم أدبياتها وسجل بعض المحاورات التي دارت بينه وبين أصحابها وأتباعها ، وأبدى إعجابه بها ، كما لم يخف تحفظه من بعض الطرق المنحرفة ، وقد صرح العياشي سبب اهتمامه بتلك الطرق يعود لغرابتها وعدم انتشارها بالمغرب العربي وذالك في قوله "[1] وغنما ذكرت ذالك شيئا قليلا لئلا تتشوف نفس الناظر في هذا الكتاب إلى من تنسب إليه هذه الطرق لغرابة أكثرها بقطرنا ما عدا الشاذلية بشعبها"[2] ،ومن هذه الطرق التي عرف بها العياشي الطريقة النقشبندية التي وجدها كبيرة الاقتراب من مذهب أهل السنة والجماعة ،شديدة الشبه بالطريقة الشاذلية يقول :

وعليه فإن تواصل متصوفة المغرب العربي كان فعالا ومؤثرا" سواء على مستوى المشرق بالنسبة للراحلين إليه ،أو بالنسبة لأهل الغرب الإسلامي الذين استفادوا من خبرة العائدين إليهم بعد اكتسابهم الخبرة والمعرفة ،ناهيك عن الكتب التي تم تأليفها وانتفع منها علماء المسلمين ،ومن هنا يتبين بأن الصلات الثقافية بين العالم الإسلامي كانت متواصلة على كل الأصعدة لا تقف أمامها حدود سياسية أو جغرافية"[3] ،فكان المتصوف حرا في التنقل يدرس علومه ويبث أفكاره ويكتب مؤلفاته دون قيد .

إجازات أبي سالم ودرورها في التواصل الحضاري

---

[1]-ينظر المصدر نفسه – ص: 23.(المقدمة).

[2]ينظر :المصدر نفسه ص 116.

[3]ينظر :عبد الواحد ذونطه-أبحاث في تاريخ المغرب والأندلي وصور من التواصل الحضاري مع المشرق –دار الحامد للنشر والتوزيع-ط1-2014م-ص:357-358.

كان من اهتمامات أبي سالم أن يحصل على أكبر قدر من الإجازات من العلماء المشارقة والمغاربة ،والإجازةهي "إحدى طرق التحمل والرواية عند المحدثين من أهل العلم لذا تنوعت في معناها وأدائها باعتبارات لا تخرجها عن معنى تحمل العلم عن الشيوخ في الجملة "[1]وهي في اصطلاح العلماء إذن المحدث للطالب بأن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيرها من دون أن يسمع منه أو يقرأعليه وهذا أصل معناها عند الاطلاق "[2]،ولا يصل طالب العلم لهذه المرتبة إلا بعد مجالسة العلماء لفترة طويلة يثبت من خلالها جدارته وأحقيته بالإجازة ،فهي شهادة اعتراف بالقدرة العلم والإجازة لفظا ومعنى "للحفاظ على الإسناد واتصاله وتسلسل رجاله والإنتساب لكتب السنة وغيرها ،فكانت معيارا لذالك وعنوانا على الطبقات واللقي والمعاصرة وغيرها من تحاسين الرواية وأفانين الاجازة .."[3]،فهي تعطي لطالب العلم الحق في الإجتهاد في المسائل الفقهية .

كان مما يسعى إليه طالب العلم قديما هو الإجازة ،فكانت في الصدر الإول مقرونة بالعلم حلا وترحالا فلا يذكر العلم إلا ذكرت ،ولا يعرف العالم إلا اذا عرفها ،ولا يعرف الحق من الباطل إلا إذا صح سندها ..."[4]،ففضلها يكمن في إثبات السند والتأكد من صحة المرويات ومالكها يملك الأهلية للقيام بهذه المهمة الجليلة .

فهي وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل تكون بأشكال مختلفة شفوية وكتابية عامة وخاصة نثرية ونظمية ، ولا تنال إلابعد استيفاء شروطها أملا في ربط الصلات الثقلفية بين الشرق والغرب ،ولأن ذالك يعتبر مظهرا من مظاهر

[1]-ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي- الوجازة في الاثبات والاجازة –فهرسة الملك فهد الوطنية –الطائف –دط –1428ه-ص21.

[2] -المرجع نفسه –ص 22.

[3]-المرجع السابق –ص 22.

[4]- المرجع نفسه ص 27.

النبوغ العلمي كانت الإجازات التي تحصل عليها كبيرة خصص لها فيما بعد كتابا خاصا سماه اتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء ، وسوف نستعرض أهم هذه الإجازات التي حصل عليها العياشي .

نذكر من الشيوخ المشارقة الذين أجازوا أبا سالم الشيخ **إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري** وكان له اهتمام بالغ بالرواية وحفظ الأسانيد واستجاز محمد بن رسول الشهرزوري من أئمة الفقه المالكي بالمدينة المنورة"[1]كما أخذ عن "أحمد بابا التمبكتي ذكر العياشي أنه لقيه ببسكرة ولقنه الذكر وأجازه كما لقيه بالأسكندرية، كما أجازه الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الشافعي الأنصاري الخليلي من المدينة المنورة ، وعمر بن عبد القادر المشرقي وهناك العديد من الإجازات لعلماء مشارقة ومغاربة لا يتسع المقام لذكرهم"[2].

هذه الإجازات المختلفة التي حصل عليها العياشي تنم عن رغبة في التوفيق بين علوم المشرق بحكم أسبقيته الحضارية و علوم المغرب باعتبارها منطقة لحقت الركب الحضاري ،فهو لايرى تعارضا بينهما بل يرى التكامل في التوفيق بينهما، وهذا ما يفتح الطريق أمام المثقفين في القطرين الى انتهاج نفس الاسلوب في التعامل .وقد أجاز العياشي العديد من طلبة العلم خاصة في المدينة ومصر.

دور أبي سالم العياشي في ربط الصلات بين المشرق والمغرب:

قام أبو سالم بدور إيجابي في حركة فكرية بين المغرب والمشرق وأضاف أثرا طيبا الى سلسلة العلاقات الثقافية بين البلدان الاسلامية المختلفة ،وقد مكنته تجاربه

---

[1]-ابو سالم العياشي – اتحاف الاخلاء باجازات المشائخ الاجلاء- ص 68 69

[2]-المصدر نفسه ص:69.

من جمع معلومات مختلفة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعيا وإقتضاديا وثقافيا ،إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقاته المشرقية خلال القرن 17 م ونستطيع أن نبرز مجالات هذه المشاركة من خلال الأمثلة التالية:

أ-حرص أبو سالم على معرفة كل انتاج أدبيٍ جديد في ميدان التأليف ،فكان أول من أدخل كتاب "**نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض**"،بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره وسهر بنفسه على استنساخه.

ب- نقل أبو سالم عددا من رسائل الشيخ إبراهيم الكوراني في مسألة الكسب ،وقد أثارت مناقشات طويلة بين علماء فاس والمدينة المنورة ،وألف من أجل الرد على أقوال الشيخ الكوراني ،كل من الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه السيد المهدي بن أحمد الفاسي وتلطفا في إظهار مخالفتهما لأرائه ،بينما تشدد بعض المغاربة وانتصروا لآراء علماء فاس"

ج- أثارت مسألة التبغ ضجة في المغرب منذ مستهل القرن 17م،فسجل أبو سالم الكلام حول الموضوع ،فالشيخ صفي الدين القشاشي أحد رجال العلم بالمدينة ،يميل إلى كراهية استعمال الدخان ،في حين أن الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني يتصدى لمن يميل الى الإباحة وقد ألف من أجل ذالك رسالة سماها (محدد السنان في نحور إخوان الدخان)."[1]هذا الأخذ والرد في المسائل العلمية والفقهية المثارة آنذاك يدل على نشاط فكري كان للرحالة يد طولى فيها ،فأبو سالم كان حريصا على غلق الفجوة الثقافية بين المشرق والمغرب العربي ن خلال مراسالاته ومناظراته المختلفة.

[1]ينظر ابو سالم العياشي- اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر –ص 57-58-59.

ما يمكن استخلاصه بعد استعراض الدور الذي قام به أبو سالم العياشي في التواصل الحضاري مع المشرق مايلي:

أن الرحلات المغاربية الحجازية كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب الى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي.

التواصل القيمي في الرحلة العياشية :

تشتمل الرحلة على مرجعيات غنية من قيم التواصل سواء تعلق الأمر بالمستوى الاجتماعي كالعلاقة مع "الجماعة المرجعية الصغيرة من المقربين والأحباب ،أو على مستوى الركب الذي سار في الرحلة ،إذ تتجسد قيم التواصل أكثر في مثل هذا الموقف الذي يشتد فيه الحراك والصراع ،وفيه يختبر المرء في خصاله الحقيقية ،أو على مستوى العلاقات مع المجتمعات المتعددة التي عايشها الرحالة بحلوها ومرها ،إضافة إلى شدة عنايته بمعاملة العلماء والأولياء ."[1]،ويعتبر أبو سالم العياشي أحد الرحالة الذين حاولوا التواصل مع المشرق العربي من خلال لقاء العلماء وزيارة الأولياء والأضرحة ،ويمكن حصر عناصر هذا التواصل في النقاط التالية :

أ-تقدير العلماء والأولياء:

من الأهداف الظاهرة لرحلة العياشي كان الحج ولقاء العلماء لذالك لا يخفي العياشي مشاعره تجاه العلماء الذين التقى بهم ،فيعبر عن مشاعر التقدير والاحترام لهم من ذالك عندما دخل مدينة طرابلس "...ممن لقيته بطرابلس من أفاضل أهلها سيدي شعبان بن مساهل .....أخبرني الشيخ الأجل قاضي مدينة القدس محمد

[1]-ينظر:عبد الرحمان عزي –التواصل القيمي في الرحلة العياشية –كنوزالحكمة للنشر والتوزيع –الجزائر –دط-2001م-ص:68.

النفاثي......وزرنا أيضا قبر الإمام الذي لا ينبغي لأحد دخل مصر أن يهمل زيارته ،إذ هو صاحب التصريف التام بمصر ،رئيس الائمة وشيخ مشايخ الأمة محمد ابن إدريس الشافعي ."[1]،فالملاحظ على عبارات العياشي أنها تحمل مشاعر مكنونة تجاه هؤلاء العلماء من قبيل :سيدي –الأجل –رئيس ..وهذا ينبع من طبيعة شخصية الرحالة المتمسكة بمبادئ الأخلاق ،الراغب في التواصل مع من يرتجي نفعهم.

الانضباط في تهذيب النفس والسلوك:

يظهر العياشي في رحلته متمسكا بالسنة النبوية في سلوكياته ،وقد أظهر رقيا في التعامل سواء مع أصحاب اللركب أو مع كل من التقى بهم في رحلته ،وهذا من حكمة السفر الذي يسفر عن أخلاق الرجال

لقد رأى أبا سالم العياشي أنه من الواجب على العالم الحقيقي أن يطلب العلم من معينه الأصلي ومن الشيوخ ذوي السبق ، فكانت رحلته حافلة بالمسائل العلمية المختلفة ،حيث جمع بين علوم المغاربة والمشارقة خصوصا في المجال الفقهي والصوفي، حتى أنه خصص من وقته للتدريس في البلاد المشرقية،في تواصل حضاري حقيقي بين المغرب والمشرق العربي.وما الإيجازات التي أجازها لغيره خير اثبات لهذا الدور.

[1]ينظر :أبو سالم العياشي –ماء الموائد –ج1-ص:142-179-261.

خاتمة

مما سبق نستنتج فن الرحلات فن متشابك تداخلت في تكوينه عدة علوم من اهمها التاريخ والجغرافيا والقصة .السيرة الذاتية ،وهذا راجع في أغلب الأحيان إلى رغبة الرحالة الملحة في أن تكون رحلته متكاملة إلى حد ما ،فيحاول أن يعطيها طابع الموسوعية ،وأبو سالم العياشي يعتبر أنموذج في هذا المجال لكون رحلته تميزت بتشعب علومها من فقه وحديث وتصوف وسير .الخ،مما يجعل مسألة تجنيس الرحلة كفن له خصوصياته وقواعده بعيدة المنال في ظل تشعب هذه الفنون.

إن الرحلات فيها من الجوانب الأدبية ما يؤهلها لأن تكون فنا أدبيا مستقلا ،يمكن تسميته بأدب الرحلات ،وهو فت نثري يعتمد على سرد الأحداث وروايتها ،معتمدا على المعاينة والمشاهدة ،تبدأ برحلة الذهاب وتختم بالإياب ..،ويكون الوصف العنصر الأساسي الذي يعتمد عليه الرحالة في وصف الأماكن التي يمر عليها أثناء رحلته .لذالك هناك من يعتبر أدب الرحلة من الإرهاصات الأولية لفن القصة العربية على غرار المقامات وغيرها من الفنون القصصية في التاريخ العربي القديم.

تعتبر الرحلات الحجازية أهم أنواع الرحلة بحكم أنها حيزا واسعا من اهتمام الرحالة ولارتباطها بفريضة الحج ،لذالك كانت الرحلة العياشية (ماء الموائد)أهم رحلة مغربية حجازية انطلقت من المغرب مرورا بسجلماسة ومنطقة توات ..وارقلا –ليبيا مرورا بالقاهرة وصولا إلى أرض الحجاز ،حيث كان للعياشي محطات استوقفته فأبدى ملا حظاته ونقل خلاصة مشاهداته ،التي تعتبر شواهد تاريخية قل نظيرها في كتب التاريخ .

وبعد دراسة الرحلة العياشية كنص أدبي له استقلاليته الفنية ،محاولين البحث عن قيمته اللغوية والأدبية توصلنا إلى النتائج التالية :

-أن قيمة النص الأدبي من الناحية اللغوية تتحدد بمقدار ما يحدثه من توافق بين الألفاظ والمعاني ،بمعني مطابقة الألفاظ لمقتضى الحال مع تحقيق عنصر الإنسجام

- انعكس تكوين العياشي الديني والأدبي على النص فظهرت فيه مستويات لغوية مختلفة وهي كالتالي :

-المستوى الأول :سرد الأحداث وفيها كان الأسلوب سهلا بسيطا بعيدا عن التعقيد ،يعتمد فيه على الجمل القصيرة ،وفق نمط سردي مع توظيف ظروف الزمان والمكان بدقة .

-المستوى الثاني :مناقشة المسائل الفقهية ،معتمدا على المصطلحات الفقهية وبهذا يندرج هذا المستوى ضمن أدب الفقهاء على رأي العالم المغربي عبد الله فكون .

المستوى الثالث :بحكم تكوين العياشي الصوفي انعكس ذالك على أسلوبه عندما يخوض في مسألة من مسائل التصوف ،فيتكلم بلسان حالهم معتمدا على الرمز والإشارة على عادة رواد التصوف كابن عربي والحلاج ،فنحن أمام أسلوب خاص صنعه المتصوفة ليلائم تجربتهم الذوقية .

من خلال صهر هذه المستويات في بوتقة واحدة يمكن أن نميز من خلالها نصا سرديا متكامل البناء ،تتوفر فيه العناصر المتفق عليها وهي :

الشخصية :الرئيسية :وتتمثل في الرحالة نفسه كونه محرك الأحداث والمتحكم في سيرورتها .

الشخصيات الثانوية :وتتمثل في الشخصيات التي التقى بها العياشي من شيوخ وعلماء ..الخ.

الزمان :وهو محدد بدقة من زمن الانطلاق إلى زمن الوصول .

المكان :ويتمظهر في الأماكن التي زارها أو التي مر بها .

الحوار :وهو ما دار بي شخصيات الرحلة .

العقدة :الرغبة في الوصول مع ما يواجه الرحالة من مشاق .

الحل :الوصول الى البقاع المقدسة ،ثم العودة إلى الديار .

لقد حاول الرحالة المغاربة مد جسور التواصل الحضاري مع المشرق العربي ،لا لكون هذه المنطقة (المغرب العربي)متخلفة حضاريا ،ولكن لكون المشرق العربي له السبق في هذا المجال ،ولأنه يحتوي على أطهر مكان على وجه الأرض وهو مكة المكرمة والمدينة النبوية ،بالإضافة إلى أولى القبلتين ،ومزارات الأنياء والصالحين .وقد حركت هؤلاء رغبة ملحة في لقاء العلماء وتبادل الكتب والمعارف معهم .

وقد توصلنا إلى الدور الذي قام به العياشي في التواصل الحصاري مع المشرق العربي من خلا ل النقاط التالية :

1-نقد المعتقدات الدينية :فقد لفت انتباهه مجموعة من التصرفات التي تخالف معتقد السنة مفندا إياها بالحجة والبرهان ،رغبة منه في الإصلاح إعادة المياه إلى مجاريها .

2-النقد الإجتماعي :من خلا ل نقد بعض التصرفات التي انتشرت في المجتمعات المشرقية وحتى المغربية ،بغية التنبيه عليها لتجنبها .

3-الإجازات :لقد حاول العياشي الحصول على أكبر قدر من ألإجازات المختلفة من العلماء ،وحتى إجازة علماء من المشرق العربي مما يتيح المجال أمام تلاقي الأفكار والتواصل العلمي بين المغرب والمشرق العربيين .

4-نقل الكتب :لقد حاول العياشي أن يوسس لنفسه مكتبة من خلال اقتنائه للكتب النادرة ،حتى أنه يضطر إلى نسخها .

5-الواصل الصوفي :ويتجلى ذالك في مدحه للطرق الصوفية ومقارنتها بنظيراتها في المغرب العربي ،حتى أنه رأى أن بعض الطرق أقرب إلى السنة من غيرها مثل الطريقة النقشبندية ،وحاول نقل هذه التجربة إلى المغرب ،لأنه يرى أنها تتوافق مع الطريقة الشاذلية المنتشرة بالمغرب .

وأخيرا أن ما قمنا به من دراسة لهذه الرحلة يعد بداية لدراسات مستقبلية ،لأنه كما أشرنا سابقا تميز الرحلة العياشية بالموسوعية يجعل محاولة الإحاطة بكل ما جاء فيها من أفكار بعيد المنال ،لذالك يبقى المجال مفتوحا أمام الباحثين لطرح قضايا جديدة في هذه الرحلة .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1-القرآن الكريم برواية ورش

1. أحمد فارس الشدياق – الوساطة في معرفة أحوال مالطة –مطبعة الجوائب – ط2 -1922.
2. انيس منصور-أعجب الرحلات في التاريخ-مطابع الأهرام التجارية مصر – ط13-1995م.
3. إبراهيم مصطفى حسن الزيات – المعجم الوسيط – دار المعارف –بيروت –لبنان –ج1.
4. ابن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت - 1952م .
5. ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة- دار الكتب العلمية-لبنان- ط1-1982م.
6. ابن منظور - لسان العرب -دار صادر بيروت - ط3 - 1414ه-ج11.
7. أبو سالم العياشي –اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر –تحقيق نفيسة الذهبي-كلية الآداب بالرباط- ط1- 1996م.
8. أبو سالم العياشي –الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف- تقديم وتحقيق عبد العظيم صغيري –منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية-1436ه/2015م-ج1 .
9. أبو عبد الله كنون – النبوغ المغربي في الأدب العربي –طنجة دط- 1380ه/1960م –ج1.
10. أبو عبد الله محمد ابن عمر –رحلة ابن رشيد السبتي –ج1.
11. أبو عبد الله محمد بن عمر- رحلة ابن رشيد السبتي – دراسة وتحليل داحمد حدادي ج1-منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية – المملكة المغربية –دط- 2004م ص48-61-49
12. أبو نصر الجوهري - الصحاح - تحقيق أحمد عيد الغفور عطار - دار العالم للملايين - بيروت - ط4 1407 ه 1987 م - ج 4 -مادة رحل.
13. أبو هلال العسكري - كتاب الصناعتين- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان –ط2-1989م .

14.أبو يعقوب السكاكي - مفتاح العلوم – تحقيق نعيم زرزور-دار الكتب الغلمية – لبنان- ط1- 1983م.
15.أحمد ابن فارس - مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ط 1979م -ج6 مادة رحل -
16.أحمد الزيات وآخرون - المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية – دار الدعوة - القاهرة-د ط.
17.أحمد الفاضل –تاريخ وعصور الأدب العربي – دار الفكر اللبناني بيروت- ط1 -2003م .
18.أحمد الهاشمي –جواهر الادب في أدبيات وإنشاء لغة العرب-المكتبة التجارية الكبرى – مصر –ج1- ط27-1969م .
19.أحمد بن عثمان المكناسي – الإكسير في فكاك الأسير- تحقيق محمد الفاسي –الرباط - 1965م- المقدمة.
20.أحمد رضا – معجم متن اللغة – موسوعة لغوية حديثة – بيروت / ج2-د-ط –د-ت .
21.أحمد محمد المعتوق- الحصيلة اللغوية - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت د،ط-1996م.
22.إسماعيل راجي الفاروقي و لويس لمياء الفاروقي –أطلس الحضارة الإسلامية-ترجمة عبد الواحد لؤلؤة-مكتبة العبيكان – الرياض-دط- 1418ه.
23.إسماعيل زدومي –فن الرحلة في الأدب المغربي القديم –أطروحة دكتورة الأدب القديم-عبدالله العشي-قسم اللغة العربية وآدابها باتنة-2004م/2005م-
24.الجاحظ - البيان والتبيين- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان - ج1.
25.الحسن الشاهدي – أدب الرحلة في العصر المريني –ص 58،علي إبراهيم كردي – أدب الرحل في المغرب والأندلس.
26.الخفاجي –سر الفصاحة -د ار الكتب العلمية-لبنان ط1- 1982م.
27.العزوزي حرزولي-التواصل اللغوي في الخطاب القرآني -إشراف لخضر بلخير -أطروحة دكتوراة في علم اللغة - جامعة الحاج لخضر باتنة- 2013/2012م .

28.آمنة تشيكو-مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي –المؤسسة الوطنية للكتاب – دط- 1989م.
29.برنار فاليط – النص الروائي (تقنيات ومناهج) – ترجمة رشيد بنجد و- paris-nathan- 1992م.
30.بشير بوسنة- إسهام سعيد يقطين في الوعي بالتراث السردي – مذكرة لنيل درجة ماجستير – جامعة مولود معمري بتزي وزو -2013- اشراف كوزة بعيون .
31.بول ريكو- الزمان والسرد – تر- سعيد الغامدي- دار الكتاية الجديدة – ط1- 2006م- ج3.
32.بول ريكور - الزمان والسرد- ترجمة فلاح عبد الرحيم - مراجعة جورج زيناني - دار الكتاب الجديد - بيروت - ط 2006م –ج2. .
33.بول ريكور- الزمان والسرد- تر/ سعيد الغانمي- دار الكتاب الجديدة المتحدة- ط1-2006- ج3.
34.تمام حسان – مناهج البحث في اللغة- مكتبة الانجلو المصرية –دط- ج1.
35.تمام حسان –اللغة العربية معناها ومبناها- دار الثقافة –الدار البيضاء- دط- 1994م.
36.تمام حسان –اللغة بين المعيارية والوصفية- عالم الكتب القاهرة – ط4-2000م.
37.جميل حمداوي - التواصل اللساني والسميائي التربوي والثقافي - الألوكة – ط1-2015م.
38.جميل حمداوي - اللغة والتواصل التربوي والثقافي - الألوكة - ط1 -2015م .
39.جورج غريب –أدب الرحلة –تاريخه وإعلامه –دار الثقافة بيروت-ط3-1989م-ص58.
40.جيرار جينيت- خطاب الحكاية- تر/محمد معتصم وآخرون- المجلس الأعلى للثقافة-ط2- 1997م.
41.جورج حراب –الموجز في تاريخ الكشف الجغرا في – تر :عبد العزيز طريح شرف– مؤسسة الثقافة الجامعية –الإسكندرية –دط -1993م.
42.ج –كونتنو- الحضارة الفينيقية –تر : محمد عبد الهادي شعيرة – دار كتب الشرق الاوسط –دط –دت .
43.حسين خمري-نظرية النص-منشورات الاختلاف-الجزائر –ط1- 2007م-ص271.

44.حسيني محمود حسين -أدب الرحلة عند العرب- دار الأندلس للنشر والتوزيع - ط2 1989م

45.حميد لحميداني- بنية النص السردي – المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع بيروت – ط1-1991 م.

46.ركان الصفدي- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري- منشورا ت الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق – دط -2011م.

47.رولان بارت – مدخل الى التحليل البنيوي للقصة – ترجمة د* منذر عياشي – مركز الانماء الحضاري – ط1- 1993 .

48.رولان بارت ومجموعة من المؤلفين –طرائق تحليل السرد الأدبي – منشورات اتحاد كتاب المغرب –ط-1992.

49.رومان جاكبسون – الاتجاهات الأساسية في علم اللغة

50.ساعد خميسي – ابن عربي المسافر العائد – الدار العربية للعلوم ناشرون – ط1- 2010م .

51.سعد الدين السيد صالح – التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية-

52.سعد الدين السيد صالح- التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية –دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة –ط1- 1414ه/1994.

53.سعيد يقطين - السرد العربي مفاهيم وتجليات - رؤية للنشر والتوزيع القاهرة-ط1 2006م .

54.سعيد يقطين – الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)-المركز الثقافي العربي –بيروت – ط1-1997 م .

55.سليم حمدان-أشكال التواصل في التراث البلاغي – إشراف محمود بوعمامة- ماجستير في لسانيات الخطاب- جامعة لخضر باتنة-2008/2009م.

56.شلوميت ريمون كنعان – التخييل القصصي – تر/لحسن حمامة- دار الثقافة الدار البيضاء –ط1- 1995 م.

57.صالح بوترعة-آليات التواصل عند ابن عربي-إشراف محمد بوعمامة –ماجستير في لسانيات الخطاب-جامعة الحاج لخضر باتنة-2008/2009م.

58.صبحي ابراهيم الصالح - دراسات في فقه اللغة – دار العالم للملايين – ط1- 1960ج1.
59.صبري فارس الهيثي – التراث الجغرافي العربي الإسلامي – دار الوراق للنشر والتوزيع – ط1-2007م.
60.صلاح الدين علي الشامي –الرحلة عين الجغرافيا المبصرة –ط2 –دت..
61.صبري فارس الهيثي- التراث الجغرافي العربي الإسلامي- دار الوارق للنشر و التوزيع – ط1 2007م .
62.صورة الغرب في الرحلة المغربية – رحلة الصفار نموذجا –مقال مجلة المنعطف وجدة- العدد6،7- د،ط 1414ه/1393م.
63.عبد الحكم عبد الله الصعيدي – الرحلة في الإسلام – الدار العربية للكتاب –ط1-1992- ص65-
64.عبد الرحمان ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون –ج1-دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع (د –ط) 1431هجري/2001م.
65.عبد الرحمان ناصر السعدي - تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان - تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق - دار ابن حزم د، ط1416هـ /1984م.
66.عبد العزيز بن عثمان التويجري – التو اصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب –منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم و الثقافة إيسيسكو-دط- 1431ه/2010م.
67.عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف- موقع الطريقة الشاذلية الزرقاوية – د ط –، د ت .
68.عبد الله الغذامي –الواقع الثقافي للإنسان العربي ، رؤية في ما هو واقع وفي ما هو مأمول –ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي –مكتبة الملك عبد العزيز -الرياض- 1423ه/2002م.
69.عبد الله المرابط الترغي – فهارس علماء المغرب –منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية-تطوان –ط1-1999م.

70.عبد الله بن محمد العياشي-الرحلة- تحقيق سعد الفاضلي وسليمان القرشي – دار السويد للنشر والتوزيع أبو ظبي- ط1-2006م –ج1.
71.عبد الله كنون- النبوع المغربي- ص283-284 وأبو سالم العياشي - إتحاف الأخلاء بايجازات المشايخ الأجلاء.
72.عبد المالك مرتاض- في نظرية الرواية
73.عبد الهادي التازي –رحلة الرحلات مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة- مراجعة د- عباس صالح طاشكيندي –مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي –(د-ط) -142هـ/2005م – ج2.
74.عبد الهادي بن ظافر الشهري - استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية - دار الكتاب الوطنية بنغازي ليبيا- ط1 -2004م.
75.علي إبراهيم كردي – أدب الرحل في المغرب والأندلس –الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق-2013م.
76.عمر عبد العزيز السبف- بنية الرحلة في القصيدة العربية –الانتشار العربي –ط1-2003م.
77.عواطف محمد يوسف نواب - الرحالات المغربية والأندلسية - مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين- دراسة تحليلية مقارنة –الرياض 1417ه/1996م .
78.فاطمة بوطبسو - أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس - إشراف عبد الله حمادي- رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة قسنطينة ط 2011 -ص03، ولطيف زيتوني -االسيمولوجيا والأدب - مجلة عالم الفكر-الكويت - مج24- ع3- ط 1996 .
79.فان ديك- النص والسياق - ترجمة عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق –المغرب- دط-2000م-.
80.فلاديمير بروب – مورفولوجية القصة – ت. د/عبد الكريم حسن – شراع للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق . ط1 – 1995.
81.فوزي السيد عبد ربه- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين-مكتبة الانجلو مصرية –القاهرة-دط- 2005م.

82.كريم زكي حسام الدين – اللغة و الثقافة-دار غريب القاهرة –ط2- 1421ه/2001م.
83.لطفي عبد البديع –التركيب اللغوي للأدب – دار المريخ للنشر – دط- 1989م.
84.مالك بن نبي – شروط النهضة – ترجمة عمر كامل مسكاوي- دار الفكر- دمشق دط – دت .
85.مجدي وهبة وكامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب – مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت - ط2- 1984م .
86.محمد السروتي –التواصل الحضاري الذي نتغياه –مقال صدر 2008/06/10م.
87.محمد جلاء إدريس- العلاقات الحضارية- دار القلم – دمشق -ط1-1424ه/2003م.
88.محمد حجي – الحركة الفكرية في عهد السعديين - منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – ج2.
89.محمد حجي – الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي-ط2- 1409ه/1988م.
90.محمد غنيم هلال –النقد الأدبي الحديث-دار مطابع الشعب 1960م.
91.ناصر عبد الرزاق الموافي- أدب الرحلات عند العرب –الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري-دار النشر للجامعات المصرية –مكتبة الوفاء ط1- 1415ه/1995م .

92. - حسن عاصي –التفسير القرآني واللغة الصوفية عند ابن سينا –المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –ط1- 19983م.
93. - سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي –نظريات الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام –دار المنارة –السعودية
94. - عاطف جودة نصر – الرمز الشعري عند الصوفية –دار الاندلس /بيروت –ط1- 1978م.
95عبد الرزاق الكاشاني (730ه)-تح:عبد العالل شاهين –معجمم المصطلحات الصوفية –دار المنار للنشر والتوزيع /القاهرة-ط1- 199.12م.

95. - عبد الرزاق الكاشاني –معجم اصطلاحات الصوفية –تح :عبد العالي شاهين –دار المنار -1992م-ص :278/277

96. - عدنان حسين الجوادي- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي- -دار الرشيد للنسر –العراق –دط- 1973م-

97. - محمد بن بريكة –التصوف الاسلامي من الرمز الى العرفان –دار المتون للنشر والتوزيع –ط1 -2006م.

98. - محمود علي مكي –المدائح النبوية –الشركة المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع –ط1- 1991م-.

99. - نهاد خياطة –دراسة في التجربة الصوفية –دار المعرفة –ط1 -1994م.

100. - وضحي يونس –القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع –اتحاد الكتاب العرب –دمشق –دط –دت.

101. - مسلم حسب حسين –جماليات النص الأدبي –دار السياب –لندن ط1 –2007م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

الموضوع **الصفحة**

الملخـــــص:

تمثل الرحلة العياشية بطابعها الأدبي المتميز فترة زمنية ضعف فيه الأدب ،فغلبت عليه الصنعة والتكلف ،لذالك لم يشذ ابو سالم عن أسلوب العصر ،لكن كان له لمسة ابداع في رحلته ، حيث استخدم مستويات لغوية مختلفة وهي كالتالي :المستوى الأول :سرد الأحداث وفيها كان الأسلوب سهلا بسيطا بعيدا عن التعقيد ،يعتمد فيه على الجمل القصيرة ،وفق نمط سردي مع توظيف ظروف الزمان والمكان بدقة .المستوى الثاني :مناقشة المسائل الفقهية ،معتمدا على المصطلحات الفقهية وبهذا يندرج هذا المستوى ضمن أدب الفقهاء على رأي العالم المغربي عبد الله فكون المستوى الثالث :بحكم تكوين العياشي الصوفي انعكس ذالك على أسلوبه عندما يخوض في مسألة من مسائل التصوف ،فيتكلم بلسان حالهم معتمدا على الرمز والإشارة على عادة رواد التصوف كابن عربي والحلاج ،فنحن أمام أسلوب خاص صنعه المتصوفة ليلائم تجربتهم الذوقية وقد قامت الرحلة العياشية بدور هام في إذابة الجليد بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه ، وقد دونت هذه الرحلات خلاصة هذا الإلتقاء والتوافق وخصوصا الرحلات التي انطلقت من المغرب العربي والتي كانت وجهتها الحجاز(الرحلة الحجية) ،وتعد رحلة أبي سالم العياشي أحد أهم هذه الرحلات لتجسيدها مفهوم التواصل الحضاري بدقة من خلال حلقات العلم التي عقدها الرحالة بمختلف دول الشرق ،بالإضافة الى الإجازات العلمية التي حصل عليها أو التي أجازها لغيره،من منطلق العالم المنفتح الذي وضع الأسس العلمية مقياسا للحكم على مختلف الظواهر التي تعترضه.

الكلمات المفتاحية :الرحلة –العياشية –التواصل –المشرق –المغرب .

The Summary:

The trip as a distinct moral character a time period of weakness in the literature, it workmanship and sophistication, not much depart Abu Salem from the style of the times, but has a touch of creativity in his trip, where the use of fabricated linguistic levels are as follows: Level I: The narrative of the events and was easy simple way away from the complex, depends on the short sentences, according to the narrative style with the employment conditions of time and place .The second level: the discussion of doctrinal matters, depending on the terminology of doctrine and thus fall within this level within the forums scholars to view the world and the fact that the third level: by virtue of the composition of the Sufi iashi reflected piece style when engaged in questions of mysticism, a spokeswoman for their Destructiveness, depending on the symbol and the reference usually astronauts mysticism son Arabic Al-adaweya, we before A special method of manufacture. الذوقية Sufis to fit their experience.The Arabic trip played an important role in melting ice between two parts of the Islamic World in its eastern and western. Trips had made a summary about the connection and the agreements. Especially, the trips that came from the Northern African Countries to Ell- Hedjaz (the pilgrimage trip). The trip of Abe Salem Ell- Aiachi was one of the important trips that made the concept of the civilian connection, more exactly through circles of science which trippers were made it in different eastern countries. . In addition to this, the scientific journeys that he gained or he gave it for another from opened world; it put the scientific essential.

Keywords: journey - life - communication - the Mashreq - Moroccan.

resume

Le voyage Alyakah représente le caractère de la période de l'excellence littéraire de temps la faiblesse de la littérature, trompé par la fabrication et maniérismes, la pièce Abu Salem fait pas exception au style de l'âge, mais il était sa touche de créativité dans son voyage, où il a utilisé les niveaux de langue ont été fabriqués comme suit: Premier niveau: les événements sont répertoriés et où la méthode simple, facile loin de la complexité, qui repose sur des phrases courtes, selon un style narratif avec le temps de recrutement et les conditions avec précision .almistoy II: discuter des questions doctrinales, sur la base des termes de doctrine et donc ce niveau se situe dans la littérature des chercheurs sur l'avis du niveau de fait mondial marocain Abdullah III: En vertu de la composition de Ayashi En reflète la pièce sur son style quand il est en cours d'exécution en quelques questions mysticisme, prendre un porte-parole de leur état basé sur le symbole et la référence est généralement les pionniers du soufisme Kappen arabe et Hallaj, nous avons une technique spéciale créée par les Soufis en fonction de leur expérience gustative a un vol Alyakah un rôle important dans la fonte de la glace entre le méchant monde musulman parties claires et occidentales, et ces voyages ont enregistré un résumé de cette rencontre et la compatibilité, en particulier des vols lancés à partir du Maghreb, qui faisait partie du Hijaz (vol authentique), est Abou Salem Ayachi voyage plus important de ces voyages pour incarner le concept de communication culturelle avec précision grâce à des ateliers scientifiques organisés par Waller Air dans divers pays de l'Est, en plus des vacances scientifiques obtenus ou approuvés par l'autre, hors d'un monde ouvert, qui posent les bases scientifiques d'une mesure de jugement sur divers phénomènes rencontrés.

Mots-clés: Voyage - Vie - Communication - Mashreq - Maroc

an introduction:
Praise be to Allah who has dignity and power and the king and the kingdom, and has the names of the beautiful and the blessings, peace and blessings be upon our master and Mullah Muhammad peace be upon him, which led to the virtues of the universe before contracting the individual and the Sabbath and his family and companions,
Man lives in this life since he was born until he dies in various forms of self-travels through the days and the changing circumstances and circumstances. There is a journey from childhood to adulthood and from world of piety to the world of marriage and city-to-urban trips, On this basis we chose the subject of the journey that was actually done within the place as the main dimension in the production of material of a literary and human nature reflected on the vision of the author, or what is called literature Trips .The theme of travel literature is varied. It takes its character and privacy according to the purpose of the journey itself. If the destination is scientific, the voyage is scientific, although tourism is tourist. We have chosen one of these types: Hijaz, And is attributed to the Hejaz by virtue of destination, and the traveler not only visits the holy sites of pilgrimage; but other places that have a sanctity in the hearts of Muslims on the Holy Jerusalem and visit the shrines of the righteous. The Arab Maghreb was the starting point for these Moroccan Hijaz flights. Abu Salem Al Ayashi Tour (Table Water). Which was launched from the Far Morocco to the land of the Hijaz, which is in two volumes, and we chose this trip in order to

reveal the course of the trip to the Ayyashiyah and places visited, and the most important scientists who have been confused. Because Ayachi not only satisfied with other travelers, His journey to Al-Quds Al-Sharif to meet with men and friction with them, and toured places and shrines, and also to the subject, where the trip included art of science and colors of knowledge.

The most important study we have relied upon in this research is the work of the dean of Sa'id al-Fadhli in his introduction to the journey, and the letter of Dekthorah to Ismael Zardoumi, entitled: The art of the journey in the ancient Moroccan literature, and some studies of Moroccan literature, And the journey of the journey to Morocco in the era of Marini. In addition to the books of travelers, which included the translation of Ayachi, including: Tracing after the impact, the defiance of the evacuees summaries of the sheikhs of the Evangelists., And the judgment of justice and equity. In addition to what the Orientalist Karashovsky In his book Geography Literature at .

In this study, we tried to uncover the value of the literature of the journey from the linguistic point of view as a summary of the experience of the travelers and the age in which they were written, trying to search for the strengths and weaknesses according to the problem: What is the linguistic value of the journey Alayaship, and what levels of narrative within the journey? A Moroccan traveler was the destination of the Hijaz to perform the rituals of pilgrimage and visit the holy places, and meet scientists and friction with them, we decided to search for the role of the journey in linking the

bridges of civilized communication between the Muslim world's bright and bright.

We have developed a research plan consisting of:

1. Introduction.

2 - Entrance: Follow us the evolution of the journey through the ages.

3 - Chapter I: The journey in the human heritage The chapter included two sections: A - The first topic: What is the journey (the concept of language and terminology).

B - The second topic: the journey in the Arab heritage.

3 - Chapter II: Civilizational Communication has included two sections:

A - The first topic: the concept of communication language and terminology.

B - The second topic: the concept of cultural communication (the concept of civilization - between dialogue and communication

- The concept of cultural communication.

4 - Chapter III: Abu Salem Al - Ayashi and his trip water tables. It included two sections:

A - The first topic: Translation of Abu Salem Alayashi.

B - The second topic: definition of the journey Alayaship.

5 - Chapter Four: The linguistic and literary value of the journey of the Ayyashid and its role in cultural communication with the Arab Mashreq.

A - The first topic: the linguistic and literary value of the journey Alayaship

- The purposes of Sufi literature in the journey of the Ayyash.

B - The second topic: the role of the journey in the social dimension of the cultural interaction with the Arab Mashreq.

6 - Conclusion: It summarizes the main findings reached in the research and the most important recommendations.

During the research process, we encountered a variety of difficulties and obstacles, most notably the lack of specialized references, especially with regard to the linguistic aspect (linguistic studies), as well as the complexity of research and its overlap with different research fields such as history and Sufism, which caused confusion to the researcher. Finally, I thank the supervisor of the letter and the efforts exerted to get this work out, and everyone who contributed guidance or advice.

Done in Tlemcen on 04/06/2017.

الملخـــص:

تمثل الرحلة العياشية بطابعها الأدبي المتميز فترة زمنية ضعف فيه الأدب ،فغلبت عليه الصنعة والتكلف ،لذالك لم يشذ ابو سالم عن أسلوب العصر ،لكن كان له لمسة ابداع في رحلته ، حيث استخدم مستويات لغوية مختلقة وهي كالتالي :**المستوى الأول** :سرد الأحداث وفيها كان الأسلوب سهلا بسيطا بعيدا عن التعقيد ،يعتمد فيه على الجمل القصيرة ،وفق نمط سردي مع توظيف ظروف الزمان والمكان بدقة **.المستوى الثاني :مناقشة المسائل** الفقهية ،معتمدا على المصطلحات الفقهية وبهذا يندرج هذا المستوى ضمن أدب الفقهاء على رأي العالم المغربي **عبد فكون المستوى الثالث :بحكم** تكوين العياشي الصوفي انعكس ذالك على أسلوبه عندما يخوض في مسألة من مسائل التصوف ،فيتكلم بلسان حالهم **معتمدا على الرمز والإشارة على عادة رواد التصوف كابن عربي** والحلاج ،فنحن أمام أسلوب خاص صنعه المتصوفة ليلائم تجربتهم الذوقية وقد قامت الرحلة العياشية بدور **هام** في إذابة الجليد بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه ، وقد دونت هذه الرحلات خلاصة هذا الإلتقاء والتوافق وخصوصا الرحلات التي انطلقت من المغرب العربي والتي كانت وجهتها الحجاز(الرحلة الحجية) **،وتعد رحلة أبي** سالم العياشي أحد أهم هذه الرحلات لتجسيدها مفهوم التواصل الحضاري بدقة من خلال حلقات العلم التي عقدها الرحالة بمختلف دول الشرق ،بالإضافة الى الإجازات العلمية التي حصل عليها أو التي أجازها لغيره،من منطلق العالم المنفتح الذي وضع الأسس العلمية مقياسا للحكم على مختلف الظواهر التي تعترضه.

الكلمات المفتاحية :**الرحلة** –العياشية –**التواصل –المشرق –المغرب** .

The Summary:

The trip as a distinct moral character a time period of weakness in the literature, itworkmanship and sophistication, not much depart Abu Salem from the style of the times, but has a touch of creativity in his trip, where the use of fabricated linguistic levels are as follows: Level I: The narrative of the events and was easy simple way away from the complex, depends on the short sentences, according to the narrative style with the employment conditions of time and place .The second level: the discussion of doctrinal matters, depending on the terminology of doctrine and thus fall within this level within the forums scholars to view the world and the fact that the third level: by virtue of the composition of the Sufi iashi reflected piece style when engaged in questions of mysticism, a spokeswoman for their Destructiveness, depending on the symbol and the reference usually astronauts mysticism son Arabic Al-adaweya, we before A special method of manufacture.الذوقية**Sufis to fit their experience.The Arabic trip played an important role in melting ice between two parts of the Islamic World in its eastern and western. Trips had made a summary about the connection and the agreements. Especially, the trips that came from the Northern African Countries to Ell- Hedjaz (the pilgrimage trip). The trip of Abe Salem Ell- Aiachi was one of the important trips that made the concept of the civilian connection, more exactly through circles of science which trippers were made it in different eastern countries. . In addition to this, the scientific journeys that he gained or he gave it for another from opened world; it put the scientific essential.**

Keywords: journey - life - communication - the Mashreq - Moroccan.

Résumé:

Le voyage Alyakah représente le caractère de la période de l'excellence littéraire de temps la faiblesse de la littérature, trompé par la fabrication et maniérismes, la pièce Abu Salem fait pas exception au style de l'âge, mais il était sa touche de créativité dans son voyage, où il a utilisé les niveaux de langue ont été fabriqués comme suit: Premier niveau: les événements sont répertoriés et où la méthode simple, facile loin de la complexité, qui repose sur des phrases courtes, selon un style narratif avec le temps de recrutement et les conditions avec précision .almistoy II: discuter des questions doctrinales, sur la base des termes de doctrine et donc ce niveau se situe dans la littérature des chercheurs sur l'avis du niveau de fait mondial marocain Abdullah III: En vertu de la composition de Ayashi En reflète la pièce sur son style quand il est en cours d'exécution en quelques questions mysticisme, prendre un porte-parole de leur état basé sur le symbole et la référence est généralement les pionniers du soufisme Kappen arabe et Hallaj, nous avons une technique spéciale créée par les Soufis en fonction de leur expérience gustative a un vol Alyakah un rôle important dans la fonte de la glace entre le méchant monde musulman parties claires et occidentales, et ces voyages ont enregistré un résumé de cette rencontre et la compatibilité, en particulier des vols lancés à partir du Maghreb, qui faisait partie du Hijaz (vol authentique), est Abou Salem Ayachi voyage plus important de ces voyages pour incarner le concept de communication culturelle avec précision grâce à des ateliers scientifiques organisés par Waller Air dans divers pays de l'Est, en plus des vacances scientifiques obtenus ou approuvés par l'autre, hors d'un monde ouvert, qui posent les bases scientifiques d'une mesure de jugement sur divers phénomènes rencontrés.

Mots-clés:Voyage - Vie - Communication - Mashreq - Maroc

Conclusion

From this we deduce the art of trekking as a syllabic art whose composition is intertwined with several sciences, the most important of which is history, geography and the story. The biography, which is often related to the desire of the most urgent traveler to be somewhat integrated, tries to give it an encyclopedic character. Abu Salem al- In this field because his journey was characterized by the diversity of science from jurisprudence, modernity, Sufism, biography, etc., which makes the issue of naturalization of the journey as a vessel with its specificities and rules are elusive in light of the complexity of these arts.

The journeys from the literary aspects, which qualifies it to be an independent literary art, can be called the literature of trips, which is a rich prose based on the narration of events and narration, based on the observation and viewing, starting with the trip and ending in the back .. The description is the main element on which the traveler dependsThe journey literature is considered one of the primary influences of the art of the Arabic story along the lines of the Maqamat and other narrative arts in ancient Arabic history.

The Hijaz flights are considered the most important types of marshes by virtue of the wide range of travelers' interest and their connection to the pilgrimage. Therefore, the trip was the most important Hijazi Moroccan trip that took place from Morocco through the city of Ta'at. The stations stopped him and showed his moments and the transfer of the summary of his observations, which are historical evidence less similar in history books.

After studying the journey of the Ayyashid as a literary text of its artistic independence, trying to search for its linguistic and literary value, we reached the following results:

- The value of the literary text in terms of language is determined by the amount of harmony between the words and meanings, in the sense of matching words to the case with the achievement of harmony

- The composition of Ayyashi religious and literary was reflected on the text and showed different linguistic levels as follows:

The first level: narration of events in which the method was a simple easy away from the complexity, relying on the short sentences, according to the narrative pattern with the use of time and space conditions accurately.

The second level: the discussion of jurisprudential issues, based on the jurisprudential terminology, and this level falls within the literature of the jurists on the opinion of the Moroccan world Abdullah Fakun.

Third Level: By virtue of the formation of Ayyashi Sufi, this was reflected in his style when engaged in the issue of Sufism, speaking in the language of their case based on the symbol and reference to the habit of Sufi Sufism as an Arab and Hallaj, we have a special style made by Sufis to suit their taste experience.

Through the melting of these levels in a single crucible through which we can distinguish a narrative narrative of integrated construction, which has the agreed elements are:

Personal: Main: The traveler is the same as being the engine of

events and the controller in its process.
Secondary characters: represented in the personalities that Ayachi met with elders, scientists, etc.
Time: It is precisely defined from the starting time to the arrival time.
Place: It appears in the places visited or passed by.
Dialogue: This is what happened to the characters of the trip.
Node: The desire to reach with what the traveler faces from hardships.
Solution: Access to the holy sites, then return home.
The Moroccan travelers have tried to bridge the bridges of civilization with the Arab Orient, not because this region is backward, but because the Arab Orient has a head start in this area and because it contains the purest place on the face of the earth, Mecca and the Prophet's city, The two shrines, and the shrines of the prophets and the righteous. They moved an urgent desire to meet scientists and exchange books and knowledge with them.
We have reached the role played by Al Ayashi in the exclusive communication with the Arab Mashreq through the following points:
1 - Criticism of religious beliefs: He drew attention to a set of actions that contradict the belief of the Sunnis, citing them argument and proof, in order to reform the return of water to the streams.
2 - Social criticism: Criticism of some of the behaviors that spread in the Eastern and Moroccan communities, in order to be alerted to avoid them.
3. Vacations: Ayyashi tried to obtain the greatest number of different leaves from the scholars, and even to leave scientists from

the Arab Mashreq, which allows for the convergence of ideas and scientific communication between the Arab Maghreb and Levant.
4 - The transfer of books: Ayyashi tried to establish himself a library through the acquisition of rare books, so he had to copy them.
5 - The Sufi Sufi: This is reflected in his praise of the Sufi methods and comparing them with their counterparts in the Maghreb, so he saw that some of the ways closer to the year than others, such as Naqshbandi method, and tried to transfer this experience to Morocco,
Finally, what we have done to study this trip is the beginning of future studies, because, as we have already pointed out, the journey of the Ayyashiyyah is characterized by a missionary nature that makes it impossible for the researchers to present new issues on this journey

هوامش الدراسة :

1 - أبو الحسن احمد ابن فارس-مقاييس اللغة- تحقيق عبد السلام محمد هارون-دار الفكر – دط –دت مادة رحل.

2 - أبو نصر الجوهري – الصحاح- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العالم للملايين – بيروت –دط 1987- ج6 مادة رحل.

3 - مجدي وهبة وكامل المهندس- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب- مكتبة لبنان – ط2 1984- ص17.

4 - أحمد الفاضل – تاريخ وعصور الأدب العربي – دار الفكر اللبناني -

5 - عواطف يوسف تواب – الرحلات المغربية والأندلسية- الرياض – دط -1996ص 30.

6 - ينظرحسين نصار – أدب الرحلة – الشركة المصرية العالمية للكتاب- ط1 1990.

7 - صالح أحمد العلي – الحجاز في صدر الإسلام – مؤسسة الرسالة –بيروت – ط1-1990ص 07

8 - مرجع نفسه ص 08.

9 - أبو سالم العياشي- اتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء- دار الغرب الإسلامي – ط1 1999م- ص25.

10 - مصدر سابق ص:25.

11- ينظر عبد الهادي التازي-رحلة الرحلات-

12- أبو سالم العياشي- الرحلة العياشية-تحقيق سعيد الفاضلي –دار السويدي للنشر والتوزيع-الإمارات-ط1 2006-ص02.

13 - المصدر نفسه ص:52-53.

14 - المصدر نفسه ص:53.

15 - سعيد الدين صالح- التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية- دار الصحوة للنشر والتوزيع- ط1 2005 ص:24-25.

16 - ينظر عواطف بنت محمد يوسف نواب-كتب الرحلات في المغرب الاقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز-دار الملك عبد العزيز-الرياض 2008-ص 20-21.

17 - ينظر الحسن الشاهدي- ادب الرحلة بالمغرب في العهدالمريني- منشورات هكاظ- ج1 دط دت ص 587.

18 - عبد النبي ذاكر- العين الساخرة – المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة – ط1- مارس 2000م- ص :10-11.

19 - ابوسالم العياشي- الرحلة العياشية –ج1 ص 107.

20 - المصدرالسابق- ص :15.

21 - المصدر نفسه ص 15.

22 - المصدر نفسه ص 18.

23 - المصدر نفسه –ص-114.

24 - مصدر سابق-ص :222.

25 - المصدر نفسه ص:122.

26 - المصدر السابق ص: 22

27 - المصدر نفسه282.

28 - أبو سالم العياشي – اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر – تحقيق نفيسة الذهبي- منشورات كلية الاداب والعلوم- الرباط – ط1- 1996م- ص 21- 22.

29 - المصدرالسابق ص56.

30 - أبو سالم العياشي – الرحلة العياشية ص: 115.

31 - ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي- الوجازة في الاثبات والاجازة –فهرسة الملك فهد الوطنية –الطائف –دط –1428ه-ص21.

32 - المرجع نفسه –ص 22.

33 - المرجع نفسه –ص 22.

34 - المرجع نفسه ص 27.

35 - ابو سالم العياشي – اتحاف الاخلاء ياجازات المشائخ الاجلاء- ص 68 69

36 - المصدر نفسه ص:69.

37 - ينظر ابو سالم العياشي- اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر –ص 57-58-59.

الاطلاق "(32)،ولا يصل طالب العلم لهذه المرتبة إلا بعد مجالسة العلماء لفترة طويلة يثبت من خلالها جدارته وأحقيته بالإجازة ،فهي شهادة اعتراف بالقدرة العلم والإجازة لفظا ومعنى "للحفاظ على الإسناد واتصاله وتسلسل رجاله والإنتساب لكتب السنة وغيرها ،فكانت معيارا لذالك وعنوانا على الطبقات واللقي والمعاصرة وغيرها من تحاسين الرواية وأفانين الاجازة .." (33)،فهي تعطي لطالب العلم الحق في الإجتهاد في المسائل الفقهية .

كان مما يسعى إليه طالب العلم قديما هو الإجازة ،فكانت في الصدر الإول مقرونة بالعلم حلا وترحالا فلا يذكر العلم إلا ذكرت ،ولا يعرف العالم إلا اذا عرفها ،ولا يعرف الحق من الباطل إلا إذا صح سندها ..." (34)،ففضلها يكمن في إثبات السند والتأكد من صحة المرويات ومالكها يملك الأهلية للقيام بهذه المهمة الجليلة .

فهي وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل تكون بأشكال مختلفة شفوية وكتابية عامة وخاصة نثرية ونظمية ، ولا تنال إلابعد استيفاء شروطها أملا في ربط الصلات الثقافية بين الشرق والغرب ،ولأن ذالك يعتبر مظهرا من مظاهر النبوغ العلمي كانت الإجازات التي تحصل عليها كبيرة خصص لها فيما بعد كتابا خاصا سماه اتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء ، وسوف نستعرض أهم هذه الإجازات التي حصل عليها العياشي .
نذكر من الشيوخ المشارقة الذين أجازوا أبا سالم الشيخ **إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري** وكان له اهتمام بالغ بالرواية وحفظ الأسانيد واستجاز محمد بن رسول الشهرزوري من أئمة الفقه المالكي بالمدينة المنورة"(35)كما أخذ عن "أحمد بابا التمبكتي ذكر العياشي أنه لقيه ببسكرة ولقنه الذكر وأجازه كما لقيه بالأسكندرية، كما أجازه الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الشافعي الأنصاري الخليلي من المدينة المنورة ، وعمر بن عبد القادر المشرقي وهناك العديد من الإجازات لعلماء مشارقة ومغاربة لا يتسع المقام لذكرهم"(36).
هذه الإجازات المختلفة التي حصل عليها العياشي تنم عن رغبة في التوفيق بين علوم المشرق بحكم أسبقيته الحضارية و علوم المغرب باعتبارها منطقة لحقت الركب الحضاري ،فهو لايرى تعارضا بينهما بل يرى التكامل في التوفيق بينهما، وهذا ما يفتح الطريق أمام المثقفين في القطرين الى انتهاج نفس الاسلوب في التعامل .وقد أجاز العياشي العديد من طلبة العلم خاصة في المدينة ومصر.

دور أبي سالم في ربط الصلات بين المشرق والمغرب:

قام أبو سالم بدور إيجابي في حركة فكرية بين المغرب والمشرق وأضاف أثرا طيبا الى سلسلة العلاقات الثقافية بين البلدان الاسلامية المختلفة ،وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات مختلفة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعيا وإقتصاديا وثقافيا ،إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقاته المشرقية خلال القرن 17 م ونستطيع أن نبرز مجالات هذه المشاركة من خلال الأمثلة التالية:

أ-حرص أبو سالم على معرفة كل انتاج أدبي جديد في ميدان التأليف ،فكان أول من أدخل كتاب "**نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض**"،بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره وسهر بنفسه على استنساخه.
ب- نقل أبو سالم عددا من رسائل الشيخ إبراهيم الكوراني في مسألة الكسب ،وقد أثارت مناقشات طويلة بين علماء فاس والمدينة المنورة ،وألف من أجل الرد على أقوال الشيخ الكوراني ،كل من الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه السيد المهدي بن أحمد الفاسي وتلطفا في إظهار مخالفتهما لأرائه ،بينما تشدد بعض المغاربة وانتصروا لآراء علماء فاس"
ج- أثارت مسألة التبغ ضجة في المغرب منذ مستهل القرن 17م،فسجل أبو سالم الكلام حول الموضوع ،فالشيخ صفي الدين القشاشي أحد رجال العلم بالمدينة ،يميل إلى كراهية استعمال الدخان ،في حين أن الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني يتصدى لمن يميل الى الإباحة وقد ألف من أجل ذالك رسالة سماها (محدد السنان في نحور إخوان الدخان)." (37)هذا الأخذ والرد في المسائل العلمية والفقهية المثارة آنذاك يدل على نشاط فكري كان للرحالة يد طولى فيها ،فأبو سالم كان حريصا على غلق الفجوة الثقافية بين المشرق والمغرب العربي ن خلال مراسالاته ومناظراته المختلفة.
ما يمكن استخلاصه بعد استعراض الدور الذي قام به أبو سالم العياشي في التواصل الحضاري مع المشرق مايلي:
أن الرحلات المغاربية الحجازية كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب الى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي.
لقد رأى أبا سالم العياشي أنه من الواجب على العالم الحقيقي أن يطلب العلم من معينه الأصلي ومن الشيوخ ذوي السبق ، فكانت رحلته حافلة حافلة بالمسائل العلمية المختلفة ،حيث جمع بين علوم المغاربة والمشارقة خصوصا في المجال الفقهي والصوفي، حتى أنه خصص من وقته للتدريس في البلاد المشرقية،في تواصل حضاري حقيقي بين المغرب والمشرق العربي.وما الإيجازات التي أجازها لغيره خير اثبات لهذا الدور.
أن الرحلة العياشية حافلة بالعديد من المسائل العلمية المختلفة التي تحتاج الى من يميط اللثام عنها ،والمجال مفتوحا أمام الباحثين للقيام بهذا الدور.

ويورد بعض جهالات العامة حيث يقول: "حكى لي بعض المجاورين أنه وُجد في في بعض المواسم رجل مع امرأة في الحرم الشريف فحُملا إلى الحاكم فشهدت البينة أنها زوجته وقيل له: ما حملك على ما فعلت؟ فقال له: إنه لا ولد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم فعُذر بجهله ولم يعاقب"(22) ،مما يعتبره تعد صريح على أحد الحدود وتساهلا في تطبيق الاحكام الشرعية ،وفي موضع آخر ينتقد بعض الائمة وجهلهم بقواعد خطبة الجمعة "...ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجمعة وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية ،وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة ،فكنت أتخوف ألا تصح لنا جمعة معه ان كانت صلاته كخطبته"(23)

والملاحظ أن العياشي حريص على ذكر الأسباب الموضوعية وراء الإنتقادات التي يوجهها، ليس أن الغرض المرجو هو التقويم لا مجرد النقد فقط، وهذا يجعل منه شخصية مرنة يقبل الناس على شتى أفكارها بكل أريحية.

النقد الاجتماعي في الرحلة العياشية كحلقة تواصل:

كان للملمح الاجتماعي في الرحلة العياشية النصيب الأكبر بحكم معاشرة العياشي لسكان المشرق وأهل الحجاز خصوصا ،ويورد خصائص بعض المجتمعات من خلال معاينته لها، فيقول عن المجتمع المصري"وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا لا تستغرب شيئا مما يحكى منها من خير
أو شر و مصداق ذلك ما حدثنيه بعض أصحابنا من التجارفي سنة أربعة وستين قال :لما دخلت مصر في حدود الخمسين سكنت بعض الوكائل وكان من قدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة من فلان وفلان تجار وفلان طالب علم وفلان ممن يليق الى طريق الفقر وفلان ممن يميل إلى المجون...فيقول التاجر :ما رأينا مثل هذا البلد في التجارة فأهلها كلهم تجار ،ويحكي خلال ذلك حكاية ما شاهد ،ويقول الفقيه مثل ذلك والفقير مصل ذلك وذو المجون مثل ذلك ،وما ذلك إلا كثرة أجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن ،فيظن أن أهل البلد كلهم كذالك"(24)،وقد مكث في الحجاز لفترة لا بأس بها، وقد كان حريصاً على الإشارة إلى الخلل الذي يعاينه حتى لو كان بسيطا، وقد أورد بعض العادات الاجتماعية المستحبة لسكان الحجاز كقوله: "مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البُن لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب والناس يقدمون عليهم من الآفاق والإنسان لابد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل جديد يدخل عليهم..." (25) ، هذه الملاحظة تدل على احتكاك العياشي للمجتمع الحجازي وغوصه في أعماقه.

ويتحدث العياشي عن المرأة المدينية وميولها نحو البذخ والترف فيقول: "ولقد أخبرت أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخشخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار فربما بلغ ذلك ريالاً كل يوم"(26)، وهو يعيب عليها إسرافها في الزينة وفي الشكليات، ومن الآفات الاجتماعية الخطيرة التي سجلها العياشي نذكر آفة الرشوة التي وجدت في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ساد خلال القرن الحادي عشر

والتي مست جميع المهن بما فيها المهن الشرعية حيث يقول: "والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازا ومصراً وشاما من إمامة وخطابة وآذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة.. إنما تُنال بالشراء من الولاة"(27)، والواقع أن رحلة العياشي تقدم ففكرة واضحة عن الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه خلال القرن الحادي عشر.

التواصل الصوفي في الرحلة العياشية:

يعد أبا سالم العياشي فقيهاً عالماً متبّعاً نهج التصوف وهذا يعود إلى نشأته الصوفية التي حصل عليها من الزاوية العياشية "وتقع الزاوية العياشية أو زاوية سيدي حمزة كما تسمى اليوم على ضفاف أحد روافد نهر زير جنوبي مدينة تيدلت، والملاحظ طبيعياً أنها محصنة بحدود جبلية تمثلها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداي... أما طريقة الزاوية العياشية فكانت شاذلية وشيوخ محمد بن أبي بكر كلهم شاذليون وقد تأصلت هذه المبادئ لدى أبناء الزاوية العياشية وعلى رأسهم أبو سالم"(28)، الذي سار على نهج الزاوية في طريقتها الصوفية ولم يحد عنه.

تتجلى شخصية أبي سالم المتصوفة في كونه كان حرصاً على تنقية النفس والرقي بها إلى معالم الكمال والطهر وأبو سالم "متصوف قوي الشخصية له نظرية خاصة في الحياة وفي السعي إلى المناصب العليا وفي المال، وبعض هذه الاتجاهات واضح في سلوكه ومن خلال بعض رسائله ومؤلفاته ومن ذلك ما كتب إلى صديقه وتلميذه عثمان بن علي اليوسي من طرابلس واعظاً إياه بقوله: "إياك والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق فإنهما أصل كل وهن في الدين وضعف في اليقين، فإن الأول يوجب الشك في المقدور وفتور في النفس..." (29) ، والعياشي يراعي في سلوكه الصوفي موافقة السنة, رغبة منه في توحيد الرؤى حول الغاية من التصوف وجعل الكتاب والسنة مصدر التشريع ومحل الاتفاق وعدم الاحتكام إلى الأهواء المختلفة.

قام أبو سالم العياشي بدور إيجابي في الحركة الفكرية بين المغرب والمشرق "وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات متنوعة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعياً وتاريخاً إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقته المشرقية"(30)، ويتضح ذلك من خلال حرص أبي سالم على معرفة كل إنتاج جديد في ميدان التأليف فكان أول من أدخل كتاب (نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض) إلى المغرب بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره"، في ربط لأواصر المعرفة بين القطرين مشرقه ومغربه.

إجازات أبي سالم ودرورها في التواصل الحضاري

كان من اهتمامات أبي سالم أن يحصل على أكبر قدر من الإجازات من العلماء المشارقة والمغاربة ،والإجازةهي "إحدى طرق التحمل والرواية عند المحدثين من أهل العلم لذا تنوعت في معناها وأدائها باعتبارات لا تخرجها عن معنى تحمل العلم عن الشيوخ في الجملة "(31)وهي في اصطلاح العلماء إذن المحدث للطالب بأن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيرها من دون أن يسمع منه أو يقرأعليه وهذا أصل معناها عند

فذالك أدعى لنشاط الناظر فيها "(12)، وقد راعى في رحلته مستوى القارئ وطموحه العلمي وهذا هو السر وراء التنوع المعرفي لهذه الرحلة.

كان وراء هذه الرحلة رغبة قوية لدى أبي سالم لزيارة البقاع المقدسة رغم ألم الغربة والفراق الذي قد يعانيه أثناء ذالك فهو يعزي نفسه في بداية الرحلة بأبيات شعرية حيث يقول "

ذريني ارد ماء المفاوز آجنا حيث ماء للكرام معين

دعيني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الرسول دفين"(13)

وإن من بين ما وضعه هدفا لرحلته»ما يشترك في معرفته عام الحاج وخاصهم من أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهي ذالك مما لا تطمح إليه عيون الفضل وترتاح لذكرهم أهل النبل من لقاء المشائخ الفضلاء وحاضرة الأدباء والنبلاء ومباحثة الأذكياء وزيارة الأتقياء"(14)

دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق:

تعتبر الرحلة جسر للتواصل مع الآخر سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها أو إلى حضارة مغايرة فهي وثيقة أدبية تعرض بالوصف والمعاينة أحوال المجتمعات التي ارتحل صاحب الرحلة وتكشف عن طبيعة الوعي الإنساني بالآخر.

إن مصطلح التواصل الحضاري ينقسم الى شقين الأول التواصل : والذي نقصد به ربط علاقات بين شعوب مختلفة أو بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الحوار والثاني الحضاري:نسبة الى الحضارة التي مقياس رقي الدولة ، والحضارات البشرية» سلسلة متصلة الحلقات تأخذ كل واحدة منها بعضد الأخرى ولا يمكن ان تنفصل هذه الحلقات وإلا لوقف العلم وانتهى إلى حيث ينتهي الإتصال بينهما وذالك خلافا لما يراه شبنجلر من أن كل ثقافة في تركيب عضوي من نوع خاص لا صلة له بالثقافات التي جاءت قبله أو الثقافات التي تجيء بعده" (15).فانفتاح الحضارة على نفسها وغيرها ينفي عنها التقوقع والتعصب ،فكل حضارة تستفيد من السابقة لها . فأفراد الحضارة الإسلامية سابقا بنوا علاقاتهم مع الحضارات الأخرى على أساس التعارف الذي يتضمن تجاوز الذات من اجل بناء الجسور والتواصل مع الآخرين ، فهذه نظرة شمولية لعملية التواصل الحضاري في إطارها العالمي وقد أعطت الحضارة الإسلامية أنموذجا له من خلال انفتاحها على الحضارات المجاورة.

وهنا ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن اتساع رقعة الحضارة العربية الإسلامية وخاصة في الجزء الغربي اي المغرب العربي،إذ أن هذه المنطقة كانت لاحقة في الفتح الإسلامي والفاتحون الأوائل عندما جاءوا لهذه المنطقة تواصلوا مع ثقافة مختلفة وهي ثقافة السكان الأصليين الأمازيغ ، فقاموا بتعريبهم وأصبحت المنطقة فيما بعد قطبا حضاريا متميزا ..مما يجعل حتمية التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق ضرورة ملحة حتى يتسنى تذليل نقاط الاختلاف بينهما. "ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب مختلفة فيها يخص الجوانب الحضارية المختلفة على أزمنة متتالية،فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها،وهي تستند الى التاريخ ،ورصد

المظاهر الإجتماعية والإقتصادية والسياسية غير المألوفة ،فهي ليست أداة معرفية فحسب بل تتعداها الى مهام حضارية،"(16)ومن النقاط التي ساهمت في التواصل الحضاري مع المشرق في الرحلة العياشية نذكر

الفكر النقدي لدى العياشي :

أثناء اتصال العياشي بالمراكز العلمية على غرار مصر المدينة ..أثار انتباهه مجموعة من السلوكيات والمعتقدات الباطلة ،فيحاول رد الأمور الى نصابها وخصوصا في قضايا الشريعة الإسلامية حيث يهتم بصحة الأحاديث التي من خلالها تصوب سلوكات الناس وفقها(17)،فقد حرص على رد الكثير من المعتقدات الخاطئة والأفكار الضالة وفق منظور سني معتدل سواء ما تعلق منها بالديني او الاجتماعي او الاقتصادي ، رغبة منه في توحيد الصورة بكل موضوعية . وعلى هذا الأساس لم يكن النقد الذي وجهه العياشي لأجل النقد فقط بل كان الغرض إبراز نقاط الخلل في المجتمع الإسلامي بغرض إصلاحها ،وهذا انطلاقا من رؤيته للعالم الإسلامي وكونه تحت لواء الاسلام الذي يجمع ولا يفرق.

وقد لجأ الرحالة في بعض الأحيان الى ما يسمى بالسخرية في مقام انتقادهم للظواهر المختلفة،أو العين الساخرة ،وهي "كمحسن بلاغي واستراتيجية خطابية تجعل من المحتمل أهم إنشغالاتها ،وللإجابة عن كيفية تبين المحتمل في الخطاب الساخرنشير مع سعيد علوش إلى أن السخرية تتمثل في منهج جدلي يعتمد على الإستفهام بمفهومه البلاغي ،أو هي التعبير بلغة ذات نزوع متعارض"(18) ،فمثلا يوظف العياشي هذا المحسن البلاغي فيقول حين خروجه من بلاد اوقروت "ولولا أن هذه القرية في مثل هذه المفازة ما حسن تسميتها قرية ،إذ ليس فيها الا نخلات معدودة قد يبس أكثرها ،وبقيت جدرات تسفي عليها الرياح وحجرات من جريد النخل ،وعرش من الجريد مرفوعة من الأرض بمقدار القامة يبس فيها ثمر ذالك النخل ،إذ لا يقدرون على وضعه على الأرض لئلا يغلب عليه الرمل فيذهب أدراج الرياح..." (19)،فتعبيره الساخر لا يعبر عن ازدراء للمكان لكنه أسلوب يغلب عليه الطابع الأدبي المشوق ليعطي صورة عن المكان بوضوح.

أ-نقد المعتقدات الدينية:

لقد دون العياشي في رحلته أفكار تتناسب مع شخصيته العالمة الورعة ، فانتقد الضلالات التي سادت المجتمع الإسلامي شرقا وغربا رغبة منه في توحيد الرؤى الدينية بين المشرق والمغرب مما يفتح آفاقا أوسع للتواصل بين القطبين ، نذكر على سبيل المثال مشهدا أثار انتباهه وهو بالديار التونسية حيث يقول"وماتت في الركب في تلك الليلة امرأة موسرة من أهل تونس وكانت لها محفة رفيعة تحمل فيها فلما ماتت أوسعوا في حفر قبرها ودفنوها بمحفتها وذالك غلو وبدعة وتضييع مال ، فان المحفة لها مال وقيمة وحضر أمير تونس وكبراؤهم ولم ينكر ذالك أحد"(20)، ويقر بأن هذه البدع ليست حكرا على مجتمع معين او بيئة معينة ،فلم يقدم أبا اسالم جهة من جهات العالم الاسلامي التي شملتها رحلته باعتبارها مركزا صحيحا ومثالا صافيا للعلم والعمل أي انه لم يتحيز لمنطقة بل بدا متحليا بموضوعية التي ورائها شخصية الرحالة العالم(21).

التاريخية والحضارية ، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال الرحالة –هيرودوت – وهوميروس -. ومن العرب اشتهر ابن بطوطة وابن خلدون. والإدريسي واليعقوبي والعبدري حتى غدت الرحلة فنا قائما له مبادئه وخصوصياته.

إن التراث العربي الجغرافي غني بالدراسات عن مختلف بقاع العالم ويرجع الفضل في ذالك إلى الرحلات التي قام بها العلماء من العرب والمسلمين ، إذ كرسوا حياتهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان فهي تعتبر قناة من قنوات التواصل بين الشعوب قديما وحديثا. وفي هذا الصدد نركز على نوع من الرحلات ألا وهو الرحلات المغاربية الحجازية ونختار منها رحلة أبي سالم العياشي – ماء الموائد- وفق إشكال مفاده: ماهو دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق العربي ؟.

مفهوم الرحلة - لغة واصطلاحا:

جاء في معجم مقاييس اللغة ما مفاده "رحل : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر , يقال : ر يرحل رحلة , ورحل رحيل : ذو رحلة , إذا كان قويا على الرحلة , والرحلة الإرتحال , وقولهم لما ابيض ظهره من الدواب : أرحل , فهو من هذا أيضا لا يشبه بالدابة التي عليها رحل , ويقال أرحلت الإبل = سمنت بعد هذا والراحلة : المركب من الابل سواء كان ذكرا أو أنثى.(1)

أما الجوهري في معجمه صحاح العربية عرفها كما يلي :

'رحل , الرحل : مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث , والرحل أيضا رحل البعير ... والجمع رحال , ومنه قولهم في القذف بابن ملقي أرحل الركبان ... ورحلت البعير أرحلة رحلا , إذا شددت على ظهره الرحل , قال الأعشى :

رحلت سمية غدوة جمالها غضبي عليك فما تقول بجمالها ويقال رحلت له نفسي إذا صبرت على أذاه , ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى والاسم الرحيل , أبو عمر : الرحلة بالضم الوجه الذي تريده "(2) ، أما المفهوم الإصطلاحي فهي "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ،وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها او يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد>>(3) وأما أحمد الفاضل فقدم تعريفا آخر حيث يقول" هي فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار اسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الإجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم "(4) وتنقسم الرحلة حسب الهدف المنشود الى : الرحلة السياحية- الرحلة العلمية – الرحلة الخيالية – الرحلة الفهرسية – الرحلة الإستكشافية – الرحلة الحجية أو الحجازية...الخ(5).

تعتبر الرحلات الحجازية أهم أنواع الرحلات لأن مقصدها كان أسمى ألا وهو أداء فريضة الحج ، وقد كان المغاربة سباقون إلى هذا النوع من الرحلة وأخذت شهرتها على ايديهم . فقبل الحديث عن الرحلة الحجازية وجب ان نعرف ماهو الحجاز" الحجاز معناه

الحد او الفصل ، ولفظ الحجاز عرف قديما منذ أن كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون أشتاتا يعمهم التفكك السياسي ولا تجمعهم دولة ،فهم مجموعة من القبائل إستقرت في مناطق معينة غير واضحة الحدود مع تمتع بعض مدنه بالإستقرار مثل مكة والمدينة ...." (6).

وللحجاز مكانة متميزة في تاريخ الإسلام،"ففيه ظهر الإسلام وتثبتت أركان دولته واستقرت قاعدته وفيه عاش الرسول صلى الله عليه وسلم كل حياته وقضى الخمسين سنة الأولى من عمره في مكة المكرمة حين نزل عليه الوحي ...ثم أصبحت قاعدة الإسلام الأولى ومركز المسلمين ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت الحجاز ...وفي الحجاز تقع الكعبة التي يحج إليها المسلمون من شتى بقاع العالم .." (7) لهذه الأسباب اكتست أرض الحجاز هذه الأهمية بالنسبة للمسلمين ،فالرابط الروحي المتمثل في آداء فريضة الحج كان محفزا على هذا النوع من الرحلات.إذن فالرحلة الحجازية هي التي يكون"الباعث إليها زيارة البقاع المقدسة وعلى رأسها مكة والمدينة مهبط الوحي بالإضافة إلى زيارة المسجد الأقصى وزيارة الأولياء والصالحين ، مما يدفعهم ذالك إلى تسجيل ما يشاهدونه وما يرونه خلال السفر ويصوغون ذالك في قوالب فنية تخلد رحلاتهم وذكرياتهم"(8)، فالحج هو المحرك لهذه الرحلة وأثناء ذالك يحتك الرحالة بالعلماء ويزور الصالحين.

أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد:

يعد أبا سالم العياشي من أبرز الشخصيات المغاربية التي ذاع صيتها قديما وحديثا فهو"أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ولد في أواخر شهر شعبان 1037هـ/1628م في قبيلة آيت عياش وهي قبيلة بربرية تتاخم بلاد الصحراء من أحواز سجلماسة ، ويعتبر أبو سالم العياشي من أبرز علماء الأسرة العياشية فهو الأديب والرحالة والفقيه والصوفي والداعية الى تعاليم الإسلام السمحة والمحارب للبدع التي استشرت في المغرب في تلك الفترة ، تعلم بالزاوية العياشية ثم التحق بالزاوية الناصرية ثم جامع القرويين ،من أشهر مؤلفاته: إتحاف الاخلاء بإجازات المشائخ الإجلاء واقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر-وقد قام برحلات ثلاث :الأولى في شهر ربيع النبوي 1053هـ/1643م والثانية أواخر ربيع النبوي 1064هـ/1658م والثالثة والأخيرة والموسومة:ماء الموائد وهي أفضل رحلاته دون فيها خلاصة تجربته في الحجاز"(9).وهي تضم شتى أصناف العلوم والمعارف.

وقد كان خط سير الرحلة حيث "انطلق من سجلماسة مرورا بالمغرب ثم الجنوب الجزائري فالجنوب التونسي فطرابلس فالقاهرة فالحرمين الشريفين ، ثم انتقل بعد ذالك الى أهم المدن الشامية غزة- الرملة – بيت المقدس – الخليل "(10)، يقول العلامة عبد الهادي التازي "وتعد رحلة العياشي من أهم الرحلات المغربية وأكثرها إنتشارا لأنها أكثر مادة وأكثر تنوعا ، وقد طفق الرحالون من اللاحقين ينقلون عنها دون أن يعودوا إلى مصادر أخرى ..." (11)،وهذا ما أكد عليه في بداية رحلته حيث أقر بأنها لن تكون مجرد وسيلة للترفيه فقط وإنما ميدان خصب لشتى المعارف حيث يقول "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون كتاب علم لا كتاب سمر وفكاهة وإن وجد الأمران فيهما معا

21- تاريخ بن زيان ملوك تلمسان ، محمد بن عبد الله التنسي ،تح محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص 125 .

22- تاريخ ابن خلدون المسمى : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمان بن خلدون ، ج7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1992 ، ص93 .

23- مدن الفن الشهيرة ، تلمسان ، جورج مارسي ، دار النشر التل ، الجزائر ، ط 2004 ص 44.

24- تاريخ الأدب الجزائري ، محمد الطمار ، تقديم عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص282 .

25- ابن خميس ..... شعره ، طاهر توات ، دار الثقافة ، الجزائر ط1، 2007 ، ص 31 .

26- المرجع السابق ص 31.

27- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6:9هجري / 12-15 م من خلال كتاب المعيار الونشريسي ، أطروحة الدكتوراه ،بلبشير عمر ، جامعة وهران ، 2010 ، ص15 .

28- المرجع السابق ، تلمسان في العهد الزياني ، عبد العزيز فيلالي ، ص 252 .

29- أوراق تلمسانية سعد بوفلاقة ، منشورات بونة ، الجزائر ، ط1 ، 2011 ، ص 210.

التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)

الطالب :بناهض عبد الكريم

اشراف الدكتور: والي دادة عبد الحكيم

كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان

الملخص:

قامت الرحلة العربية بدور هام في إذابة الجليد بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه ، وقد دونت هذه الرحلات خلاصة هذا الإلتقاء والتوافق وخصوصا الرحلات التي انطلقت من المغرب العربي والتي كانت وجهتها الحجاز(الرحلة الحجية) ،وتعد رحلة أبي سالم العياشي أحد أهم هذه الرحلات لتجسيدها مفهوم التواصل الحضاري بدقة من خلال خلقات العلم التي عقدها الرحالة بمختلف دول الشرق ،بالإضافة الى الإجازات العلمية التي حصل عليها أو التي أجازها لغيره،من منطلق العالم المنفتح الذي وضع الأسس العلمية مقياسا للحكم على مختلف الظواهر التي تعترضه.

الكلمات المفتاحية: الرحلة – الحج- التواصل –الحضارة –الإجازة.

The Summary

The Arabic trip played an important role in melting ice between two parts of the Islamic World in its eastern and western. Trips had made a summary about the connection and the agreements. Especially, the trips that came from the Northern African Countries to Ell- Hedjaz (the pilgrimage trip). The trip of Abe Salem Ell- Aiachi was one of the important trips that made the concept of the civilian connection, more exactly through circles of science which trippers were made it in different eastern countries. . In addition to this, the scientific journeys that he gained or he gave it for another from opened world; it put the scientific essential pillars as a measure to judge on the different phenomena which obstruct him.

مقدمة:

ارتبط وجود الناس على سطح الأرض بالحركة والتنقل فبفضلهما تمكن من الحصول على قوته والإبتعاد عن الأماكن الخطرة ، فهو في رحلة مستمرة يبحث من خلالها عن واقع أفضل لحياته في جميع مجالاتها . وبعد استقراره وتحسن ظروف حياته لم يتخل عن الرحلة والسفر وهذا يعود لغريزة إنسانية أصيلة وهي حب الإستكشاف واختراق الآفاق.

لقد أصبحت الرحلة مع مرور الزمن ضرورة تعتبر من أهم الوسائل التي أرخت لتاريخ البشرية وفتحت عيونه على عوالم أخرى ، وقد حرص الرحالة فيما بعد على تدوين خلاصة مشاهداتهم وما لاقوه أثناء أسفارهم ، فجاءت أعمالهم حافلة بالمعلومات

البنية الزمنية للرحلة العياشية مـــاء الموائد

ب. بناهض عبد الكريم

جــامعة تلمسان

abdelkrimbanahed01@gmail.com

مُلخص البحث

حظي الزمان باهتمام الفلاسفة والمفكرين؛ لأنه يتضمن جملة من الثنائيات المتناقضة المتعلقة بالكون والحياة: كالوجود والعدم، والثبات والحركة، والحضور والغياب، والزوال والديمومة، وقد كان له حضور قوي في السرود العربية القديمة وعلى رأسها الرحلة ،وقد تجسد في إحداها وهي الرحلة العياشية فكان بين زمان الأحداث كما حدثت بالفعل وزمن الكتابة وبين زمان القراءة والزمن الواقعي والزمن المعيش ،وفي ظل هذه التجاذبات يقع المتلقي ضحية الترهين ،فيحاول العياشي الالتجاء إلى ما يسمى(حسب جيرار جينيت) بالقطع والحذف والخلاصة والنتيجة ليساير القارئ توالي الاحداث ،والزمان في الرحلة العياشية واقعي بحكم انتقال السارد بشخصه ولم يكن تخييليا.

الكلمات المفتاحية:الزمن –العياشية –ماء الموائد –الرحلة –السياق،اللغوي.



مقدمة:

ارتبط وجود الناس على سطح الأرض بالحركة والتنقل فبفضلهما تمكن من الحصول على قوته والابتعاد عن الأماكن الخطرة، فهو في رحلة مستمرة يبحث من خلالها عن واقع أفضل لحياته في جميع مجالاتها. وبعد استقراره وتحسن ظروف حياته لم يتخل عن الرحلة والسفر وهذا يعود لغريزة إنسانية أصيلة وهي حب الاستكشاف واختراق الآفاق.

لقد أرخت الرحلة لتاريخ البشرية وفتحت عيونهم على عوالم أخرى، وقد حرص الرحالة فيما بعد على تدوين خلاصة مشاهداتهم وما لاقوه أثناء أسفارهم، فجاءت أعمالهم حافلة بالمعلومات التاريخية والحضارية، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال الرحالة

—هيرودوت — وهوميروس ،. ومن العرب اشتهر ابن بطوطة وابن خلدون. والإدريسي واليعقوبي والعبدري حتى غدت الرحلة فنا قائما له مبادئه وخصوصياته. ونشير إلى أن الرحلة ذات علاقة مباشرة بالأدب ،لأن الأسلوب الذي استخدم في صياغتها ارتفع بها إلى عالم الأدب ،فهي تعتمد أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق والمؤثر للتعبيرات السهلة المؤدية للغرض. .والرحلة عادة تحفل بالمقومات الأساسية للقصة من فكرة رئيسية وبناء وحبكة وبنية زمانية ومكانية..أو ما يعرف بالبنية السردية.

وقد اخترنا عنصر البنية السردية وهو الزمن..في إحدى الرحلات المغربية وهي رحلة أبو سالم العياشي ماء الموائد. وفق إشكال مفاده: ما مميزات الزمن الحكائي في الرحلة العياشية ؟..وما مدى التوافق بين زمن القصة أو الأحداث وزمن الخطاب.؟

1،مفهوم الرحلة ، لغة واصطلاحا:

جاء في معجم مقاييس اللغة ما مفاده "رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، يقال: رحل يرحل رحلة، ورحل رحيل: ذو رحلة، إذا كان قويا على الرحلة، والرحلة الارتحال، وقولهم لما ابيض ظهره من الدواب: أرحل، فهو من هذا أيضا لا يشبه بالدابة التي عليها رحل، ويقال أرحلت الإبل = سمنت بعد هذا والراحلة: المركب من الإبل سواء كان ذكرا أو أنثى"(1)

إما الجوهري في معجمه صحاح العربية عرفها كما يلي:

'رحل، الرحل: مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث، والرحل أيضا رحل البعير... والجمع رحال، ومنه قولهم في القذف بابن ملقي أرحل الركبان... ورحلت البعير أرحلة رحلا، إذا شددت على ظهره الرحل، قال الأعشى :

رحلت سمية غدوة جمالها غضبي // عليك فما تقول بجمالها ويقال رحلت له نفسي إذا صبرت على أذاه، ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى والاسم الرحيل، أبو عمر: الرحلة بالضم الوجه الذي تريده. (2)

المفهوم الاصطلاحي:

فهي " مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"(3) وأما احمد الفاضل فقدم تعريفا آخر حيث يقول" هي فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار أسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم "(4) وتنقسم الرحلة حسب الهدف المنشود إلى: الرحلة السياحية، الرحلة العلمية – الرحلة الخيالية – الرحلة الفهرسية – الرحلة الاستكشافية – الرحلة الحجية أو الحجازية...الخ(5).

2، أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد:

يعد أبا سالم العياشي من أبرز الشخصيات المغاربية التي ذاع صيتها قديما وحديثا فهو"أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ولد في أواخر شهر شعبان 1037هـ/1628م في قبيلة آيت عياش وهي قبيلة بربرية تتاخم بلاد الصحراء من أحواز سجلماسة، ويعتبر أبو سالم العياشي من أبرز علماء الأسرة العياشية فهو الأديب والرحالة والفقيه والصوفي والداعية إلى تعاليم الإسلام السمحة والمحارب للبدع التي استشرت في المغرب في تلك الفترة، تعلم بالزاوية العياشية ثم التحق بالزاوية الناصرية ثم جامع القرويين ،من أشهر مؤلفاته: إتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الإجلاء واقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر،وقد قام برحلات ثلاث :الأولى في شهر ربيع النبوي 1053هـ/1643م والثانية أواخر ربيع النبوي 1064هـ/1658م والثالثة والأخيرة والموسومة:ماء الموائد وهي أفضل رحلاته دون فيها خلاصة تجربته في الحجاز"(6).وهي تضم شتى أصناف العلوم والمعارف.

الرحلة العياشية (ماء الموائد):

وقد كان خط سير الرحلة حيث "انطلق من سجلماسة مرورا بالمغرب ثم الجنوب الجزائري فالجنوب التونسي فطرابلس فالقاهرة فالحرمين الشريفين، ثم انتقل بعد ذالك إلى أهم المدن الشامية غزة، الرملة – بيت المقدس – الخليل "(7)، يقول العلامة عبد الهادي التازي "وتعد رحلة العياشي من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشارا لأنها أكثر مادة وأكثر تنوعا، وقد طفق الرحالون من اللاحقين ينقلون عنها دون أن يعودوا إلى مصادر أخرى..."(8) ،وهذا ما أكد عليه في بداية رحلته حيث أقر بأنها لن تكون مجرد وسيلة للترفيه فقط وإنما ميدان خصب لشتى المعارف حيث يقول "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون كتاب علم لا كتاب سمر وفكاهة وإن وجد الأمران فيهما معا فذالك أدعى لنشاط الناظر فيها "(9)، وقد راعى في رحلته مستوى القارئ وطموحه العلمي وهذا هو السر وراء التنوع المعرفي لهذه الرحلة.

كان وراء هذه الرحلة رغبة قوية لدى أبي سالم لزيارة البقاع المقدسة رغم ألم الغربة والفراق الذي قد يعانيه أثناء ذالك فهو يعزي نفسه في بداية الرحلة بأبيات شعرية حيث يقول: "

ذريني ارد ماء المفـــاوز آجنا حيث مـــــاء للكرام معين

دعيني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الرسول دفين"(10)

وإن من بين ما وضعه هدفا لرحلته<<ما يشترك في معرفته عام الحجاج وخاصهم من أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهي ذالك مما لا تطمح إليه عيون الفضل وترتاح لذكرهم أهل النبل من لقاء المشائخ الفضلاء وحاضرة الأدباء والنبلاء ومباحثة الأذكياء وزيارة الأتقياء"(11)

3، البنية الزمنية للرحلة في السرد:

ارتبط وجود الناس على وجه الأرض بالزمان لأنه مرتبط بالحركة "وقد لاحظ وجود هذه الحقيقة من خلال المتغيرات حوله في السماء بشمسها وقمرها ونجومها

وفي الأرض بزروعها وحيواناتها وطيورها ،إن كل ما في الكون يعيش الزمان بالحركة، وكما يقول القدماء والمحدثون من الفلكيين ،إن الزمان هو مقدار حركة الفلك ،وهذه الحركة التي يقاس بها الزمان هي حركة الكواكب مثل الشمس والقمر والكائنات. "(12) يهتم الدارسون بمسألة الزمن، فكل ينظر إليه من الزاوية التي تناسب الهدف الذي يصبو إليه، وقد أخذ حيزا كبيرا عن النقاد المهتمين بالدراسات السردية فهو عنصر هام وأصيل بالنسبة لهم، وأطلقوا عليه اسم الزمن السردي (زمن الحكي) "، يفرق بعض اللغويين بين مصطلحي الزمان والزمن "فالأول يقابل ما نعرفه في الإنجليزية باسم " timeالذي يقاس بالثواني والساعات والأيام والشهور ،ويعبر عنها بالأسماء الدالة على أوقات الزمان ،والثاني يقابل ما نعرفه في الإنجليزية باسم tense أي الزمن اللغوي الذي يعبر عنه بالصيغ الصرفية والسياقات اللغوية "(13) فالتعبير يوجد في كل ما يتغير بينما يوجد الزمان في كل شيء على السواء يمكن أن يكون التغيير سريعا أو بطيئا بينما لا يمكن للزمان أن يتضمن السرعة لأن لا يكون مهددا بأن يعرف نفسه ما دامت السرعة تنطوي على الزمان، يقول أرسطو " حين ندرك الحركة فإننا ندركها والزمان معا، وبالعكس أيضا حين يعتقد أن بعضا من الزمان قد انقضى يبدو لنا أن حركة معينة أيضا قد حدثت معه"(14) فيستبعد أرسطو مسألة تجرد الزمان فهو مصاحب لحركة ما فإذا لم يكن هناك إدراك للحركة فلا وجود للزمان ذاته من دون الحركة إذا الزمان ليس هو بحركة ولا مستقل عن الحركة "

والزمان في تعاقبه قائم على ثنائية (قبل وبعد) أي الزمان الماضي والمستقبل حسب رأي أرسطو في تعريفه لمسألة الزمان. (15) بعد ثنائية الماقبل والمابعد، والحاضر واللاحق، الماضي والمستقبل، من المفاهيم المرتبطة بالزمان في تعاقبه، ففي لحظة السرد والحكي يكون السارد بين هذه الثنائيات المتلازمة وهي " تقسيمات أساسها الذاكرة والتوقع فالذات في الحاضر تبني تميزها للزمن على أساس تذكر الماضي وتوقع المستقبل إلا أنها تتعرض للخطأ والنسيان وغيرهما من معيقات جودة التذكر الذي ينتج عنه عدم دقة الحكي أو الكتابة، لهذا تستعمل الصيغ اللغوية الدالة على فك الزمن في سروده كما

قدمت للقارئ مروية أو مكتوبة إلا أن السارد حين يسرد حكايته لا يفعل ذلك بفضل ذاكرة جيدة بل يرى الماضي بفضل ملكة تفوق الملكة الإنسانية"(16)

الزمان المتخيل والزمان السردي:

علينا أن نفرق في حديثنا عن الزمن بين زمانين أولا: الزمان المتخيل أو زمن المتخيل السردي وهو ينبني على عناصر من نسج الخيال تخدم هدف الراوي أو السارد، والثاني الزمن الواقعي وهو مدار أدب الرحلة الواقعية (السفر)، حيث يكون الزمن في الرحلة واقعيا، لأن السارد أثناء تدوين الرحلة يكون في حالة تذكر لوقائع ماضيه، وقد يختلف في بعضها وهذا ما أشرنا إليه سابقا من كون الزمان يتأثر بالذاكرة وما يعتريها من نقص أو يصيبها من وهم. ويرى الدارسون أن" الزمن السردي المتصور كتتابع خطى الأحداث ليس إلا تشيدا اصطلاحيا ملائما، على نحو تداولي على حد سواء، فزمن النص إشكالي أنه بعد مكاني وليس بعد زماني...فليس للنص سلطة زمنية سوى تلك التي يستقيها على نحو كتابي من عملية القراءة في الواقع إذا ما تخيل عليه مناقشات زمن النص هو التنظيم المكاني الخطي للقطع اللسانية ضمن السلسلة المتصلة للنص وبالتالي قد لا يكون كل من زمن القصة إلا زائفا زمنيا على الرغم من ذلك، وما دمنا نتذكر طبيعتها الزائفة فكلاهما يظل تشييدا مفيدا لدراسة وجه مهم للقصة. "(17) ،فالنص يفرض سلطة على الزمن من خلال ترهينه كاختزال فترة زمنية طويلة بين دفتي كتاب.

فالزمن بالنسبة للنص قد يكون وهمي يستفيد السارد من عوالم الخيال لكن رغم ذلك يأخذ بعدا قريبا للواقع، وهذا نوع من المشاركة يمكن أن يعقدها السارد مع المتلقي حتى يعيش معه التجربة. فالزمن أنواع" فهناك زمن القصة أو الحكاية وزمن الخطاب أو زمن الحكاية فهو الزمن الذي تستغرقه الأحداث في تسلسلها الطبيعي في الواقع المفترض وفق النظام الطبيعي للزمن، وبعبارة أخرى فإن زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، ولنقل بصورة أخرى أن الزمن كالخيط الذي ينظم الأحداث ويكون مستقيما خارج النص، ولكن داخل النص يمكن أن يلتوي...."(18).

النظام الزمني للسرد

يعتبر النظام الزمني للسرد نقطة فاصلة تميز الأعمال القصصية، فالإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، ذلك أن الرتوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في تركيب زمن السرد من مكانها الطبيعي في زمن القصة، وهناك أيضا إمكانية استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي، وهكذا فإن المفارقة إما تكون استرجاعا لأحداث ماضية أو تكون استباقا لأحداث لاحقة"(19) وهذا ما نلمسه في البرنامج الزمني للرحلة الواقعية فهي تقوم على استرجاع أحداث ماضية أو استباقا لأحداث أخرى بناء على معطيات معينة.

ورغم الخصوصيات السياقية للزمن فان الصيغ لا تفقد دلالاتها إذ أن القدرة على الترهين والتحيين الزمني الذي يقدمه السارد بناءا على نقطة الانطلاق والفقرات إلى الأمام والاسترجاعات إلى الوراء تتعدى الزمن اللفظي في حدوده اللغوية ولكن لا تلغيه وهذا ما يدفعنا إلى أن نثير قضية الزمن السردي والزمن الطبيعي أي الزمان التاريخي وزمن السرد أو الكتابة.(20) و يرى الباحثون أن" الزمن السردي والزمن المتصور كتتابع خطي للأحداث ليس إلا تشييدا اصطلاحيا ملائما على نحو تداولي على حد سواء.. فليس للنص القصصي سلطة زمنية سوى تلك التي يستقيها على نحو كتابي من عملية القراءة في الواقع. .."(21)

وفي سياق دراستنا لزمن الرحلة العياشية وجب الاعتماد على الوسائل الإجرائية في تحليل السرد المتخيل وتطبيقها على السرد القريب من الواقع، ويتناول الزمن برؤى مختلفة إذ أن العمل المسرود يشتمل على عدة أزمنة منها الأزمنة الخارجية(خارج النص) كزمن الكتابة وزمن القراءة ووضع الكتاب بالنسبة للفترة التي يكتب عنها والقارئ بالنسبة للفترة التي يقرأ فيها، والأزمنة الداخلية (داخل النص) وهي الفترة التاريخية ووضع الأحداث ووضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث وتزامنها وتتابعها، والزمن الداخلي الذي هو شغل الدارسين أكثر من غيره. (22)

3، البنية الزمنية للرحلة العياشية :

تحتوي الرحلات كغيرها من النصوص السردية على أخبار وحكايات وغرائب وفق تسلسل زمني معين، فهي" تتصل ببعضها ويتولد بعضها الآخر سرد ذو امتداد طولي متزامن أو يلتحق إلى الوراء أو يثب إلى الأمام، وهذا ما يجعل السير الزمني غير منضبط بشكل حصري إذ يصبح متذبذبا بوعي وإدراك من السارد وبغيرهما، ذلك أن السارد، ذلك أن الزمن وعي خفي لكنه متسلط ومجرد ،لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة"(23) وهذه السلطة تجعله يفرض نفسه على من لا يعي كنهه.

لذلك تخضع بنية الرحلة العياشية من الناحية الزمنية لشخصية السارد، فهو الذي يعطي الإطار الزمني للرحلة، من خلال ما تقوم به هذه الشخصية من أفعال وما تنجزه من أقوال وأشعار وغيره فهو المتحكم في الفضاء الزمني والمكاني أيضا. تحمل هذه التركيبة الزمنية لرحلة العياشية في العناصر التالية:

ا، الترتيب: ويتمثل في ترتيب الوحدات ترتيبا أفقيا في الوحدات الكبرى (الانطلاق، الذهاب، الوصول) إلى البقاع المقدسة، العودة – الوصول إلى نقطة الانطلاق وليس فيها أي مفارقة زمنية بين خط سير الأحداث ،وخط قراءة الخطاب كالشكل التالي (24)

تمهيد	الذهاب	الوصول إلى البقاع	العودة	عودة إلى نقطة الانطلاق

وهناك وحدات صغرى وكبرى، حددها العياشي في اغلب الأحيان حسب المناطق التي زارها وأحيانا تبعا للأحداث المتسلسلة ويبلغ عددها " اثنين وستين وحدة مرتبة ترتيبا تتابعيا مثل (دخول توزر، الخروج منها) دخول بسكرة الخروج منها، فهي من أغراض الرحلة التي تسعى إلى تحديد معالم طريق الحج، محددة تحديدا زمنيا، وذكر الصعوبات التي تواجه المسافر والحاج"(25)

فعلى سبيل المثال يذكر العياشي في إحدى الوحدات الصغرى هذه المهمة وهي تحديد معالم السفر قوله "ذكر خروجنا من بلاد أوكرت... كان رحيلنا من هذه البلاد

صبيحة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادي الأولى قاصدين إلى (واركلا) وخرج معنا جملة من أهلها قاصدين الحج وأخذنا على طريق وادي امكيدن، ومعنا رجل من عرب الخنافسة اكتراه أمير الركب يدلهم على الطريق، ومواطن المياه كثيرة في هذا الوادي، قل ما يخلوا يوم من منهل وماؤه عذب غزير"(26).

ثم يسترسل ذاكر الصعوبات التي واجهوها مع هذه المنابع " إلا إننا وجدنا غالب المناهل قد دفنها أولاد محمد عرب توات خائفين من عدوهم من سعيد أن يغيروا عليهم فطمسوا ما في طريقهم من الماء لأجل ذلك....وسرنا في أيام بلغ بردها الغاية... إلى إن نزلنا عاشر يوم في قرية يقال لها والا. ......"(27) فذكر الصعوبات مع تحديد الزمن الذي يستغرقه أثناء الترحال كان مقصدا شريفا للرحلة العياشية، حتى أنه يشير إلى بعض النزاعات التي قد يجد المسافر نفسه طرفا فيها دون قصد فيضيع عن مقصده.

ففي هذه الوحدة (ذكر خروجنا من بلاد أوكرت) نلاحظ الترتيب الزمني جليا، فبدأ بذكر تاريخ الخروج من بلاد أوكرت (يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادي الأولى...) ثم ذكر الوجهة بلاد (واركلا)ن والطريق المناسب (طريق وادي امكيدن)، والصعوبات ومنابع المياه، وصوله إلى قرية (والا) بعد عشرة أيام من المسير، ثم ارتحل من قرية (والا) في وقت الضحى بينها وبين القليعة و سرنا نصف يوم.

- ثم ارتحلنا منها وأخذ الناس ماء أربع ليال.
- ثم ارتحنا غدا وطلعنا الحماد.
- ثم بتنا تلك الليلة وقد قل الكلأ.
- وتراءى لنا نخل واركلا.
- دخلنا المدينة عشية الخميس.

إلى أن ينهي هذه الوحدة وتبدأ وحدة أخرى وهي (ذكر خروجنا لمدينة طرابلس) (28)

وفي وحدة أخرى بعنوان :"ذكر دخولنا مكة المشرفة زادها الله تشريفا وتعظيما " دخلنا مكة عشية يوم السبت خامس يوم من ذي الحجة وأول يوم من السمائم كفانا

الله شر حرها ،ودخل الركب المصري قبلنا في اليوم الرابع ودخل الركب الشامي في السادس وبعضه في السابع ،وكانوا لقوا من الحرامية شدة في الطريق حتى كادوا أن يتعوقوا. .ثم دخل ركب العراق في اليوم الثامن بعدما رحل الناس إلى منى ،ولما نزلنا من التنية أنخنا الرحال بالحجون وسط المقبرة للضرورة وحططنا الرحال بين القبور إذ لم نجد مكانا سوى ذلك والأركاب قد ملأت خيامهم السهل والوعر ،ولم يسلم إلا أماكن القبور المبنية أو المحوط بها..."(29) ،حيص نلاحظ تركيز العياشي على تحديد التاريخ بدقة مثل خامس يوم. .اليوم الثامن. .لأن الهدف إرشاد الحاج بدقة وتعريفه بالزمن المستغرق للوصول للأمكنة المختلفة. وذالك بتحديد إطارها الزماني بدقة

الزمن المعيش أو الواقعي والزمن اللغوي

وعلينا ونحن بصدد الحديث عن الزمان علينا التفريق بين زمانين هما: الزمان المعيش والزمان الكوني حيث يرى بول ريكور " أن هذه الصيغة الثالثة من الزمان هي بطرق كثيرة مجرد ظل يلقيه على ممارسة المؤرخين... والوظيفة الأساسية لهذا الزمان العظيم هي تنظيم زمان المجتمعات وزمان الكائنات البشرية"(30) ،

الزمان المعيش (الواقعي):

تمثل في الفترة التي قضاها الرحالة أثناء الرحلة وما رافقها من أحداث وتفاعلات مثل قوله "ولما كانت الليلة الثانية من ليالي منى بالغ أهل مصر والشام في إيقاد المصابيح واتخاذ المصانع منها وصور الأشجار والأخبية؟ وأكثروا الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة بالجو...:"(31) ،هذا الزمن يسمى بزمن الإنجاز أو إنجاز الأعمال ،حيث يشطر إلى تحديد برنامج الرحلة وفق برنامج محدد مرتب حسب الأولوية ؟،"ولما زالت الشمس من اليوم الرابع ارتحلنا من منى ،..."(32) ،يجب الإشارة إلى أن الزمن المعيش يختلف من شخص لآخر حسب التجربة فالمدرس زمنه بالساعات والدقائق فهو دقيق بينما الفلاح بطيء (الصباح —الظهر —العصر. ..).

الزمن اللغوي (الزمن النحوي والصرفي):

يتمثل هذا الزمن من خلال سرد الأحداث اعتمادا على أفعال لها دلالة الزمن ،ويفهم من خلال التراكيب المختلفة ،"ولقد اتخذ مفهوم الزمن دلالات كثيرة فاصطنعته حقول كثيرة من العلم ،فنلفيه مذكورا لدى النحاة بمعنى ولدى الفلاسفة بمعنى آخر ،فالزمن متسلط على الأشياء والأحياء ،وليس مقتصرا على ألفاظه مثل السنة —الشهر. أو الأزمنة النحوية (ماضي —حاضر —مستقبل)"(33) ،وإذا نظرنا إلى ارتباط الأزمنة بالأفعال أمكن أن نقول أن هذه الأزمنة تنتظم في نسق ،إلا أنه حين نقول أن الزمن مقولة لغوية ينبغي أن نفهم انه ليس مقولة لغوية لذاته، فالتوافق الذي نقيمه باعتبارنا متكلمين بين المقولات النحوية التي تمثلها أزمنة الأفعال ماضي حاضر مستقبل .."(34)، ويعتمد اللغويون على السياق في تحديد ماهية الزمن في الأفعال ،فعلى القرائن العقلية والحالية "أن تؤدي دورها في تحديد الزمن ،وأن علينا أن ننظر إلى السياق لنكشف عن السياق ،والسياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق"(35).

يعتمد الرحالة في تدوين رحلته على جمل تحيل إلى زمن التنقل أو السفر وما جرى فيه من أحداث ،وبما أن أبا سالم العياشي اعتمد على الاسترجاع أو التذكر كعملية لسرد أحداث الرحلة ،فالغالب على لغة السرد الجمل الماضية فهي تناسب عملية الاسترجاع مثل قوله "وبتنا في المنزل الذي اكتريناه ليلتين لقربه من المسجد اغتناما للطواف. ....وتركنا الخبال والإبل. ..خرجنا من مكة ضحى. ..وصلينا الظهر بمسجد الخيف..(36) ،فأغلب الجمل المعتمدة في السرد ماضية لملائمتها لاسترجاع الأحداث، فالمتتبع لنصوص الرحلة يلحظ بداية وحداتها بأفعال ماضية من قبيل. .خروجنا. ..مررنا. .أقمنا. .فالدلالة الزمنية لهذه الأفعال تحيلنا إلى الزمن الحقيقي لوقوع الأحداث في الرحلة. وأحيانا تتداخل الأزمنة فيعبر عن الماضي بفعل الحاضر إذ لا "غرابة أن الزمن الماضي آتيا في صيغة (فعل)أو (يفعل) ما دام يمكن بالقرينة معرفة الأزمنة "(37) ،فالسياق هو الذي يحدد زمن الفعل بخض النظر عن دلالته النحوية ،في هذا الصدد يقول العياشي "...إنه

يقول بتأثير القدرة الحادثة. .....ما يدل على نفي الأثر بعد القدرة "(38) ،على اعتبار أن كل الأزمنة التي وظفها العياشي في سرد أحداثه لها دلالة الزمن الماضي على اعتبار أن الرحالة يسترجع أحداث ماضية،مثلا قوله"ولنرجع إلى تمام الكلام على حال صاحب الترجمة فأقول: كتبت إليه قبل لقائي له بأبيات أستعير منه كتبا احتجت إليها في الوقت، فأعارني ما طلبت منه. .."(39) حيث نلاحظ المزاوجة بين الفعل المضارع والماضي لكن السياق يحيلها إلى الزمن الماضي.و"الزمن الحاضر لا يستحيل إلى ماض إلا حين يذوب في ماضي المؤلف وروايته أو حكايته ،فيغتدي ماضيا بالقياس إلى حاضر المؤلف الذي يستحيل إلى مستقبل بالقياس إلى زمن الرحلة.."(40).

قد يتمظهر الزمن اللغوي شكل آخر عدا الذي ألفناه في دلالة الأفعال ماضي حاضر. .فهو يتجسد "في الإطلاقات المألوفة الدالة عليه في كثير من المعاني التي تصادفنا في الكتابة مثل الشيخ –الطفل –العجوز،والصبية ومثل الشجرة والفسل. .إذ الأسماء هنا ملتبسة بمعاني الزمنية ولا نستطيع الإفلات منها ،بل إن قولنا العجوز يحيلنا إلى طبيعة الشخص وعمره الذي لا يقل عن ستين سنة ،والصبية بدلالة البنت الصغيرة التي لم تبلغ الثاني عشر تقريبا.."(41) ،وقد كان توظيف العياشي للمصطلحات الدالة على الزمن منتشرا في ثنايا الرحلة خاصة ما تعلق بالعلماء مثل الشيخ. .بما تحمله من دلالة زمن الشخص أي عمره.

ولنأخذ مقطع نبحث فيه عن دلالة الزمن السياقية يقول أبا سالم في مقام الحديث عن أحد المشائخ"..ومنهم الشيخ المسن المعقولي المفسر الملا نافع العجمي، شهير الصيت عند علماء العجم وعند أرباب الدولة، تنثال عليه ميلاتهم في كل أوان.. ولا يحضر مجلسه إلا الأتراك أو من كان عارفا بلسانهم.."(42)،فكلمة الشيخ قد تدل على الشخص الذي له مقدار من العلم أو من أهل العلم وله مكانة بغض النظر عن سنه، لكن في هذا المقطع تدل على الزمن وهو عمر هذا الشخص ،وقد دل على ذالك لفظة المسن التي أعقبتها، وكلمة الأتراك تدل على فترة زمنية ازداد فيها النفوذ التركي.

الإيقاع السردي :

ونقصد به محاولة الرحالة اختزال الزمن ليوفر على القارئ عناء التيه داخل الزمن إن صح التعبير، فحسب جيرارد جينيت يجب إخضاع النص السردي إلى الإجراءات التالية لدراسة الإيقاع السردي وهي: الخلاصة –الحذف –القطع –المشهد.حيت نلمس هذه العناصر مجسدة في الرحلة العياشية على الترتيب:

الخلاصة :

وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر (43) فمثلا يذكر العياشي وهو يهم بالخروج من بلده قاصدا الحج " خرجنا من بلدنا والعجلة لنا حادية وعناية الله هادية صبيحة يوم الخميس... وبعد صلاة الصبح من يوم الخميس خرجت إلى زيارة قبر الوالد رضي الله عنه.... ثم خرجنا إلى مخيمنا حيث الخباء والرحل، ثم زرنا قبر الوالي الصالح سيدي عبد الله الماعزي الفادسي.... ثم أخذنا في الترحال عند طلوع الشمس"(44)

فالملاحظ للوهلة الأولى أن العياشي يسرد أحداثا بشيء من التفصيل يبدو للقارئ أن زمنها السردي مطابق للواقع، لكن في حقيقة الأمر لو دققنا في تفاصيل كل حدث لوجدنا الزمن يتجاوز حدود التعبير عليه، فمثلا قوله " زرنا قبر الوالد رضي الله عنه"، في الواقع زمن الزيارة أكبر بكثير مما يبدوا عليه زمن السرد، وهنا نلمس الخلاصة كعنصر مهم في اختصار الأحداث التي جرت في وقت كبير وهذا يساعد المتلقي على الاندماج مع الحكي.

ثم في مقطع آخر يسترسل العياشي في رحلته معتمدا على التلخيص" ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا الأحمر ضحى وتسوقنا أولئك الأعراب بإبل في غاية السمن وغنم أخذ منها الناس حاجتهم...."(45) فالتلخيص الزمني للأحداث يجعل المتلقي عن وهم الزمن الحقيقي، ويبدو له الأمر مناسبا لما يقرؤه.

الاستراحة:

وتكون في مجال السرد وهي عبارة عن متنفس للسارد إن صح التعبير وهي " توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف عادة يقتضي انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها. غير أن الوصف باعتباره استراحة وتوقفا زمنيا قد يفقد هذه الصفة عندما يلتجئ الأبطال أنفسهم إلى التأمل في المحيط الذي يوجدون فيه، وفي هذه الحالة قد يتحول البطل إلى سارد..." (46)، والرحلة العياشية كنص سردي تحتوي على العديد من المقاطع الوصفية، لأن العياشي كان يملك قدرة فائقة على وصف ما يثير انتباهه، فعلى سبيل المثال يصف مدينة طرابلس وقت دخولها مع ركب الحج " وهي مدينة مساحتها صغيرة وخيراتها كثيرة ونكابتها للعدو شهيرة ومآثرها جليلة ومعايبها قليلة أنيقة البناء فسيحة الفناء عالية الأسوار، متناسبة الأدوار واسعة طرقها سهل طرقها، إلى ما جمع أهلها من ذكاء الأوصاف وجميل الإنصاف، وسماحة على المعتاد زائدة وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة...."(47)

فوصفه سليم بجميع النواحي ابتدءا من بياناتها وصولا إلى سكانها وطبائعهم، فالوصف بالنسبة للعياشي تقرير بيت فيه خلاصة مشاهدته دون زيف.

من خلال هذا المقطع نلاحظ فرقا واضحا بين السرد والوصف لكن التفريق بينهما على المستوى العلمي بسيطا" وهذا ما جعل جيرار جينت يعكف على دراسة طبيعة كل من السرد والوصف وقد وجد أن القانون الذي يخضع له السرد يخالف من ذلك الذي يخضع له الوصف، فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف فإنه من العسير أن نجد سردا خالصا...."(48) وهذا دليل على أن الراوي يلجأ إلى الوصف لقطع التعاقب الزمني، بل إنه يعطي للمسرود قيمة خاصة في نفس المتلقي.

وقد يصف العياشي الشيوخ ذاكرا مآثرهم " وهذا الشيخ رضي الله عنه من أحسن ما رأينا سمتا وعقلا وأصدقهم قولا وفعلا.... حسن اطلاع...حمدت سريرته..."(48) ولم يكتف أبو سالم بأوصاف البلدان والعلماء بل تعداه إلى الطبيعة، حيث يصف بعين

الرحالة الجغرافي " وأرض الحجاز معروفة بكثير من البرق، وكثير من الحجاج يصرون على أنها أنوار" (49) "ثم سرنا من ينبع إلى فناء في فضاء ورمال وآكام وجبال حتى وصلنا إلى الأبرقين وهي كناية على جبلين مفترقين أحدهما رمل صاعد، والأخر رملا وجلامد...."(50) هذه التوقفات الوصفية المتنوعة تعطي للسرد قيمة، وتكبح اندفاعه.

وقد تتجسد الاستراحة كتوقف زمني عند العياشي في مظاهر أخرى عدا المشاهد الوصفية فعلى سبيل المثال تعد الوقفات الشعرية المختلفة الأغراض استراحة، حيث تجعل القارئ والمتلقي ينسى السياق السردي، رغم أن هذه الوقفات الشعرية غالبا ما تكون مناسبة للحكي أو سرد الأحداث، منها قوله مناجيا ربه سبحانه وتعالى:

ياحي ياقيوم ياذا الجلال****صل على محمد ذي الجمال

مسلم عليه وارض عن اله****وصحبه أفضل صحب وآل

واغفر لذا العبــــد أوزاره **** وزكه في حــــــاله و المآل

وكن له عونا على دهـــره ****وحطه في دنـــــــيا ومال

وبلغ المأمول مـــــن حجة ****وزورة بها المـــــــــرام ينال

ويسر الأوبة في الأهل وفي **** عافية ليس لها مـــــن زوال (51)

بالإضافة إلى توقفات أخرى عنونها أبو سا لم ب (لطيفة)منها قوله" أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل سنة أربع وستين في الرحلة التي قبل هذه.... أنهم سمعوا صوتا هائلا في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى إلى الليل..."(52) وهي الهدف الذي يتوخى العياشي بلوغه من ذكرها، رغم إقرارنا كما قلنا من فبل بالنسبة للمقاطع الشعرية بأن بعض هذه الغرائب واللطائف تمس السياق السردي وليست منفصلة عنه زمانيا.

– القطع :

ويلتجئ إليها السارد لتجاوز بعض الأحداث زمنيا ويكتفي بالإشارة إليها، لأن الراوي لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يلم بالزمن المرتبط بالأحداث إلماما كليا، فهي عملية تتيح له الاكتفاء بالزمن المناسب والمحوري المرتبط بسيرورة الأحداث، حيث يكتفي

بالإشارات الدالة فقط من ذالك قوله " ومرت سنتان أو انقضى زمن طويل، فعاد البطل من غيبوبته...الخ ويسمى هذا قطعا، والقطع إما أن يكون محددا أو غير محدد... فهو يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية التي كانت الروايات الرومانسية والواقعية تهتم بها كثيرا لذلك فهو يحقق مظهر السرعة في عرض الوقائع...."(53)

استعان العياشي بهذا الإجراء، حيث استخدمه لتجاوز الأحداث الجزئية والغير هامة، فمثلا في ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة..."ولما استهل شهر شعبان المكرم أعلنت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة ورجع من جاء من آهل مكة والطائف....."(54) وهو يذكر تاريخ الخروج مباشرة دون تمهيد لهذا الأحداث لأنه يراها غير ضرورية، وقوله في موضع آخر " فإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال، خرج المحمل الشريف من القاهرة، وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة ويجتمع له الناس في أطراف البلد "(55) فقد أحالنا العياشي إلى اليوم مباشرة وهو الحادي والعشرين، الذي هو زمن الحدث المفصلي المهم بالنسبة له.

وقد يشير عند دخوله لمدينة ما وتطرقه لمدة إقامته مثل قوله عند دخوله لمدينة واركلا " وكان دخولنا للمدينة عيشة الخميس وأقمنا بها يوم الجمعة واليومين الذين بعده... وفي الغد منها مررنا ببلدة يقال لها أكرك وهي أول بلد وادي ريغ ورحنا إلى بلدة مماسن،......ثم ارتحلنا منها ودخلنا مدينة تكرت. ....."(56) فالإشارة بقوله واليومين التي بعدها، قطع الأحداث لعدم أهميتها، والانتقال السلس من مدينة إلى أخرى دون الدخول في تفاصيل زيارة كل مدينة كل ذلك يصب في عملية القطع الزمني.

– المشهد :

ويقصد به " المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، و المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق، وإن كان الناقد جيرار جينيت ينبه إلى أنه ينبغي دائما أن لا نغفل

أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين أشخاص معينين قد يكون بطيئا..."(57) فالمشاهد تبرز أفكار السارد أو الراوي في تفاعله مع شخصيات القصة أو المتن السردي.

إن الطابع العام أو الشكل الفني للرحلة كنص سردي، يكون الراوي فيها مالكا لسلطة تجعله يتحكم في الأحداث ويسيرها وفق الغرض الذي يبتغيه، حيث نجد أنفسنا أمام خطاب أحادي إن صح التعبير، لذا فالمشهد بمعناه الدال على الحوار بين شخصيات مختلفة قد نجده ذا طابع خاص في الرحلة العياشية، فلنأخذ بعض المقاطع الحوارية التي تجسد ذلك " فلما وصلنا المدينة المشرفة دخلت المسجد النبوي يوم الجمعة فوجدت الزحام...وكان الشيخ اللقاني رضي الله عنه سبقني إلى المسجد.... فأجلسني بإزائه فلما اطمأن بنا المجلس سألته الدعاء لي ولأولادي أن يسلمنا الله، فقال لي أما أنت ترجع سالما و أولادك وأما أنا فأموت، فقلت له يا سيدي هذه حضرة الرسالة ادع الله أن يبلغك إلى أهلك فقال لهذا خرجت...."(58) وهذا مشهد حواري جمعه بأحد المشايخ بالمدينة، وهو حوار مباشر يتميز بالاختصار أي قلة الألفاظ وغزارة المعاني/ والملاحظ أن اغلب الحوارات التي تشتهر في ثنايا الرحلة العياشية كانت مع العلماء الذين لقيهم أبي سالم في الأماكن التي زارها ومنها:" لما لقيت الشيخ بمكة شاورته عما أرومه من المجاورة بالمدينة فحضني عليها ورغبني فيها، فقال لي...." وعندما حكي لنا شيخنا هذه الحكاية قال لي الشيخ وأنت إذ ذهبت إلى مكة فاعتمر عمرة عن أبينا آدم بهذه النية"(59).

هذه المشاهد الحوارية في أغلبها عفوية نابعة عن شخص هدفه لقاء أكبر عدد من الشخصيات وخصوصا العلماء والصالحين، وهي وإن كانت متناسبة مع بنية السرد إلا أنها تعطي للراوي والرحالة السلطة الكاملة للتحكم في طبيعته.

خلاصة القول :

إن الزمن في الرحلة العياشية له علاقة بكتابة النص الرحلي، وبالتالي يأخذ خصوصياته من زمن الكتابة إما بالاسترجاع أو التدوين الآني. والزمن في الرحلة العياشية في معظمه واقعي يستمد ديمومته من الواقع ،بحكم المشاهدة والمعاينة من قبل الرحالة، وهي على عكس السرود الأخرى التي يخضع فيها الزمن إلى الخيال مما يجعله مطاطيا ليس

له حدود تضبطه،وزمن الحكاية لا يمكن حصره فيلجأ الرحالة إلى عملية القطع لتجاوز الأحداث الغير مهمة والاكتفاء بما يناسب الحدث وان حاول الإلمام ببعض التفاصيل. فالزمان في الرحلة العياشية منتحل مأخوذ من القراءة وهو بين زمن الوقائع وزمن القول. ويبقى للغة السرد دور في إبراز زمن آخر وهو الزمن اللغوي المتمثل في توظيف الأفعال بدلالتها الزمنية مثل الماضي الحاضر. ..والزمن السياقي من خلال الكلمات الدالة على الزمن.

هوامش:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر ، دط ، دت مادة رحل.

(2) أبو نصر الجوهري ، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين ، بيروت ،دط 1987، ج6 مادة رحل.

(3) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، ط2 1984، ص17.

(4) احمد الفاضل ، تاريخ وعصور الأدب العربي ، دار الفكر اللبناني ،دت ص54.

(5) عواطف يوسف تواب ، الرحلات المغربية والاندلسية، الرياض ، دط ،1996ص 30.

(6) أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء، دار الغرب الإسلامي ، ط1 1999م، ص25.

(7) أبو سالم العياشي،الرحلة العياشية تحقيق سعيد الفاضلي ، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات،ط1 2006،ص25.

(8) عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،المدينة المنورة ، دط،2005، ص 201.

(9) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ص02.

(10) المصدر السابق ص:53،52.

(11) المصدر نفسه ص:53.

(12) ينظر زكي حسام الدين، الزمان الدلالي (دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه، في الثقافة العربية ، دار غريب ، دط ، دت ، ص44

(13) ينظر المرجع نفسه 42[1].

(14) ينظر بول ريكور، الزمان والسرد، تر/سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1،2006،ج3،ص21.

(15) ينظر المرجع نفسه ، ص21.

(16) يننظر :المرجع السابق، ص23.

(17) ينظر: إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، اشراف د/عبد الله العشي –كلية الآداب والعلوم الإنسانية –باتنة،2005.م ص315.

(18) شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، تر/لحسن حمامة، دار الثقافة الدار البيضاء، ط1، 1995، ص71.

(19) د/ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورا ت الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق – دط ،2011، ص340،3ن41.

(20) د/ حميد لحميداني، بنية النص السردي – المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع بيروت ، ط1،1991 – ص74.

(21) ينظر ،سماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، ص316.

(22) ينظر شلوميت ريمون كنعان، التخبيل القصصي ، ص71.

(23) المرجع نفسه، ص31

(24) د/ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، دط ، 1998م ، ص201.

(25) ينظر":إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ، ص347.

(26) ينظر :المرجع نفسه –ص347،348.

(27) ابو سالم العياشي – الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ص107.

(28) المصدر السابق، ص107.

(29) المصدر نفسه ،107،134.

(30) المصدر نفسه ص 315.

(31) بول ريكو، الزمان والسرد ، ص154،155.

(32) ابو سالم العياشي ، ماء الموائد ، ص:328.

(33) المصدر نفسه ص 332.

(34) ينظر عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية –ص175.

(35) ينظر المرجع نفسه ص 178.

(36) ينظر عبد المجيد جحفة ، دلالة الزمن في العربية ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1،2006م ، ص26.

(37) ينظر عبد الجبار توامة ، زمن الفعل في اللغة العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994،ص10

(38) ينظر –ابو سالم العياشي، ماء الموائد، ص 317.

(39) ينظر عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللغة العربية، ص10

(40) ينطر ، ابو سالم العياشي، ماء الموائد، ض 528،530.

(41) مصدر سابق ج1،ص27.

(42) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 201.

(43) ينظر المرجع نفسه، ص 178.

(44) انظر: المرجع السابق، ص76

(45) أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية(ماء الموائد)، ص74

(46) المصدر نفسه، ص196.

(47) حميد الحميدان، بنية النص السردي، ص 76.

(48) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)،135.[1]

(49) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، تر/محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة،ط2، 1997م، ص78.

(50) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية(ماء الموائد)، ص137.

(51) المصدرنفسه، ص303.

(52) المصدر نفسه ، ص305

(53) المصدر السابق ص ،210.

(54) المصدر نفسه ، ص141.

(55) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص 77.

(56) ابو سالم العياشي ، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ص151.

(57) المصدر نفسه، ص264.

(58) المصدر نفسه، ص114،119،120.

(59) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص78.

الملخص:

يعيش الإنسان في هذه الحياة منذ أن يولد إلى أن يموت في رحلات ذاتية تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الأحوال والظروف ،فهناك رحلة من الطفولة إلى الرشد ومن عالم العذوبية إلى عالم الزواج ،ورحلات من المدينة إلى الحضر ،قبل أن تتحول هذه الحركية إلى طابع خاص ميزه عن غيره من الكائنات بعد أن أطرها فأصبحت بالنسبة له من شروط البقاء والحفاظ على جنسه ، على هذا الأساس اخترنا موضوع الرحلة التي تمت فعلا في إطار المكان بوصفه البعد الرئيسي في إنتاج مادة ذات طبيعة أدبية و إنسانية انعكست على رؤية كاتبها ، أو ما يطلق عليه أدب الرحلات . إن موضوع أدب الرحلات متنوع فهو يأخذ طابعه و خصوصيته بحسب الهدف من الرحلة ذاتها ، فإذا كانت الوجهة علمية كانت الرحلة علمية ، وإن كانت للسياحة فهي سياحية ،و قد اخترنا أحد هذه الأنواع وهي الرحلة الحجازية ؛ وهي التي كانت وجهتها الحج (الرحلة الحجية)، و نسبت إلى الحجاز بحكم المقصد ، والرحالة لا يكتفي بزيارة بزيارة البقاع المقدسة للحج ؛ بل يمر الأماكن الأخرى التي تملك قدسية في نفوس المسلمين على بيت المقدس و زيارة أضرحة الصالحين .
وقد كان المغرب العربي منطلقا لهذه الرحلات الحجازية المغربية .رحلة أبو سالم العياشي (ماء الموائد). والتي انطلقت من المغرب الأقصى وصولا إلى أرض الحجاز،وهي في مجلدين ،وقد اخترنا هذه الرحلة من أجل الكشف عن مسار الرحلة العياشية و الأماكن التي زارها ، وأهم العلماء الذين احتك بهم.ولأن العياشي لم يكتف بما اكتفى به غيره من الرحالة فقد آثر أن تمتد رحلته إلى القدس الشريف للقاء الرجال والاحتكاك

بهم ، والتمسح بالمقامات والمزارات ،وأيضا لموسوعيته حيث ضمت الرحلة فنونا من العلم وألوانا من المعرفة .

1 مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا:

أ -المفهوم اللغوي:

اهتمت المعاجم العربية بلفظ "رحلة" فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ما يأتي:

"رحل : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر ، يقال : يرحل رحلة ، ورحل رحيل : ذو رحلة ، إذا كان قويا على الرحلة ، والرحلة الارتحال ، وقولهم لما ابيض ظهره من الدواب : أرحل ، فهو من هذا أيضا لا يشبه بالدابة التي عليها رحل ، ويقال أرحلت الإبل = سمنت بعد هذا والراحلة : المركب من الإبل سواء كان ذكرا أو أنثى

وأما ابن منظور فعرفه في لسانه كما يلي :"رحل الرجل ؛ إذا سار ، ورجل رحول وقوم رحل ؛ أي يرتحلون كثيرا . ورجل رحال : عالم بذلك ومجيد له ... والترحل والارتحال الانتقال.والرحلة : اسم للارتحال .وقال بعضهم : الرحلة :الارتحال والرحلة بالضم : الوجه الذي تأخذ فيه و تريده "

تكاد تجمع كل معاجم اللغة قديمها وحديثها على المفهوم اللغوي للرحلة ، الذي هو مجرد انتقال من مكان إلى أخر لشخص ما إما سيرا على الأقدام كما في القديم ، وإما بالوسائل التي تساعد على ذلك كالراحلة (البعير) وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على السفر أي أنها جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة والمقصد الذي تريد السفر إليه.

المفهوم الاصطلاحي للرحلة أو أدب الرحلات .

يعرفها بطرس البستاني عرفها كما يلي "انتقال واحد ـأو جماعة ـمن مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة ؛ وأسباب متعددة "

وأما صلاح الدين الشامي فعرفها كما يلي :" إنجاز أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة ، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر ويتأتى هذا الإنجاز من ،أجل هدف معين ، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر ... وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه؛ ولكنها تكون- في الحالتين-استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل "

نستنتج من خلال التعاريفين للرحلة أن بطرس البستاني رأى بأنها مجرد انتقال لشخص أو أشخاص من مكان من أجل غرض أو هدف معين – أما التعريف الذي جاء به صلاح الدين الشامي جمع بين التعريفين تقريبا لكنه أضاف له بأنه إنجاز أو فعل فردي أو جماعي .

أما مجدي وهبة وكامل المهندس فأتى بتعريف مغايرا للتعاريف السابقة فيعرف أدب الرحلات كما يأتي :" مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ، وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد "

نستخلص من هذا التعريف أن أدب الرحلات عبارة عن انطباعات للمؤلف عن الرحلة التي قام بها ووصف ما شاهد من سلوك وعادات مع تصوير دقيق لما شاهده ورآه.

وأما أحمد الفاضل فعرفه كما يلي :" فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار أسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم .

أحمد الفاضل اعتبر أدب الرحلات فنا من الفنون النثرية والذي هو خلاصة تجربة سفر يقوم به شخص مدونا ملاحظاته حول ما شاهده أثناء الرحلة وحكمه على مختلف المظاهر .

مما سبق نستنتج فن الرحلات فن متشابك تداخلت في تكوينه عدة علوم من اهمها التاريخ والجغرافيا والقصة .السيرة الذاتية ،وهذا راجع في أغلب الأحيان إلى رغبة الرحالة الملحة في أن تكون رحلته متكاملة إلى حد ما ،فيحاول أن يعطيها طابع الموسوعية ،وأبو سالم العياشي يعتبر أنموذج في هذا المجال لكون رحلته تميزت بتشعب علومها من فقه وحديث وتصوف وسير .الخ،مما يجعل مسألة تجنيس الرحلة كفن له خصوصياته وقواعده بعيدة المنال في ظل تشعب هذه الفنون.

إن الرحلات فيها من الجوانب الأدبية ما يؤهلها لأن تكون فنا أدبيا مستقلا ،يمكن تسميته بأدب الرحلات ،وهو فت نثري يعتمد على سرد

الأحداث ورواياتها ،معتمدا على المعاينة والمشاهدة ،تبدأ برحلة الذهاب وتختم بالإياب ..،ويكون الوصف العنصر الأساسي الذي يعتمد عليه الرحالة في وصف الأماكن التي يمر عليها أثناء رحلته .لذالك هناك من يعتبر أدب الرحلة من الإرهاصات الأولية لفن القصة العربية على غرار المقامات وغيرها من الفنون القصصية في التاريخ العربي القديم.

تعتبر الرحلات الحجازية أهم أنواع الرحلة بحكم أنها حيزا واسعا من اهتمام الرحالة ولارتباطها بفريضة الحج ،لذالك كانت الرحلة العياشية (ماء الموائد)أهم رحلة مغربية حجازية انطلقت من المغرب مرورا بسجلماسة ومنطقة توات ..وارقلا –ليبيا مرورا بالقاهرة وصولا إلى أرض الحجاز ،حيث كان للعياشي محطات استوقفته فأبدى ملا حظاته ونقل خلاصة مشاهداته ،التي تعتبر شواهد تاريخية قل نظيرها في ك

القيمة اللغوية والأدبية للرحلة العياشية :

يحيلنا الحديث عن الشروط التي ينبغي توفرها في نص إبداعي ما حتى يلقى القبول و الرواج إلى مسألة لها علاقة بهذا الموضوع ألا وهي **القيمة اللغوية**،فقد جاء في معجم " مجمل اللغة لابن فارس ما مفاده"القيمة وهو ما يقوم من ثمنه مقامه ،وأهل مكة يقولون :استقمت المتاع أي قومته ،وهذا قوام الدين وقوام الحق أي الذي يقوم به ،والقوام حسن الطول ،والقومية والقوام والقامة"[1] ،ووردت اللفظة في معجم المحكم والمحيط الاعظم "والمقام والمقامة المجلس ،والمقامة السادة وكل ما أوجعك من جسدك فقد قام بك ،ويوم القيامة يوم البعث".فالقيمة

في مدلولها المعجمي تدل على علو مرتبة سواء في الماديات أو المعنويات .

أما من الناحية الاصطلاحية فالقيمة اللغوية لها علاقة بما يحققه النص من فائدة لدى المتلقى،اي مدى قبوله ، فاللغة كلمات وحروف ولابد لكي تقوم اكلمات بنقل الرسالة واضحة من حروف مناسبة للغرض "أن ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها ،وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية ،إذ لم يعنهم في كل حرف أنه صوت ،وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض ،وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها الى مجموعة من الحروف الدوال .... ومن ذالك قولهم "خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للمأكول اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ..". فاللغة تبدأ قيمتها منى أول جزء لتكوينها وهو الحرف ،فاختياره ليس اعتباطيا بل يخضع لدلالات معينة كما أسلفنا سابقا .

القيمة اللغوية عند دوسوسير :

ويرى دوسوسير "..كافيا لدراسة القيمة اللغوية أن ندرس عنصرين هما :الصوت- الفكرة ،وقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع التفريق بين نقطتين تفريقا حقيقيا بلا علامات لغوية أي كلمات ،فالتفكير بلا كلمات عائم ،وليس في الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا ، وليست وظيفة اللغة في هذا أن تخلق وسطا صوتيا للتعبير

عن الأفكار ولكن أن تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت في حالة تدعو كلا منهما إلى الآخر ،والمعنى بهذا الاعتبار علاقة متبادلة بين الاسم والفكرة ..". ،فالقيمة تتحدد داخل التركيب اللغوي بمدى التوافق بين الصوت والمعنى أو بين الدال والمدلول.

وإن كانت السمة الاصطلاحية للغة هي المبدأ الجوهري الذي أقام عليه دوسوسير مذهبه ،ومقتضاه أن اللغة نظام من العلامات تلتقي فيما اطلق عليه الفكرة الذهنية والصورة الصوتية والمدلول والدال ،وأن العلاقة بينهما تحكمية محضة غير معللة بعلة ،فإنه قد استثنى من ذالك ما سماه التعليل النسبي كالتعليل القائم على الاشتقاق في تمر/تامر ،أو المبني على علة سمنثيقية يغير بها الوجه في استعمال لفظ الصلاة للدلالة على الصلاة والدعاء ،وورقة الشجرة وورقة الكتاب وهلم جرا..

ا-) أبو سالم الأديب :

فقد وهب أبو سالم العياشي " القدرة على نظم القصائد الشعرية وهي قصائد متنوعة الأغراض مختلفة القوافي ولا تخلو من المهارة الأدبية والتكوين اللغوي المتين إذ تمثل جانبا من جوانب شخصيته، فملك التعبير عن طريق النظم تتبنى أساسا على أساس الاستعداد النفسي والحفظ والاطلاع والممارسة، أي أنها جزء من التكوين العام، فشعره متنوع فقد نظم العديد من القصائد منذ صباه في كثير من الأغراض ومن الأمثلة في موضوع الغزل قوله:

ولم أنسها يقظانة الهم في الحشا مبلبلة الأشجان وسنانة الطرف

تقول وقد جد الرحيل أهكذا تحملني ثقل الفراق على ضعفي.

فأبياته تميزت بحسن السبك وجمال الألفاظ و هذا لا يتأتى إلا لأديب متمكن مطلع على دواوين العرب وخصوصا فحول الشعراء، وله أبيات أخرى أنشأها بأرض الحجاز متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم :

ولا نرتجي دنيا وأخرى يغيثنا******* سوا الهي أو حبيب يشفع

ولم لا ونحن مؤمنون بكل ما******** أتانا به إذ جاء بالحق يصدع

فقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب ينم عن استسلامه لما أمر به ونهى عنه وهذا جانب من شخصيته، والتي عبر عنها البعض من أشعاره فمثلا يقول عن الوفاء :

أجل صحابي أن أسيء لهم ذكرا ****** وأحمي لساني أن أقول بهم جهرا

وازهد في القول القبـيح تعمــقا ****** وصونا عن الفحشا ففعله أحرا

ولا يستفزني الهوى فأطيش إن ******* سمعت كلاما منهم يوغر الصدرا

لكن على الرغم من تمكن أبي سالم من اللغة وقواعدها البلاغية وبالرغم من موهبته فإن شعره يبقى مع اللون الأدبي الذي يعرف بشعر الفقهاء أو أدب الفقهاء .

تميزت أشعار العياشي بالتوجه الديني وهذا عائد إلى فكرة الإصلاح ومحاولة الارتقاء بالمجتمع الإسلامي نحو الأفضل " وأشعاره كثيرة تصل إلى حدود ستة ألاف بيت جلها أمداح نبوية، فقد ذكر ابن سودة أن للعياشي أكثر من 40 قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . قال العياشي متحدثا عن هذه القصائد " ولم خف مرضي ووجدت بعض الراحة في أواخر جمادى الأولى وأوائل الثانية شرعت في تكميل الأمداح التي ذكرت أول الرحلة أني وضعتها على حروف المعجم، وكان التوجه إلى هذه الوجهة المباركة ببركة الشروع فيها، وكان الموضوع منها قبل الرحلة قبل الرحلة عشرة أحرف وبقيت عشرون فشرعت في تكميلها وأنا ملازم للفراش ...إلا أن هذه القصائد جاءت على طراز آخر ونمط غير الأول سيتين منها اللبيب ذو الذوق السليم أن الأول نفس محب طالت عليه الغربة وأذاب قلبه لاعج الشوق ،وأن القصائد الأخرى نفس محب وصل إلى محبوبه وتمتع بالتقلب في ربوعه وأطلاله . قد كررت النظم وأعقب ذلك بالتفريق بين النظمين على طريقة النقد الحديث الذي يربط بين النظم والعاطفة وهذا دليل على امتلاك العياشي حس أدبي رفيع قل نظيره ومثيله في ذلك العصر

دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق العربي :

قام أبو سالم بدور إيجابي في حركة فكرية بين المغرب والمشرق وأضاف أثرا طيبا الى سلسلة العلاقات الثقافية بين البلدان الاسلامية المختلفة ،وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات مختلفة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعيا وإقتصاديا وثقافيا ،إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور

الأساسي في علاقاته المشرقية خلال القرن 17 م ونستطيع أن نبرز مجالات هذه المشاركة من خلال الأمثلة التالية:

أـحرص أبو سالم على معرفة كل انتاج أدبيٍ جديد في ميدان التأليف ،فكان أول من أدخل كتاب "**نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض**"،بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره وسهر بنفسه على استنساخه.

ب- نقل أبو سالم عددا من رسائل الشيخ إبراهيم الكوراني في مسألة الكسب ،وقد أثارت مناقشات طويلة بين علماء فاس والمدينة المنورة ،وألف من أجل الرد على أقوال الشيخ الكوراني ،كل من الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه السيد المهدي بن أحمد الفاسي وتلطفا في إظهار مخالفتهما لأرائه ،بينما تشدد بعض المغاربة وانتصروا لآراء علماء فاس.

ج- أثارت مسألة التبغ ضجة في المغرب منذ مستهل القرن 17م،فسجل أبو سالم الكلام حول الموضوع ،فالشيخ صفي الدين القشاشي أحد رجال العلم بالمدينة ،يميل إلى كراهية استعمال الدخان ،في حين أن الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني يتصدى لمن يميل الى الإباحة وقد ألف من أجل ذالك رسالة سماها (محدد السنان في نحور إخوان الدخان). هذا الأخذ والرد في المسائل العلمية والفقهية المثارة آنذاك يدل على نشاط فكري كان للرحالة يد طولى فيها ،فأبو سالم كان حريصا على غلق الفجوة الثقافية بين المشرق والمغرب العربي ن خلال مراسالاته ومناظراته المختلفة.

ما يمكن استخلاصه بعد استعراض الدور الذي قام به أبو سالم العياشي في التواصل الحضاري مع المشرق مايلي:

أن الرحلات المغاربية الحجازية كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب الى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي.

5-الواصل الصوفي :ويتجلى ذالك في مدحه للطرق الصوفية ومقارنتها بنظيراتها في المغرب العربي ،حتى أنه رأى أن بعض الطرق أقرب إلى السنة من غيرها مثل الطريقة النقشبندية ،وحاول نقل هذه التجربة إلى المغرب ،لأنه يرى أنها تتوافق مع الطريقة الشاذلية المنتشرة بالمغرب .